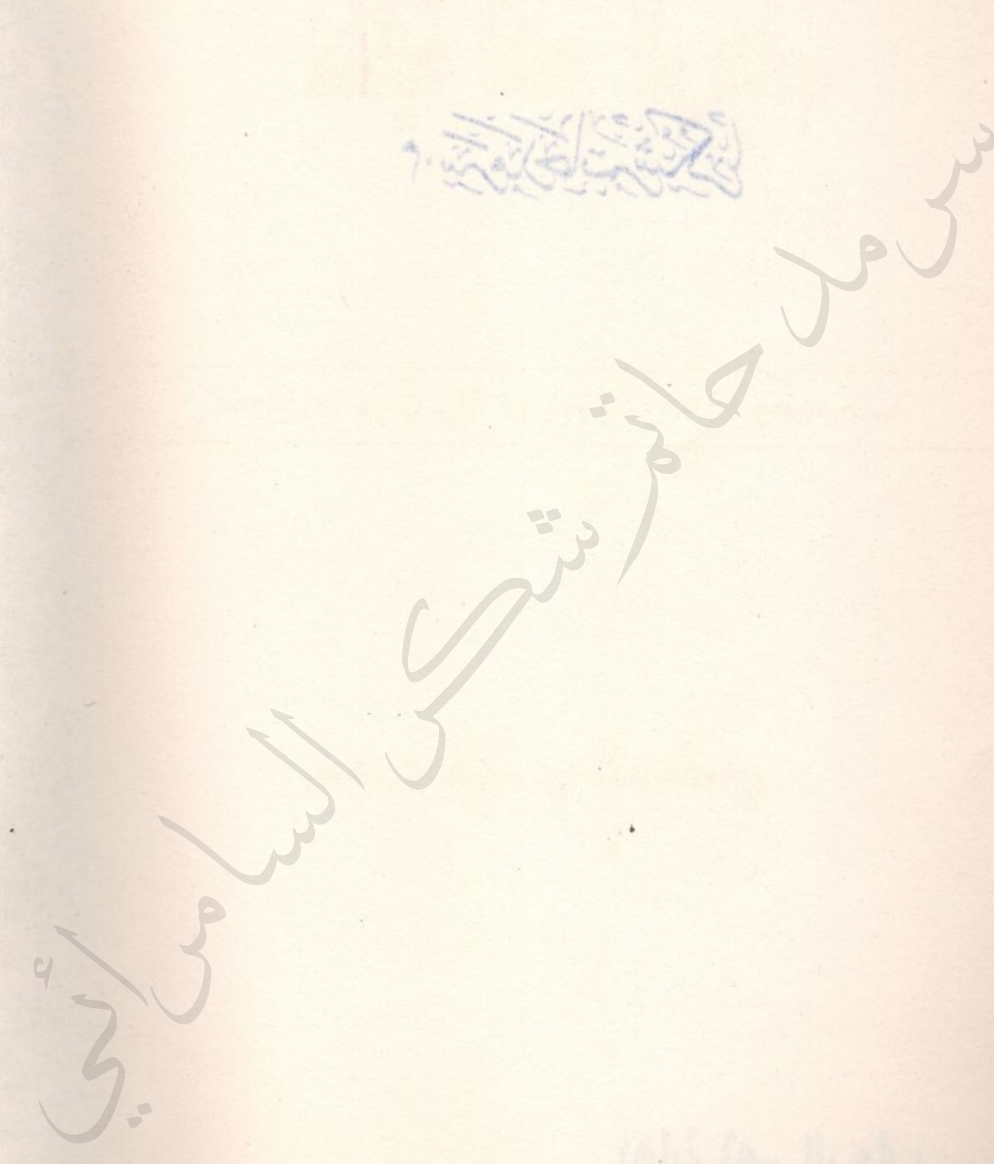


نهاية قصر الرحاب

تفاصيل ما حدث
ليلة ١٤ تموز ١٩٥٨ وصبيحتها

محمد حمدي الجعفري

نهاية قصر الرحاب


م. سرمد حاتم شكر السامرائي

نهاية قصر الرحاب

تفاصيل ما حدث ليلة ١٤ تموز ــ ١٩٥٨ وصبيحتها

محمد حمدي الجعفري

الطبعة الاولى لسنة ـ ١٩٨٩

المقدمة

كُتب الكثير عن تاريخ عراقنا المعاصر وقد تناولتْ هذه الكتابات خفايا كثيرة عن أحداث تلك الفترة ، فكان كل باحثٍ أو دارس يتناول الأحداث من زاوية معينة ، ويحللها وفق منظورة الخاص . فتراهم يسارعون وراء الأشخاص الذين كان لهم دور في تلك الفترة من تاريخ العراق أو عايشوها عن كثب ، السياسي منهم والمسؤول ، يستنطقونهم ويحاورونهم ليستخلصوا منهم المعلومات ، اضافة الى التحري والتقصي عن الوثائق والمصادر . وهكذا وقف الدارسون والباحثون على مئات التفاصيل من الشهادات والمعلومات من مختلف المصادر ، حتى إذا اكتمل لديهم هذا الكم الهائل من المعلومات ، شرعوا بتنظيمها وتبويبها لكي تقدم الى القارىء الكريم بالشكل اللائق .

إن التصدي لكتابة التاريخ مسألة ليست هينة ، فهي ليست تجميعاً وتسجيلاً لاحداث حقبة تاريخية معينة وإنما هي عملية بحث وتقصٍ واستقراء وتحليل للأحداث وللوثائق وكتابتها بروح حيادية بعيدة عن التعاطف والتحيز لفئة معينة وعلى حساب فئة أخرى .

وعندما باشرتُ بكتابة « نهاية قصر الرحاب » وهو باكورة أعمالي ، راعيت فيه ان أكون موضوعياً جهد المستطاع وخاصة لدى استعراضٍ للأحداث متوخياً المنهج العلمي والموضوعي في هذا البحث ، فلم استهدف النيل من شخص أو جماعة أو ان امتدح فئة سوى ما جاء في الوثائق وما استطعت الحصول عليه بعد البحث والتقصي والمقابلات الشخصية .

والكتاب يتناول سيرة الأسرة المالكة منذ دخولها العراق وحتى يوم ١٤ تموز عام ١٩٥٨ . وقسّمت الكتاب الى أربعة فصول تناولت في الفصل الأول كيفية اختيار الملك فيصل الأول ملكاً على العراق وشرح للأوضاع العامة

في العراق ، كما تطرقت الى الأحداث التي أحاطت بالمنطقة وتأثيرها على العراق ، أما الفصل الثاني فقد قدمت فيه نبذة عن تنظيم الضباط الأحرار ، بدايتهم ونشأتهم وتشكيل اللجان ، وكيف تم التخطيط للثورة ومحاولات التنفيذ التي سعى اليها الضباط ، إلا انها لم تُنفذ لأسباب ذكرتها في البحث. . مع استعراض لبعض الأحداث التي كادت تعصف بالحركة متناولاً كذلك التحذيرات التي كانت تصل الى البلاط الملكي عن تحركات الضباط الأحرار. أما الفصل الثالث فقد خُصص للأوضاع العامة في بغداد قبيل قيام ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ . متناولاً أبرز الصحف المحلية التي صدرت قبل الثورة وصبيحتها. وأخيراً فقد كرّست الفصل الرابع لقصر الرحاب والقصور الملكية الأخرى ، وما جرى بداخلها ليلة الثورة ، وكذلك تفاصيل ما حدث صبيحة الثورة وخاصة في قصر الرحاب الذي شهد نهاية الأسرة المالكة.

أخيراً فانني أضع هذا الكتاب أمام القارىء الكريم ليطلع على حقبة مهمة من تاريخ العراق المعاصر بحلوه ومُره ، فإذا كنت قد صورت الأحداث على حقيقتها فانني أعتقد انها سوف تلقى صدى لدى البعض وقد يعزف عنها البعض الآخر ، إلا انني أقول وبثقة واعتزاز وبعد ان أنجزت كتابي الأول ما توخيت فيه إلا الدقة والأمانة العلمية التي تقتضي أن أكون موضوعياً وعلمياً في مناقشتي للأحداث.

وفي الختام أود أن أسجل شكري وتقديري للأساتذة والأخوان كافة الذين ساعدوني في انجاز هذا الكتاب وأمدوني بملاحظاتهم ومصادرهم تعبيراً عن اعتزازي بهم وبجهودهم القيمة في هذا المجال. .

والله الموفق.

المؤلف

الاهـداء

الى والدي ووالدتي رحمهما الله
اعترافاً بالجميل . .

المؤلف

١٩٨٩

... كما تنبأ [illegible] الأحداث التي أحاطت بالمنطقة [illegible] في العراق . أما الفصل الثاني فقد تضمنت فيه نبذة عن تنظيم الضباط الأحرار ، وأهدافهم ومبادئهم وتشكيل [illegible] ، وكيف تم التخطيط للثورة والوسائل التي سعى اليها الضباط ، إلا انها لم [illegible] لأسباب [illegible] [illegible] تعتمد على الحركة [illegible] التي [illegible] البلاط الملكي [illegible] التحركات [illegible] . أما الفصل الثالث فقد خصص للأوضاع العامة في بغداد [illegible] عام ١٩٥٨ ، متناولاً أبرز الصحف المحلية التي صدرت في [illegible] الثورة [illegible] الفصل الرابع [illegible] ومصير العائلة الأخيرة [illegible] الثورة ، وكذلك [illegible] الثورة [illegible] العائلة المالكة .

أخيراً فإني أضع هذا الكتاب [illegible] القارئ الكريم [illegible] على حقبة مهمة من تاريخ العراق المعاصر [illegible] الأحداث [illegible] يعرف عنها [illegible] كتابي الأول ما [illegible] فيه إلا الدقة والأمانة العلمية التي تقتضي [illegible] موضوعياً وعلمياً في [illegible] للأحداث .

وفي الختام أود أن أسجل شكري وتقديري للأساتذة والإخوان كافة الذين ساعدوني في انجاز هذا الكتاب وأمدوني بملاحظاتهم ومصادرهم [illegible] عن [illegible] وتشجيعهم [illegible] في هذا المجال .

والله الموفق

الفصل الأول

اختيار الملك فيصل ملكا على العراق

في ٢٣ آب من عام ١٩٢١ الموافق ١٨ ذي الحجة ١٣٣٩هـ تم تتويج الملك فيصل بن الحسين ملكاً على العراق وأُقيمت لهذا الغرض حفلة لتتويجه في ساحة برج الساعة المعروفة حالياً بالقشلة ببغداد « وقد تم التتويج في الساعة السادسة من صباح يوم الثلاثاء ٢٣ آب وكانت حفلته قد رُتبت ترتيباً يثر الاعجاب »[١] وحضرها ممثلون عن جميع الألوية « المحافظات حالياً » كما حضرها السر برسي كوكس المندوب السامي البريطاني في العراق والجنرال هالدن قائد القوات البريطانية في العراق والكولونيل كونوراليس المستشار الخاص للملك اضافة الى بعض الشخصيات السياسية ، ثم تلا حسين افنان سكرتير مجلس الوزراء بلاغاً على الحاضرين ناوله إياه المندوب السامي البريطاني ، أعلن بموجبه المناداة بسمو الأمير فيصل بن الحسين ملكاً على العراق.[٢] ان أحد الأسباب التي دعت لاختيار الأمير فيصل لتولي عرش العراق هي انتماؤه الى الأسرة الهاشمية التي يرجع نسبها الى الرسول الكريم محمد « ﷺ » . لقد كان الأمير فيصل مشبعاً بالروح القومية ومترسماً خطى أبيه الشريف حسين بن علي الذي أعلن الثورة العربية من الحجاز على الأتراك في أول محاولة لتشكيل دولة قومية مستقلة ، وكان الأمير فيصل مندوب والده الى الثوريين العرب كما كان مندوبه الى الدول العربية التي لها علاقة بأحداث المنطقة ، وفي ١٩١٦/٥/٦ وبينما كان الأمير فيصل يتناول طعام الإفطار في مزرعة آل البكري بالقابون على بُعد خمسة أميال من دمشق ، اطلع في جريدة الشرق على خبر إعدام الوالي التركي جمال السفاح لسبعة من الزعماء العرب في ساحة المرجة بدمشق وأربعة عشر منهم في ساحة البرج ببيروت ، ففوجيء بالخبر وقفز بالحال واقفاً كمَنْ أصابه مس مفاجيء فانتزع الكوفية من رأسه ورمى بها على الأرض وداسها بعنف وصاح : « طاب الموت

يا عرب » فترك الشام عائداً الى الحجاز الذي أعلن والده الشريف حسين الثورة فيها ضد الأتراك في ١٩١٦/٦/١٠ . . وقد كان للأمير فيصل دور كبير فيها أظهرت مواهبه والتي كان من نتيجتها أن ذهب وفد من زعماء العراق الى الحجاز لمقابلة الشريف حسين بن علي عام ١٩٢١ وإيصال رغبة العراقيين بتتويج ابنه فيصل ملكاً عليهم ، ولم يكن أمام الشريف حسين إلا الرضوخ لرغبة العراقيين فصاح بلهجته الحجازية : « يا عيال نادوا فيصل » . .

وأصبح الأمير فيصل أول ملك على العراق ، ومنذ تلك اللحظة بدأت مرحلة جديدة من تاريخ العراق الحديث الذي سمي بـ « الحكم الوطني » وقد لعب الملك فيصل دوراً بارزاً في تكوين الدولة العراقية وبناء مؤسسات ذات تقاليد تنهض بالمجتمع العراقي نحو الرقي والتمدن كما أظهر حنكة ودهاءاً عاليين في تعامله مع الانكليز. ففي عهده عُقد المجلس التأسيس العراقي عام ١٩٢٤ الذي وضع القانون الأساسي العراقي وقانون الانتخاب[٣] ، كما عُقدت عام ١٩٣٠ المعاهدة العراقية ـ البريطانية التي تم بموجبها الاعتراف باستقلال العراق والغاء الانتداب ودخوله عصبة الأمم عام ١٩٣٢ .[٤]

وبعد وفاته المبكرة أخلفه ابنه الأمير غازي والذي عُرف بميوله الوطنية والقومية ، فقد كان شاباً متحمساً قضى معظم حياته في بغداد ودرس في مدارسها وتشبع بالروح الوطنية ، وقد لعب دوراً وطنياً وقومياً على الساحة السياسية وأظهرَ كراهية شديدة للانكليز ولمنفذي مخططاتهم في العراق لإيمانه العميق بأنهم السبب في تمزيق الوطن العربي ولأنهم نكثوا العهد مع جده الشريف حسين قائد الثورة العربية وتقاسموا النفوذ مع فرنسا بموجب اتفاقيتهم السرية ، وقد شعروا بخطورته على نفوذهم في العراق والمنطقة فتعاونوا مع عملائهم للتخلص منه[٥] وكان لهم ما أرادوا حيث سقط الملك الشاب في حادث سيارة مدبّر بالقرب من قصر الزهور ليلة ٣ ـ ٤ نيسان عام ١٩٣٩[٦]

وتسلّم مقاليد الأمور من بعده ابن عمه الأمير عبدالإله وشقيق زوجته الملكة عالية وأصبح وصياً على عرش العراق طيلة الفترة المحصورة من عام ١٩٣٩ حتى تتويج الملك فيصل الثاني عام ١٩٥٣ وهي فترة سوداء ليسَ في تاريخ العراق وحسب ، بل في تاريخ العائلة الهاشمية أيضاً لقد كان عبدالإله طالباً فاشلاً في كلية فكتوريا بالاسكندرية ، فعاد الى العراق تحت تأثير هذه العقدة ، وكان يشعر بالحقد والحسد لأنه لا يمتلك السلطة ، فانصرف الى اللهو وممارسة هوايته في سباق الخيل ، فانتشله نوري السعيد وأعده ليكون بديلاً للملك غازي الذي أظهر كرهاً شديداً لنوري السعيد، وقد بذل نوري السعيد مجهوداً كبيراً لتنصيب عبدالإله وصياً على العرش بعد وفاة الملك غازي وذلك لضمان سياسته التي تعكس رغبة الانكليز.[٧] فانحصرت السلطة بيده وبيد نوري السعيد ولعبا دوراً كبيراً في تنفيذ سياسة بريطانيا لثقتهما الكبيرة بها[٨]، كما انها بادلتهما الثقة باعتمادها عليهما وكانت تعتقد انهما المحرك لسياسة الحكم ، وخاصة نوري السعيد سواء كان خارج السلطة أوداخلها[٩]، لقد كان عبدالإله منبوذاً في الأوساط العامة وكان سلوكه السياسي منحرفاً فقد عُرف بالولاء الكامل للمصالح البريطانية ، كما وضع مخططاً تربوياً قاصراً لولي العهد فيصل الثاني بحيث يظل فيها فيصلاً غير قادر على اداء دور مهم في السياسة العراقية لدى بلوغه السن القانوني ، ولم يترك له المجال لتعلم فن إدارة البلاد بل بقي يلازمه كظله حتى بعد تسلّمه مهامه الدستورية وبقيت تأثيراته واضحة عليه حتى آخر لحظة من حياته ، فكان السبب الرئيسي في سقوط النظام الملكي ونهاية الأسرة المالكة في العراق. . ففي الوقت الذي تعلّق فيه العراقيون بالملك فيصل الأول مؤسس الدولة العراقية وأحبوه وشاطروه كل أفراحه وأحزانه أحبوا أيضاً ولده الملك غازي باعتباره أُنموذجاً وطنياً وقومياً وبكاه الشعب العراقي بمرارة لحظة وفاته وخرج الى الشارع يعلن اتهامه لرموز العمالة

في العراق في تدبير عملية اصطدام السيارة بمعاونة الانكليز. في نفس الوقت أظهروا كرهاً شديداً لعبدالإله حيث كانت المرحلة التي قضاها على رأس النظام من أسوأ المراحل السياسية التي مرّ بها العراق ، فقد كثرت الانقلابات العسكرية والاضطرابات السياسية وعمت الفوضى في فترات كثيرة من حكمه ، كما ساهم بمصادرة الحريات الديمقراطية مما دفع بالجيش العراقي الى إعلان الثورة على سياسته والتجائه الى القوات البريطانية المعسكرة في العراق عام ١٩٤١ ثم عودته الى الحكم تحت حِراب الانكليز هو ونوري السعيد متحدين مشاعر العراقيين الوطنية ، وبعودته شهد العراق وقواه الوطنية حملة إعدامات امتدت الى رجال الجيش الذي اعتبرها اهانة كبيرة ، ظل يضمرها رجاله حتى حانت الفرصة في صبيحة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ التي أنهت النظام الملكي ورموزه الى الأبد.

المبحث الأول

الأوضاع العامة في العراق

أظهرتْ الدول الغربية وخاصة بريطانيا اهتماماً كبيراً بمنطقة الشرق الأوسط منذ أواخر القرن الحادي عشر وبالأخص بعد سيطرتها على الهند وضمها الى امبراطوريتها لذلك عملت جاهدة للسيطرة على الطرق المؤدية اليها. لضمان حرية مواصلاتها مع الهند التي كانت تسمى آنذاك تاج المستعمرات البريطانية، وبذلت كل ما في وسعها لمنع أية قوة من تهديد مصالحها في هذه المنطقة، وهكذا احكمتْ السيطرة على جبل طارق ومالطا وعدن وقبرص ومصر كما سيطرت على منطقة الخليج العربي وإماراتها وعقدت معاهدات مع شيوخها تمّ بموجبها وضع هذه الإمارات تحت الحماية والاشراف الكاملين لها.[١٠] ولم تقف أطماع بريطانيا عند هذا الحد بل راحت تبحث عن طرق مواصلات جديدة تربطها بالهند، فوجدت ضالتها في الطريق المار عبر العراق فسعت الى بسط نفوذها على هذه المنطقة، فأقدمت على تأسيس « شركة الهند الشرقية البريطانية » التي افتتحت لها مركزاً تجارياً في البصرة عام ١٦٤٣م، وأُعتبر هذا المركز بداية النشاط السياسي والاقتصادي لبريطانيا في المنطقة وبواسطتها استطاعت التغلغل في العراق تدريجياً، فكان الجزء الجنوبي منه موضع اهتمام بريطانيا لاتصاله بالخليج العربي الذي أنشأت فيه الدبلوماسية البريطانية فترة قرنين من الزمن موضعاً مهماً وفريداً لها.[١١] إلا ان الدول

الكبرى الأخرى التي كانت تطمح بإيجاد موقع لها على أنقاض الامبراطورية العثمانية سارعت لتوثيق علاقتها بالدولة العثمانية ومنها ألمانيا القيصرية فاستطاعت أن تحصل على امتياز مد سكك الحديد بين برلين ـ العراق لحماية مصالحها في المنطقة العربية[١٢]، وتكون نقطة للوثوب الى الهند، إلا ان بريطانيا سارعت للتحالف مع فرنسا وروسيا عندما شعرت بخطورة التحرك الألماني الجديد لتواجه الخطر الألماني بعدما أخذ بالتزايد، وما ان وجدت ان الظروف أصبحت مواتية لها عند قيام الحرب العالمية الأولى وإعلان تركيا الحرب ضد بريطانيا في ٢٩ تشرين الأول عام ١٩١٤ حتى بادرت الى احتلال الفاو والتقدم الى العراق لتكمل سيطرتها عليه ويصبح تحت الادارة البريطانية.[١٣] ان قيام بريطانيا باحتلال أجزاء من الوطن العربي هو مخالف لكل الوعود التي منحتها للعرب خاصة بعد انتصار الثورة العربية التي أعلنها الشريف حسين بن علي لا سيما وان معظم الضباط العرب الذين كانوا ضمن الجيش العثماني قد التحقوا بالثورة العربية على أمل أن تمنح بريطانيا العرب إستقلالهم بعد انتصارها في الحرب، إلا انها نكثت الوعود ونقضت العهود، فلما وجد العراقيون ان بريطانيا قد أخلّت بالوعود وفرضت سيطرتها عليهم سارعوا الى حمل السلاح بوجهها في ثورة شعبية عارمة شاركت فيها مختلف فئات الشعب سميت بثورة العشرين.[١٤] نسبة الى سنة ١٩٢٠ التي اشتعلت فيها الثورة.. ومما يذكر ان هذه الثورة أتعبت بريطانيا كثيراً على الرغم من انها كانت منهوكة القوى لخروجها من الحرب العالمية تواً لذلك ظهرت أصوات في بريطانيا تنادي بترك العراق لأهله، إلا ان الأصوات الأخرى كانت الأرجح حيث أصرت على بقاء السيطرة البريطانية مع اعتماد نهج جديد في تأمين المصالح البريطانية.. وهذا ما تم طرحه في مؤتمر القاهرة في آذار عام ١٩٢١ والذي تقرر فيه تأسيس حكم وطني في العراق برئاسة ملك عربي

على أن يكون الحاكم الفعلي المعتمد البريطاني في العراق وبموجب ذلك نودي بالأمير فيصل الأول ملكاً على العراق في ٢٣/آب ١٩٢١ ، واستعاضت بريطانيا عن صك الانتداب بمعاهدات مع العراق كبّلت فيها هذا البلد وضمنت السيطرة الكاملة عليه[١٥]، فقد جاءت هذه المعاهدات لكي تكرس السيطرة البريطانية وتضمن مصالحها الحيوية في هذه المنطقة ، وقد قاوم الشعب العراقي هذه المعاهدات بكل قواه ورفضها بشدة ومطالباً بالاستقلال الناجز ، فلما وجدت شدة الضغط الجماهيري وصعوبة مجابهته وخوفاً على مصالحها سعت للتجاوب مع بعض تطلعاته ، وعقدت في ضوء ذلك معاهدة عام ١٩٣٠ التي أنهت صك الانتداب ومهدت لقبول العراق عضواً في عصبة الأمم عام ١٩٣٢ .[١٦]

والواقع ان هذه المعاهدات لم تلب طموح الشعب العراقي بل ضمنت لبريطانيا سيطرتها على العراق بوجود قواعدها العسكرية في الشعيبة والحبانية اضافة الى استمرار إبقاء الاتفاقيات المالية والعسكرية وغيرها الملحقة بالمعاهدات والتي كانت تشكل قيوداً ثقيلة على الشعب العراقي فواصل نضاله للتخلص من هذه القيود وكانت الأحزاب والفئات الوطنية في طليعة المنادين بصرورة الاستقلال الكامل ، ومما زاد في إصرار الشعب العراقي على ذلك هو تفاقم الأزمات الاقتصادية الناتجة عن عدم وضع خطة اقتصادية تهدف الى رفاه الشعب وقد حاول الملك فيصل الأول جاهداً لانتزاع حقوق الشعب من الانكليز إلا انه لم يتمكن من تحقيق أكثر مما جاء في معاهدة عام ١٩٣٠ بسبب ضعف إمكانية العراق وقتذاك ، لكنه بقي موضع احترام وتقدير كافة الأحزاب والفئات الوطنية التي أقام معها علاقات متينة طيلة فترة حكمه ، وكان يمني النفس بالخير الكثير للشعب العراقي إلا ان القدر لم يمهله كثيراً فقد توفي عام ١٩٣٣ وترك وراءه فراغاً سياسياً هائلاً ، وتولى العرش من بعده

ولده الملك غازي وهو شاب قليل التجربة لكنه كان يتوقد وطنية وحماساً قومياً وطموحاً واسعاً في التخلص من الانكليز وبناء جيش قوي مقتدر يحقق له تطلعاته القومية ، إلا ان بعض الساسة العراقيين ومَنْ كانوا يتطلعون للوثوب الى السلطة استغلوا حماسة وقلة تجربته السياسية فعملوا على تحريض بعض ضباط الجيش للتدخل في الشؤون السياسية فكان انقلاب بكر صدقي عام ١٩٣٦ الذي حاول تصفية العناصر القومية وتنصيب نفسه رئيساً لأركان الجيش وأصبح الحاكم الفعلي للبلاد بفضل أسلوبه الديكتاتوري الذي مارسه مع الساسة والعسكريين فانحسرت الروح القومية في عهده ، فكان هذا العهد بداية لتدخل الجيش في شؤون السياسة ، وفي ضوء ذلك دبّر بعض الضباط القوميون محاولة للتخلص منه فتم ذلك في الموصل عام ١٩٣٧ أثناء سفره الى تركيا ، فتنفس الشعب العراقي وقواه الوطنية الصعداء واتجهت الأنظار صوب الملك الشاب لتحقيق آمال الشعب الوطنية ، لكن حادثة مقتله أشعلت النار في النفوس فازداد حماسه ضد النفوذ البريطاني الذي كان الملك الشاب يمقتهم مقتاً شديداً(١٧) فتأججت الروح الوطنية والنضالية من جديد ضد الانكليز وأعوانه وشهدت ساحات بغداد والعراق تحدياً صارخاً ضد هذا النفوذ ، إلا انه وفي غمرة هذه التحديات وقعت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ فأعلن العراق عن قطع علاقاته مع ألمانية ووقوفه الى جانب بريطانيا وكان يومها نوري السعيد رئيساً للوزراء ، وكان هذا التصرف لا يعبر في حقيقته عن موقف الشعب العراقي بالنظر لمواقف بريطانيا المعادية للعرب ، إلا انه في عام ١٩٤٠ تشكلت الوزارة الكيلانية(١٨) ذات النهج الوطني والقومي يساندها كتلة الضباط الأربعة ذوي الميول القومية التي انتهجت سياسة وطنية وقومية نابعة من مصلحة العراق والأمة العربية ، فازداد الشعور القومي بين صفوف الجماهير عامة والشباب خاصة مما أغضب ذلك بريطانيا التي كانت

في تلك الفترة بحاجة الى مَنْ يساندها وهي تخوض حرباً عالمية ، فازداد عداؤها للوزارة ومَنْ يقف وراءها لذلك عمدت الى إحراجها أمام الرأي العام العراقي فطالبتها بقطع علاقاتها مع إيطاليا حليفة ألمانيا وخصمها في الحرب ، فرفضت الوزارة هذه المطاليب واشتد العداء بين الكتلة الوطنية التي يتزعمها الكيلاني ومِنْ خلفه الجيش وقادته وبين كتلة عبدالإله ونوري السعيد يدعمهما الانكليز فوقعت الحرب بين الجيش العراقي والقوات البريطانية المتواجدة في قاعدتي الحبانية والشعيبة في ٢ أيار عام ١٩٤١ واستمرت شهراً كاملاً هرب فيها نوري السعيد وعبدالإله الى الخارج بفعل الضغط الجماهيري الواسع الذي تعاطف مع الجيش العراقي وسانده بكل قواه وإمكانياته كما استنفر شبابه في التصدي للقوات البريطانية الغازية وقد أبلى العراقيون في هذه الحرب بلاءاً حسناً ، إلا ان الحركة التي قادها الضباط الأربعة صلاح الدين الصباغ ورفاقه والتي سميت فيما بعد بحركة مايس لم تفلح في أهدافها لعدم التكافؤ بين الطرفين المتحاربين من حيث التسليح حيث تمتلك القوات البريطانية أسلحة متطورة تفوق ما يملكه الجيش العراقي فعاد عبدالإله ونوري السعيد الى العراق من جديد ليمارسا دورهما في خدمة المصالح البريطانية ففتحوا السجون والمعتقلات لزج الشباب القومي والوطني وعملوا على محاربة الروح الوطنية وكل مَنْ يعارض سياستهم الموالية للانكليز ، معتمدين أسلوب البطش والعنف ضد القوى الوطنية والتنكيل بها .

ولما وجدوا ان الحركة الوطنية أخذت تتسع وان موجة السخط ضد الانكليز وأعوانهم بدأت تتصاعد اضافة الى ظهور بعض الأفكار اليسارية التي تزامنت مع انتهاء الحرب العالمية الثانية ،فأوعزت بريطانيا الى الحكومة القائمة بتخفيف الضغط على الشعب ومنح الحريات واطلاق سراح بعض الشخصيات الوطنية والقومية في محاولة لامتصاص نقمته وغليانه فتم في عام

١٩٤٦ السماح بتشكيل الأحزاب السياسية ، كما سمحوا بنسبة معينة من حرية الصحافة ، إلا ان الشعور باليأس من هذا النظام ازداد بشكل متزايد وتفجر الغضب الشعبي من جديد ضد الانكليز والزمرة الحاكمة في كانون الثاني عام ١٩٤٨ بسبب معاهدة بورتسموث التي عقدها رئيس الوزراء صالح جبر مع الانكليز وهي بديل لمعاهدة عام ١٩٣٠ ، وجاءت ببنود ثقيلة على العراق أشد وطأةً من سابقتها فاستمر الغليان الجماهيري أسبوعاً كاملاً اضطرت الحكومة العراقية في اثرها الى عدم توقيع المعاهدة فهدأت الجماهير الغاضبة ، لكن الأحداث أثبتت عجز الأنظمة العربية في مواجهة المحن والشدائد على اثر كارثة فلسطين عام ١٩٤٨ والتي أظهرت ارتباطها بالدوائر الاستعمارية والمصالح الصهيونية وعكست ضعفها وارتماءها في أحضان الاستعمار. . ان ضياع فلسطين أحدث جرحاً في قلب وضمير كل عربي غيور بسبب تخاذل الحكام العرب. . وقد لمس هذه المأساة الجيش العراقي عن قرب حيث فرضت عليه القيود ومنعته من القيام بدوره الحقيقي ، فعقد العزم على إزالة النظام بعد عودته الى أرض الوطن. . لقد ارتضى هذا النظام لنفسه اهانة الكرامة العربية والانصياع لسياسة الانكليز وحلفائهم. . . فبدأ الضباط العائدون من فلسطين يتحدثون وعن المأساة عن خيانة الحكام العرب في مجالسهم العامة والخاصة فتأجج الحماس في نفوس الضباط الآخرين الذين لم يشاركوا في الحرب ، ومنذ تلك اللحظة بدأت فكرة تشكيل حركة الضباط الأحرار ، ثم وقعت انتفاضة تشرين الثاني عام ١٩٥٢ ، والتي بدأت باضراب طلاب المدارس والجامعات معلنين تحديهم للسلطة أعقبتها مظاهرات صاخبة عمت بغداد بهدف تعديل قانون الانتخابات ومعالجة الأوضاع الداخلية ومواكبة التطور العالمي. . ولما استفحل الأمر على السلطة قدمت الوزارة العمرية استقالتها فعهدت الوزارة الى رئيس أركان الجيش الفريق نورالدين

محمود الذي أَنزلَ الجيش الى الشوارع للسيطرة على الوضع فاستبشر الشعب بنزول الجيش لأنهم يكنّون له احتراماً كبيراً وتعاطف الجيش مع الجماهير فلم يستخدم العنف معه وكان من نتيجتها انتهاء المظاهرات احتراماً لنداءات الجيش واستجابة لوعود الحكومة التي قدمتها للجماهير فعاد الطلاب الى مدارسهم وجامعاتهم . . لكن قيام ثورة ٢٣ يوليو في مصر عام ١٩٥٢ التي فجرها الضباط الأحرار أشعلت الحماس من جديد وأحيت الأمل لدى ضباط الجيش في إمكانية قيامهم بحركة مماثلة تطيح بالنظام على شاكلة ما حصل في مصر ، فكانت حافزاً لتنظيم مشاعرهم الوطنية وتوحيد صفوفهم فتشكلت حركة الضباط الأحرار من نفس الضباط الذين عايشوا مأساة فلسطين عن قرب ، ومنذ تلك اللحظة بدأت تستقطب الضباط الغيارى وتتوسع خلاياها ، فجاء العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ليفجر حماسهم فقرروا القيام بحركة تطيح بالنظام إلا ان الظروف لم تكن مهيأة لهم فصرفوا النظر عنها موقتاً ، لكن الجماهير الغاضبة خرجت الى الشارع تعلن غضبها ضد النظام وموقفه المشين من العدوان الذي يعبر عن الحقد والتشفي ، إلا ان الأمر لم يطل كثيراً فما كان عام ١٩٥٨ يمر على العراق حتى وجد النظام ان وضعه بدأ بالاهتزاز فلم يطل به المقام فانهار بجميع أركانه .

أما على الصعيد الاقتصادي ، فلم يحض الاقتصاد العراقي في العهد الملكي باهتمام يستحق الذكر من رموز النظام رغم امتلاكه لثروات كبيرة وخزين هائل منها ، إلا انها لم تستثمر بشكل جيد ليساعد الشعب العراقي على تجاوز وضعه الاقتصادي المهزوز وينهض بالتخلف الاجتماعي والصحي والقضاء على الفقر والجهل الذي جاء نتيجة انعدام التخطيط ، في الوقت الذي بدأ فيه العراق يظهر كدولة تتميز بإمكانيات نفطية هائلة . . ومرد ذلك ان النظريات الاقتصادية تخضع لمزاج الحكام الذين كانوا يشيعون المفاهيم

الاقتصادية الغربية ويشجعون استقدام الخبراء الغربيين ، الذين كانوا يدفعون بالاقتصاد العراقي لمزيد من التبعية للاقتصاد الغربي ، خاصة في مجال النفط والقطاع المصرفي والنقدي وقطاع التجارة التي ساهمت في جعل العراق سوقاً للمنتجات الغربية ورساميله ، ومصدراً للمواد الخام الداخلة في صناعاته.[١٩] والتي كان من نتيجتها ان جعلت القطاع الزراعي هو القطاع الرئيسي في تركيبة الهيكل الاقتصادي ، وأهملت القطاعات الأخرى وخاصة الصناعي منها ، كما ميزته بالطابع الاستهلاكي ، مما أدى الى اختلال موازين الاقتصاد العراقي الذي كان من نتيجته ظهور البطالة وتزايد المشاكل الاقتصادية ، ولاحت في المجتمع العراقي وقتذاك طبقات اجتماعية زادت من الفوارق الاجتماعية بشكل ملحوظ ، وأدت الى حالة الاستغلال لطبقة العمال والفلاحين ، وذوي الدخول المحدودة ، وكانت تلك الحالة تؤشر بشكل واضح على أن القوى الانتاجية البشرية منها والمادية في طريقها الى الانهيار ، ورافق هذه الحالة ظهور نزعة البيروقراطية في ميدان الاستغلال.[٢٠] كما سيطرت الاحتكارات الأجنبية على القطاع النفطي سيطرة تامة وبذلت هذه الاحتكارات المستحيل للحيلولة دون استثمار الموارد النفطية ذاتياً والانطلاق في بناء اقتصاد وطني مستقل عن التبعية الاقتصادية ، كما ساهمت في عرقلة المشاريع الصناعية والوقوف بوجه أي محاولة لقيام صناعات ثقيلة. ان هذه السياسة كانت تستهدف جعل الاقتصاد الوطني متخلفاً وتابعاً للبلدان المسيطرة على السوق العالمي.

أما في مجال الحريات الديمقراطية فلم نجد للديمقراطية أي سمة من سماتها في العراق على الرغم من ان العراق اعتبر بلداً ديمقراطياً كما جاء ذلك في الدستور الذي شرّع عام ١٩٢٤ وتم تطبيقه عام ١٩٢٥ ، ورغم ان العراق من الدول التي سجلت مواقف حضارية رائعة عبر التاريخ ووهبت

عطاءاتها الانسانية وفق مبادىء علمية وفكرية متوازنة الى العالم إلا انه لم يتمكن من تحقيق الديمقراطيـة أو حتى جانب من جـوانبها ، كـما ان رجال السيـاسة العراقيين وقتذاك لم يكلفوا أنفسهم للتعبير صراحة عن وجهة نظر العراقيـين ومطالبهم المتزايدة في فسح الحـريات أمـامهم والتعبير عن آرائهم بـل كانـوا منصرفين الى تحقيق مآربهم الشخصية وتنفيذ ما يطلبه الانكليز . . أما أفكارهم فكانت تنم عن وجود قصور فكري وثقافي كما وردت في محاضر جلسات مجلس النواب العراقي . . ولم يكتفوا بذلك بل ساهموا في إنشاء السجون والمعتقلات وأصدروا قانون إسقاط الجنسية عن المواطنين ونهبوا خـزانة البـلاد وامتلكوا الأطيان ، كما صادروا حريات المواطنين وتجاوزوا على حقوقهم فصار رجالهم يداهمون المساكن الآمنة آناء الليل وأطراف النهار دون رادع ونصبوا المشانق للوطنيين والأحرار بالرغم من وجود ما يسمى بالمجلس النيابي فكانوا يتسابقون على مقاعد النيابة بمساعدة رجال السلطة ، ويلجأون الى مختلف أنواع التزوير للوصـول الى ما يـريدون أو حجب الـوصول لِمَنْ لا يـريدون لـه الـوصـول الى مجلس النـواب مستخـدمـين أسلوب الـضغط والارهـاب والإكـراه مع المواطنين . ان هذا الأسلوب يشكل استهانة بالرأي العام العراقي الذي ازداد نقمة عليهم .

أما على الصعيد الاجتماعي فقد تميّز المجتمع العراقي بكثرة الأمراض المستـوطنة والـوافدة التي أثـرت كثيراً عـلى المستوى الصحي وجعلت نسبـة الوفيات تزداد بشكل مضطرد وخاصة بين الأطفال . [٥١] بالاضـافة الى ذلـك فقد لوحظ انتشار الأمية بشكل مخيف بين صفوف المواطنين وهو عامل ساهم في إضعاف المستوى الصحي ، يضاف الى ذلك انخفاض المستوى المعـاشي للمـواطنين بشكـل عام مما حـال دون استقـرارهم في مسـاكن جيـدة ذات مواصفات صحية ، مع ملاحظة قلة المستشفيات وافتقارها الى الشرطين الطبي

والصحي قياساً الى عدد السكان ، فكانت تظهر نسبة الوفيات كبيرة جداً قياساً الى نسبة الولادات.[٢٢] كما كان القطاع التعليمي متخلف جداً وكانت كفة الأميين هي الأرجح ، حيث ان الأغلبية الساحقة من المواطنين محرومة من حق التعليم نتيجة عدم اهتمام الدولة بهذا القطاع وإهمالها له وعدم تخصيص ميزانية كافية لهذا الغرض.[٢٣]

أما الفلاحون فانهم يشكلون النسبة الكبيرة من الجَهَلَة والأميين وقد كانوا مستغَلين من قبل الاقطاع الذي لقي دعماً كبيراً من الدولة بهدف السيطرة على طبقة الفلاحين التي كانت تشكل نسبة كبيرة من المجتمع العراقي ، فلقي الفلاحين ما لقوا من الاضطهاد ما يعجز الانسان عن وصفه ، إلا انهم لم يستيكنوا لهذا الظلم فساهموا الى جانب قطاعات الشعب الأخرى في النضال من أجل التخلص من النظام الملكي ، فضلاً عن الدور الذي قامت به الطبقة العاملة التي كانت حديثة النشوء وكانت غالبيتها تتواجد في القطاعات النفطية وعلى الأخص في منطقتي كركوك والبصرة.. بحيث كانت تواجه السيطرة الاستعمارية وجهاً لوجه وخاضت معارك بطولية ضد السلطة رغم تخلفها الاقتصادي والفكري وقامت باضرابات بطولية رائعة واشتركت في جميع الانتفاضات الجماهيرية التي كانت تستهدف رموز العمالة في النظام آنذاك.

الأحداث في المنطقة وتأثيرها على العراق

مما لا شك فيه ان العراق هو جزء من الوطن العربي وان موقعه الجغرافي جعله مجاوراً لدول ومناطق حيوية في المنطقة ، لذلك فان الأحداث التي شهدتها المنطقة كان لها تأثير مباشر على ما جرى في العراق صبيحة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ ، فقد كانت تتفاعل هذه الأحداث وتزيد من الغليان الجماهيري المتصاعد وتساعد على التعجيل بدفع النظام الى الهاوية ، ويمكن إجمال هذه الأحداث بما يلي :

١ ـ نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ :

في أيار عام ١٩٤٨ قررت بريطانيا إنهاء انتدابها على فلسطين وسحب قواتها منها وكان هذا الاجراء في حقيقته التمهيد لتسليم فلسطين بأيدي القوات الصهيونية ، وهو ما كان يحظى بتأييد الولايات المتحدة الأمريكية.[٢٤] وفعلاً تم تسليم المواقع الرئيسية بأيدي عصابات الصهاينة ، فكانت النتيجة أن قامت دويلة إسرائيل بمباركة الدول الكبرى ، فسارعت الجيوش العربية لانقاذ فلسطين من هذه المحنة وشارك الجيش العراقي مع بقية الجيوش العربية في القتال ضد الصهاينة ، إلا ان الحكام العرب الذين أظهرت الحرب تواطؤهم مع الاستعمار البريطاني ومساهمتهم الواضحة في عرقلة اداء الجيوش العربية لدورها التاريخي والقيام بدورها القومي على الساحة الفلسطينية كان

عاملاً مهماً لما جرى بعد ذلك التاريخ على الساحة العربية والعراق بالذات ، فقد كانت النكبة وضياع فلسطين سهماً غادراً اخترق الكرامة العربية وبالذات الجيش الذي شهد ضباطه مأساتها وخيانة هؤلاء الحكام الواضحة فكانت هذه الكارثة سبباً رئيسياً في تشكيل حركة الضباط الأحرار في صفوف الجيش . . حيث وجدوا ان الجيش لا بد أن يقوم بدوره في القضاء على النظام الفاسد وهو المؤهل الوحيد للقيام بمهمة التغيير تسانده في ذلك جماهير الشعب. (٢٥)

٢ ـ ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في مصر :

كان لقيام الضباط الأحرار في مصر بثورتهم في ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ والتي أطاحت بالملك فاروق بالغ الأثر في نفوس ضباط الجيش العراقي والأحزاب السياسية ، وقد أخذت فكرة إسقاط النظام الملكي في العراق تراود الكثير من ضباط الجيش ، حيث هزت هذه الثورة نفوسهم وأثارت أحاسيسهم وظهر ذلك واضحاً على الضباط الذين بادروا الى التكتل وتكوين حركة سميت بحركة الضباط الأحرار تستهدف الاطاحة بالنظام القائم. (٢٦) كما شجعت الأحزاب السياسية الأخرى في العراق للوقوف بوجه السلطة ومطالبتها بالاجراءات الاصلاحية والتغيير الجوهري لنظام الحكم. (٢٧) وقد حفّز ذلك الشعور القومي بين صفوف الشعب والقوات المسلحة خاصة بعد ان أظهر هذا النظام عداءه لثورة ٢٣ يوليو وقادتها ، التي تبنت فكرة القومية العربية وانتهاجها سياسة الحياد وتصاعد العداء بين البلدين ، إلا ان الجماهير تعاطفت كثيراً مع هذه الثورة وخرجت في أكثر من مناسبة تعلن ذلك وتظهر بنفس الوقت عداءها لرموز النظام دون خوف أو وجل.

٣ ـــ **حلف بغداد** :

لقد وضع النظام الملكي في العراق نفسه ومصيره مع الدوائر الاستعمارية وساهم عبدالإله ونوري السعيد بشكل لا مثيل له في رسم هذه السياسة فكان من نتيجتها الانسياق وراء سياسة بريطانيا والأمريكان في الانضمام الى الأحلاف والتكتلات الأجنبية.[٢٨] فعقد نوري السعيد في شباط ١٩٥٥ اتفاقية دفاع مشترك مع تركيا انضمت اليها بريطانيا وباكستان وإيران سميت بعدئذٍ بحلف بغداد.[٢٩] وهو مشروع بريطاني للحفاظ على مصالحها في المنطقة والوقوف في وجه المد الشيوعي السوفيتي من جانب آخر فهو أداة للتآمر على الدول العربية وبالخصوص مصر وسوريا.[٣٠] وقد تلقى الشعب العراقي هذا الحلف برد فعل عنيف وعارضته الأحزاب السياسية الوطنية وقاومه الشعب العراقي، كما شهد رد فعل من الأقطار العربية وخاصة مصر التي طلبت رسمياً طرد العراق من جامعة الدول العربية، فقد قسّم هذا الحلف الوطن العربي الى جبهتين متعاديتين الأولى ارتبطت بالاستعمار والأخرى متحررة منه وتناضل ضده.[٣١] وقد جابهت القوى الوطنية والأحزاب السياسية في العراق هذا الحلف بمعارضة شديدة وولد استياءاً كبيراً بين صفوف الجيش، وفي ضوء ذلك قررت الأحزاب السياسية مقاومة هذا الحلف إدراكاً منها لخطورته على أهداف الأمة العربية وثورتها وسارت التظاهرات في شوارع بغداد وبقية المدن العراقية وازدادت النقمة بين ضباط الجيش وسعى التنظيم العسكري في الجيش الذي يسمى بتنظيم الضباط الأحرار للاطاحة بالنظام إلا ان الظروف لم تكن في صالحه.[٣٢]

٤ ـــ **العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦** :

في عام ١٩٥٦ أعلن الرئيس عبدالناصر تأميم قناة السويس بهدف استعادتها من الهيمنة الاستعمارية والاستفادة من مواردها لتعزيز الاقتصاد

الوطني وبناء السد العالي ،وقد أحدث هذا القرار دوياً كبيراً في أوساط الدوائر الاستعمارية وخاصة بريطانيا وفرنسا ، ومن جانب آخر لقيت هذه الخطوة فرحاً غامراً وتجاوباً كبيراً في أرجاء الوطن العربي عموماً ، ولم تتحمل الدولتان هذا القرار رغم انه يستند الى القوانين الدولية التي تؤيد استعادة أية دولة سيادتها على أراضيها وممارسة سلطاتها القانونية(٣٣) فسارعت هاتان الدولتان واتفقتا مع الكيان الصهيوني على القيام بعمل عسكري ضد مصر لاجبارها على التخلي عن قرار التأميم . وفعلاً قامت الدول الثلاث بعدوان عسكري كبير على الأراضي المصرية ، فتصدت لها الجماهير العربية في كل مكان تندد بالعدوان وتطالب حكوماتها بمساعدة الشقيقة مصر ، إلا ان موقف حكومة نوري السعيد في العراق من العدوان اتسم بروح التشفي والتحيز الى جانب قوى العدوان ، فبدأت التظاهرات والاصطدامات مع الشرطة في شوارع بغداد والمدن الأخرى مطالبة السلطة بقطع علاقاتها مع دول العدوان ومساعدة الشعب العربي في مصر في صد العدوان ، وبدلاً من الاستجابة لذلك جابهت المظاهرات باعتقالات واسعة شملت مختلف فئات الشعب.(٣٤) أما تنظيم الضباط الأحرار فقد عقد اجتماعاً بهدف تحريك قطعات عسكرية للاطاحة بالنظام ولكن الاجراءات الصارمة للسلطة في الحد من تحرّك القطعات العسكرية وانتشار عيون أجهزة السلطة بين صفوف الجيش أعاق أي تحرك يستهدف تنفيذ خطة الثورة.(٣٥)

٥ ــ قيام وحدة مصر وسوريا عام ١٩٥٨ :

قامت الوحدة بين مصر وسوريا في شباط من عام ١٩٥٨ وقد أحدث هذه الاتجاه الوحدوي انقلاباً في ميزان القوى بالشرق الأوسط وأعطى للنضال القومي زخماً جديد ضد الاستعمار والقوى المتعاطفة معه في المنطقة.(٣٦) وهزت هذه الوحدة وجدان المواطن العربي في كل مكان ومنها المواطن العراقي ،

وفي ضوء ذلك سارعت الأحزاب الوطنية والقومية لمواجهة النظام ومطالبة الحكومة بالانضمام الى هذه الوحدة التي تجسّد مشاعر وأهداف كل مواطن شريف ، إلا ان هذه الأحزاب جوبهت برفض شديد من قبل الحكومة وقابلت هذا المطلب برد فعل سريع أسفر عن إعلان الاتحاد الهاشمي الذي شمل العراق والأردن .

٦ ـ الاتحاد الهاشمي ـ العراق والأردن :

في ضوء المشروع الذي تم الاتفاق عليه بين مصر وسوريا لتوحيد بلديهما « رأى الملك حسين عاهل الأردن أن يتخذ خطوة مماثلة للخطوة المصرية ـ السورية فأوفد وزير بلاطه السيد سليمان طوقان الى بغداد حاملاً رسالة الى ابن عمه الملك فيصل الثاني ملك العراق يدعوه فيها للتوجه الى عمان مع بعض وزرائه للنظر في هذا الموضوع فطار الملك فيصل الثاني اليها في الحادي عشر من شهر شباط ومعه وزراء الخارجية والمالية والعدلية « برهان الدين باش أعيان ونديم الپاچه‌چي وعبدالرسول الخالصي » فناب عبدالإله منابه وتولى رئيس الوزراء عبدالوهاب مرجان وكالة وزارة الخارجية وتولى وزير المواصلات عبدالأمير علاوي وكالة وزارة المالية أما وكالة وزارة العدلية فقد تولاها وزير الزراعة جميل الأورفلي ، وفي ١٣ شباط طار عبدالإله الى عمان بعد ان أقام هيئة نيابة من السادة عبدالهادي الجلبي وخليل كنه وأرشد العمري ولم يلبث المجتمعون أن توصلوا الى اعلان الاتحاد الهاشمي بين العراق والأردن فعاد الملك فيصل وصحبه الى بغداد يوم ١٤ شباط » [٣٧].

٧ ـ مؤتمر باندونك وحركة عدم الانحياز :

عقدت شعوب آسيا وأفريقيا العزم على مقاومة الاستعمار والقضاء على سياسة الحرب والأحلاف العسكرية وانتهاج سياسة حيادية مستقلة

عن تأثيرات الدول الكبرى ، وقد انعقد المؤتمر التأسيسي في باندونغ سنة ١٩٥٥ وصدرت قرارات المؤتمر في ٢٤ نيسان والتي كانت تشكل ضربة قوية لحلف بغداد ، إلا ان هذه القرارات ألهمت شعب العراق والقوى الوطنية شعوره الى التطلع نحو الحرية والتخلص من الهيمنة الاستعمارية ، وقد أكدت القرارات على حق تقرير المصير والامتناع عن استخدام القوة لفض النزاعات بين الدول واتباع سياسة الحياد بين المعسكرين المتنازعين.[٣٨]

٨ ــ أحداث لبنان ١٩٥٨ :

حينما وقع العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ طالب الوطنيون أن يقف لبنان الى جانب الشقيقة مصر ضد دول العدوان وبقطع علاقاته مع هذه الدول ، إلا ان رئيس الدولة كميل شمعون عارض هذا المطلب خاصة وان مؤيديه حاولوا التأثير على الدستور اللبناني في مخطط يستهدف تجديد رئاسته مرة أخرى ، إلا ان القوى الوطنية التي وجدت في كميل شمعون نموذجاً للعمالة وقفت ضد هذه المحاولة ، وحدث من جرائها مصادمات بينها وبين أنصار الرئيس اللبناني ، اشتعل فيها القتال وأصبح لبنان على شفا حرب أهلية وقد وجهت الحكومة اللبنانية وقتها إتهاماً الى الجمهورية العربية المتحدة « مصر وسوريا » بأنها تساعد الثوار اللبنانيين وتمدهم بالسلاح ، بواسطة سوريا وتسهيل عملية تسلل الثوار عبر الحدود ، ورغم المحاولات التي بذلتها جامعة الدول العربية في التوسط بين المتحاربين إلا ان جهودها باءت بالفشل ، في الوقت الذي كان موقف حكومة العراق آنذاك متعاطفاً مع حكومة كميل شمعون ، لا بل قام النظام بإرسال كميات كبيرة من الأسلحة الى لبنان لدعم نظام كميل شمعون ضد الثوار اللبنانيين.[٣٩] ولم تكتف بذلك بل سارعت لارسال قطعات عسكرية الى الأردن حسب

الاتفاق المبرم بين نوري السعيد وكميل شمعون ومن هناك تواصل زحفها الى سوريا لضرب الوحدة ثم تتجه الى لبنان لتسحق الثورة الشعبية فيها. إلا ان القوات التي أُرسلت الى الأردن لم تكمل مسيرتها بل توقفت في بغداد لتنقضّ على النظام فيها وتعلن الجمهورية العراقية في صبيحة ١٤ تموز عام ١٩٥٨. (٤٠)

هوامش الفصل الأول

(١) المس بيل ـ العراق في رسائل المس بيل ـ ترجمة جعفر الخياط ـ ص ٣٤٤ ـ دار الحرية بغداد سنة ١٩٧٧ .
(٢) عبدالرزاق الحسني ـ تاريخ الوزارات العراقية ـ ج ١ ـ ص ٦١ سنة ١٩٨٢ .
(٣) د. كاظم نعمة ـ الملك فيصل الأول والانكليز والاستقلال ، ص ١٢٥ ـ الدار العربية للموسوعات الطبعة الأولى .
(٤) المصدر السابق ، ص ٣٠٥ .
(٥) د. لطفي جعفر فرج ـ الملك غازي ـ مكتبة اليقظة ـ ص ١٢ ، ص ١٩٨٧ .
(٦) المصدر السابق ، ص ٢٦٩ .
(٧) ناجي شوكت ، سيرة وذكريات ثمانين عاماً ـ ص ٥٨٢ .
(٨) خليل كنه ـ العراق أمسه وغده ، ص ٣١٩ .
(٩) كاراكثاكوس ـ ثورة العراق ـ دراسة في الرأي العام ، ص ٤٧ .
(١٠) د. ابراهيم شريف. الشرق الأوسط ـ الفصل الأول ص ٤٥ .
(١١) ستيفن همسلي لونگريك ـ العراق الحديث ـ ج ١ ـ ترجمة سليم طه التكريتي ـ ص ٢١ .
(١٢) د. عبدالله الفياض ـ الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ ـ الطبعة الثانية ـ ١٤٤ .
(١٣) د. كاظم نعمة ـ الملك فيصل ـ مصدر سابق ـ ص ٣٠٥ .
(١٤) عبدالله الفياض ، مصدر سابق ، ص ١٤٥ .
(١٥) المصدر السابق ، ص ١٤٦ .
(١٦) كاظم نعمة ، مصدر سابق ، ص ٣٠٥ .
(١٧) د. لطفي جعفر فرج ـ الملك غازي ـ ص ٧٢ ـ مكتبة اليقظة ـ سنة ١٩٨٧ .
(١٨) تاريخ الوزارات العراقية ـ الجزء الخامس ـ الطبعة السادسة ، ص ٢٤٣ .
(١٩) ابراهيم كبه ـ هذا طريق تموز ـ دار الطليعة ـ بيروت ـ ص ٣٣ ـ ٣٤ ـ الطبعة الأولى ١٩٨٩ .
(٢٠) ابراهيم كبه ـ مصدر سابق ، ص ٣٥ .
(٢١) د. رحيم عجينه ـ الحالة الصحية في العراق ـ مجلة المثقف ـ العدد ـ ١ ـ ص ٧٠ ، ص ١٩٥٨ .
(٢٢) د. رحيم عجينه ـ مصدر سابق ـ ص ٧١ .
(٢٣) المجموعة الأحصائية لعام ١٩٥٧ .

(٢٤) صبحي عبدالحميد ـ أسرار ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق ـ مطبعة الأديب ، ط ٢ .
(٢٥) ليث عبدالحسن الزبيدي ـ ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ في العراق ، ص ٣٩ .
(٢٦) المصدر السابق ـ ص ٣٩ .
(٢٧) د. فاضل حسين ـ تاريخ الحزب الوطني الديمقراطي ـ ص ٢٩٣ .
(٢٨) محمد مهدي كبه ـ مذكراتي من صميم الأحداث ١٩١٨ ـ ١٩٥٨ ـ دار الطليعة ـ بيروت ص ٣٦٧ .
(٢٩) محسن حسين الحبيب ـ حقائق عن ثورة ١٤ تموز في العراق ـ دار الأندلس ، ص ٣٣ .
(٣٠) باتريك سيل ـ الدفاع عن سوريا ـ ص ١٨٦ .
(٣١) د. جورج حنا ـ عندما يتكلم العب ـ دار العلم ـ بيروت ، ص ٣٦ ، ١٩٥٨ .
(٣٢) ليث عبدالحسن ـ مصدر سابق ـ ص ٤٧ .
(٣٣) محسن حسين الحبيب ـ مصدر سابق ـ ص ٣٤ .
(٣٤) محمد مهدي كبه ـ مصدر سابق ـ ص ٣٦٨ .
(٣٥) ليث عبدالحسن ـ مصدر سابق ـ ٤٠ ـ ٤١ .
(٣٦) نضال البعث ـ ج ٥ ـ ص ٣٣١ .
(٣٧) عبدالرزاق الحسني ـ تاريخ الوزارات العراقية ج ١٠ ، ص ١٧٩ .
(٣٨) ليث عبدالحسن الزبيدي ـ مصدر سابق ـ ص ٥٠ .
(٣٩) المحمة العسكرية العليا الخاصة ـ ج ١ ـ ص ٣٦٥ ـ ٣٦٧ ـ وزارة الدفاع ـ مطبعة الحكومة ـ بغداد .
(٤٠) د. محمد مصطفى زيدان ـ القومية العربية بين التحدي والاستجابة ـ دار مكتبة الأندلس ـ ص ٢١٢ ـ سنة ١٩٧٣ .

الفصل الثاني

تنظيم الضباط الأحرار

لقد استنفدت السياسة الموالية للانكليز والأمريكان صبر أبناء العراق طيلة سنوات عديدة منذ قيام الحكم الوطني سنة ١٩٢١ فحدثت ثورات وتمردات وانتفاضات ضد رموز النظام تطالب بحقوقه المشروعة في الاستقلال والحرية ، إلا ان أزلام النظام كانوا في وادٍ سحيق استمروا في إيغالهم بالعمالة دون الالتفات الى الجماهير وتحقيق مطالبها المشروعة ، وقد وجد الضباط الغياري في صفوف الجيش ان مهمة الحركة الوطنية العراقية تبقى قاصرة عن تكملة دورها دون وجود قوة عسكرية تستطيع ترجمة أهدافها التي هي أهداف وتطلعات الجماهير في كافة أنحاء العراق ، وتساندها في تنفيذ ما تراه مناسباً لها ، ان الضباط والجنود هم أبناء هذا الشعب فلا تختلف معاناتهم وهم يرون وطنهم الحبيب يُكبّل بقيود الاستغلال الأجنبي عن معاناة أي مواطن يلمس التعسف والظلم الذي يلقاه العراقيون ، لكن الظروف والامكانيات المتاحة للعراق وقتذاك لم تكن تسمح له بالكشف عن أمانيه الوطنية ، وقد كان الشارع يموج وترفرف في سمائه شعارات مختلف القوى الوطنية على اختلاف أفكارها ، إلا انها تكون بالمحصلة النهائية هدفاً واحداً هو الخلاص من التبعية والاستعباد ، وفي ظل هذه الظروف تظهر حركة جديدة في صفوف الجيش العراقي تشكل في مضمونها إمتداداً لحركة العقداء الأربعة الذين تصدوا للانكليز في مايس من عام ١٩٤١ . وان أحد أسباب تشكيلها هو التنكيل الذي لاقاه قادة الحركة من رموز العمالة وأزلام الانكليز في العراق والذي اعتبرها الجيش اهانة كبيرة لكرامتهم وجرحاً عميقاً ظل سنوات طويلة يعتلج في نفوسهم كلما مرت ذكرى الحركة أمامهم . وظل مرجل الوطنية يغلي في نفوسهم بانتظار الفرصة المناسبة للأخذ بثأر اخوانهم الذين نكل بهم عملاء الانكليز .

المبحث الأول

البداية ـ النشأة ـ تشكيل اللجان

تعود فكرة تشكيل الضباط الأحرار الى عام ١٩٤٨ حينما شارك الجيش العراقي في حرب فلسطين ولمس ضباطه تخاذل الأنظمة العربية تجاه القضية الفلسطينية ومساهمتهم في ضياعها من أيدي العرب ، وبعد ان لمس وشاهد هؤلاء الضباط تواطؤ الحكام مع الاستعمار البريطاني والأمريكي في تنفيذ هذه المؤامرة البشعة والتي أدت الى قيام دولة العصابات الصهيونية على أرض فلسطين ، لذلك كان لا بد أن يثأروا من الاستعمار وضرب مصالحه وتحطيم رموزه أينما كانوا فأضمروا الثأر في نفوسهم ، فكانت الفكرة في قيام تنظيم داخل صفوف الجيش يمهد الطريق لازالة هذه الأنظمة ، والنظام الملكي في العراق أحدها .

وكان أول مَنْ رسم البدايات الأولى للتنظيم وبذر البذرة الأولى له هو العقيد رفعت الحاج سري عند تواجد الجيش العراقي في فلسطين عام ١٩٤٨ وكان حينها يشغل منصب آمر سرية الهندسة الثالثة ، وقد اكتسب سمعة طيبة في أوساط الضباط لما عُرف عنه من شهامة وشجاعة وجرأة نادرة أكسبته ثقة زملائه الضباط لايمانه العميق بعقيدة القومية العربية وميوله الدينية حتى اكتسب لقب « الشيخ » الذي أطلقه عليه زملاؤه وأصدقاؤه ، وقد فاتح رفعت العقيد الركن نجيب الربيعي آمر اللواء الأول وقتها على فكرة ترأس الحركة بالنظر لما يتمتع به من أخلاق عالية وسمعة طيبة ويحظى باحترام ضباط

الجيش كافة ، وقد وافق على ذلك شرط أن يقوم رفعت بمفاتحة بقية الضباط ، وفعلاً نشط رفعت في هذا المجال واتصل ببعض الضباط الذين يشكلون موضع ثقته ومن ذوي السمعة الطيبة فأبدوا موافقتهم على ذلك وهم : المقدم طارق سعيد فهمي آمر كتيبة مدرعات والمقدم الركن إسماعيل علي آمر كتيبة مدفعية والمقدم عبدالكريم قاسم آمر فوج مشاة والرئيس الأول طاهر يحيى آمر سرية مدرعات والرئيس الأول الركن عبدالوهاب الأمين ضابط ركن القيادة والرئيس الركن داود الجنابي ضابط ركن القيادة والنقيب محسن الرفيعي ضابط استخبارات ونائب مساعد فوج الأول لواء الأول وبعض ضباط الهندسة واستمر رفعت يدعو الضباط الى زعامة نجيب الربيعي للحركة الذي وافق عليها الربيعي عند عودة الجيش الى العراق ، وكان هدفها القيام بحركة تطيح بالنظام على أن يتم التعاون مع أحد الوحدات العسكرية الموالية لهذا التنظيم ، لكن تم صرف النظر عنها عند عودة القطعات العسكرية الى بغداد بسبب الاجراءات الأمنية الشديدة التي اتخذتها السلطات آنذاك.[١] إلا ان التأثير الأكثر فاعلية على هؤلاء الضباط والذي هز نفوسهم كان مصدره الثورة المصرية التي قام بها ضباط الجيش في ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، حيث ألهمتهم القوة في البحث عن أفضل الوسائل للقيام بالثورة.[٢] فدعا رفعت الحاج سري كافة الضباط الذين سبق ان فاتحهم بالانضمام للحركة الى وليمة سمك « مسگوف » في جرداغ الهندسة ، وتحت هذا الغطاء عرض عليهم ضرورة القيام بانقلاب عسكري وتغيير نظام الحكم من ملكي الى جمهوري ، إلا ان أحد الضباط[×] المنتمين الى الحركة دخل يستصحب معه أحد الأشخاص المدنيين ويحاول فرضه على التنظيم وتشكيل حكومة يتولى الضابط منصب وزير الدفاع فرفض الضباط هذا العرض ثم غُض النظر عن الموضوع.[٣]

إلا ان الحركة أخذت بالتوسع واستقطاب العناصر الجيدة في أوساط الجيش ، ففي عام ١٩٥٥ عندما كان الفريق نجيب الربيعي قائداً للفرقة الثالثة ذهب اليه المقدم نعمان ماهر الكنعاني وهو من الضباط الأحرار وكان مكلفاً بمهمة امتحان نواب ضباط الفرقة ، فعرض على الربيعي الانضمام للحركة « بعد ان كان قد تنصل عن الاتفاق السابق » وبقي أسبوعاً كان يلتقي معه يومياً ويطرح عليه الموضوع ، إلا ان الربيعي اعتذر تلميحاً ، ونقل الكنعاني ما دار بينهما الى المرحوم رفعت فقال الأخير يظهر انه لا يزال لا يثق بقدرتنا على عمل شيء.(٤) وفي عام ١٩٥٦ فاتحه مرة أخرى رفعت بفكرة ترأسه للثورة إلا انه لقي عدم استجابة منه حتى في مناقشة الموضوع ، وقال له الربيعي : مَنْ منكم جمال عبدالناصر في التنظيم إذا كنت أنا فيه محمد نجيب.(٥)

وفي نفس الوقت الذي كانت فيه خلايا التنظيم تعمل وتنشط في بغداد كانت هنالك تنظيمات أخرى في مناطق أخرى من العراق تسعى الى نفس الهدف(٦)، وتعمل في إطار من السرية والكتمان منها تكتل المنصور ومقره معسكر جلولاء يرأسه عبدالكريم قاسم ويضم في عضويته عبدالسلام عارف وطاهر يحيى وأحمد صالح العبدي ، كذلك هناك تنظيم في بغداد يرأسه الرائد ابراهيم حسين الجبوري ويضم في عضويته فاضل البياتي وموسى ابراهيم.(٧) والثاني في الديوانية يرأسه النقيب إحسان البياتي وحسن الوائلي وهذا يرتبط بتنظيم بغداد.(٨) كما يوجد تنظيم في الموصل سمي بتنظيم الضباط الثوار يضم كلاً من المقدم محمود عزيز والرائد مجيد الجلبي والنقيب حازم العلي وغيرهم.(٩)

أما التنظيم الآخر فهو تنظيم الناصرية الذي يترأسه العقيد شاكر محمود شكري ويضم بعض الضباط من ذوي الاتجاهات القومية الذين يدعون

الى الوحدة العربية.[١٠]

ولكن تنظيم بغداد الذي يرأسه العقيد الركن محيي الدين عبدالحميد وتنظيم المنصور الذي يرأسه الزعيم الركن عبدالكريم قاسم كانا من أنشط التنظيمات بين صفوف الجيش وأكثرها حركة وأوسعها انتشاراً، وفي عام ١٩٥٦ قرر تنظيم بغداد تشكيل لجنة عليا تأخذ على عاتقها إعداد الخطط اللازمة لتنفيذ الثورة والاطاحة بالنظام فاجتمع كل من العقيد محيي الدين عبدالحميد والمقدم عبدالكريم فرحان والمقدم صبيح علي غالب والمقدم وصفي طاهر والرائد الطيار محمد سبع وقرروا تشكيل اللجنة العليا للضباط الأحرار.[١١] إلا انه في كانون الثاني من عام ١٩٥٧ تم دمج تنظيمي بغداد الذي يرأسه محيي الدين عبدالحميد مع تنظيم المنصور الذي يرأسه عبدالكريم قاسم وفي نيسان من العام نفسه تم انتخاب عبدالكريم قاسم رئيساً للجنة العليا للضباط الأحرار وانتخاب محيي الدين عبدالحميد وناجي طالب نائبين وأُنتخب رجب عبدالمجيد سكرتيراً للجنة العليا.[١٢]

وهكذا اكتمل تنظيم بغداد والمنصور ووحدت خلاياهما ووضعت الأهداف لها كما شُكلت عدة لجان لتنظيم العمل وهي:

١ ـ لجنة الخطط: وتضم العقيد الركن محيي الدين عبدالحميد والعقيد الركن ناجي طالب والعقيد الركن عبدالوهاب الأمين والعقيد الركن محسن حسين الحبيب.

٢ ـ لجنة الدعاية والتنظيم: وتضم المقدم الركن عبدالكريم فرحان والمقدم الركن صبيح علي غالب والعقيد المهندس رجب عبدالمجيد.

٣ ـ لجنة جمع المعلومات: وتضم الرئيس الأول الطيار المتقاعد محمد سبع والمقدم رفعت الحاج سري والمقدم وصفي طاهر.

٤ ـ اللجنة المالية: وتضم العقيد الركن محيي الدين عبدالحميد والعقيد

الركن محسن حسين الحبيب.

وكانت هذه اللجان تعقد اجتماعاتها ثم تطرح خلاصة هذه الاجتماعات على شكل مقترحات الى اجتماع اللجنة العليا للتنظيم.[١٣]

كما وضعت أهدافاً ومبادىء اعتبرت برنامج عمل لها في رسم سياستها على المستوى المحلي والقومي والعالمي.

وعقدت العزم على تنفيذ هذه البرنامج حال نجاح خطة الثورة لكي توضح هويتها أمام الرأي العام المحلي والعربي والعالمي وبذلك تكون قد حققت أماني الجماهير العريضة وتمثلت هذه المبادىء بما يلي :

١ ــ الاتفاق على إقامة حكم جمهوري وإزالة النظام الملكي لأنه لا يتمتع بثقة الشعب لما تميز هذا الحكم بالظلم والفساد.[١٤]

٢ ــ إزالة طبقة الاقطاع وإعادة توزيع الأراضي على الفلاحين بموجب تشريع قانون الاصلاح الزراعي.[١٥]

٣ ــ إقامة نظام ديمقراطي برلماني وتسليم الحكم الى الشعب عن طريق ممثليه ، وينفذ ذلك بعد فترة إنتقالية.[١٦]

٤ ــ تحرير العراق سياسياً واقتصادياً والخروج من حلف بغداد والالتزام بمقررات ومبادىء سياسة الحياد الايجابي.[١٧]

٥ ــ السعي لتحقيق الوحدة العربية وتكون الخطوة الأولى الانضمام الى وحدة مصر وسوريا.[١٨]

٦ ــ تشكيل مجلس قيادة الثورة بعد نجاح الثورة من بين الضباط الأحرار وتشكيل حكومة مدنية يكون أعضاؤها من بين الأحزاب السياسية المؤتلفة في جبهة الاتحاد الوطني.

٧ ــ دعم الشعب الفلسطيني بكل الامكانيات بالتعاون مع الأقطار العربية واعتبار قضية فلسطين القضية الأساسية للسياسة العربية.

٨ ـ إقامة علاقات مع دول المعسكر الاشتراكي.[١٩]

كما وضعت اللجنة العليا صيغة عمل يحافظ بموجبها الضباط على سرية العمل وكتمانه ويراعى الحذر الشديد في قبول المنتمين اليها لتجنب تسرب عناصر مشبوهة اليها، كما يفضل الضباط العاملون في الوحدات الفعالة والمهمة، على ان تتوفر فيهم مواصفات الروح الوطنية والسمعة الطيبة، وسعت اللجنة في ضوء ذلك بالتحرك على أكبر عدد ممكن من الضباط الذين يعتمد عليهم، أما على الصعيد الداخلي لتنظيم الضباط فقد كان التأكيد يجري على موضوعين هما توعية الضباط ونشر مفاهيم التنظيم من خلال الاجتماعات التي تعقدها اللجان الفرعية والتي تؤكد على سرية العمل، كما اتفق الجميع على عدم استخدام الكتابة في تحديد الأهداف والقرارات المتخذة في الاجتماعات السرية خوفاً من وقوعها في أيدي الأجهزة الأمنية وعناصرها. وعلى هذا الأساس وقع الاختيار على بعض الضباط الذين كانوا على رأس القطعات العسكرية المهمة والتي تشكل قوة ضاربة في الجيش ومن الذين يتمتعون بالمواصفات التي أشرنا اليها والتي حددتها اللجنة العليا، ومن ضمنهم الزعيم الركن ناظم الطبقچلي آمر اللواء العشرين سابقاً واللواء الخامس لاحقاً والزعيم الركن عبدالعزيز العقيلي آمر اللواء الرابع، والعقيد الركن خليل سعيد آمر اللواء الثالث، ففوتح الأول من قبل العقيد محي الدين عبدالحميد والثاني من قبل المقدم رجب عبدالمجيد أما الثالث فكان من نصيب المقدم صبيح علي غالب.[٢٠]

المبحث الثاني

التخطيط للثورة ومحاولات التنفيذ

منذ أن تشكلت النواة الأولى لحركة الضباط الأحرار كان هدفها الرئيس هو القيام بثورة تطيح بالنظام وبرموزه إلا انه بعد ان اتسعت الحركة وأصبحت من الناحية التنظيمية أفضل عملاً وأنضج تخطيطاً ، عكفت على إعداد تفاصيل الخطط اللازمة للقيام بالثورة وتوفير سُبل نجاحها وتهيئة مستلزماتها ، وفعلاً حاول الكثير من الضباط المرتبطين بها استثمار الكثير من الفرص السانحة لتنفيذها إلا ان أغلبها كان يتسم بالارتجال والاستعجال ، لا تأخذ بنظر الاعتبار حسابات العوامل المساعدة لضمان نجاحها ، لذا فقد طالب الكثير من الضباط بالتأني والاتزان وحساب كافة الخطوات المرسومة بصورة دقيقة ودراستها بحكمة. كما يرى هؤلاء ضرورة وجود التوازن بين الخطة والتنفيذ ، لأن أجهزة الأمن والاستخبارات منتشرة ، ومن جانب آخر قام البعض من أعضاء الحركة وخاصة أعضاء اللجنة العليا بالاتصال ببعض الأحزاب السياسية دون إستشارة سكرتير اللجنة المخول العقيد رجب عبدالمجيد ، فاتصل عبدالكريم قاسم بالحزب الوطني الديمقراطي وبالحزب الشيوعي بواسطة رشيد مطلك والمقدم وصفي طاهر كما اتصل العقيد رفعت الحاج سري بالسيد محمد صديق شنشل والسيد فائق السامرائي من حزب الاستقلال وكذلك اتصل العقيد عبدالوهاب الأمين بالسيد محمد مهدي كبه رئيس حزب الاستقلال.[٢١] كما اتصل عبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف

عندما كان اللواء التاسع عشر في « H3 »[٢٢]، وذلك في تشرين الثاني عام ١٩٥٦ .[٢٣] ويلاحظ من ذلك ان الضباط الأحرار لم يلتزموا بمبادىء وتعليمات الحركة وهذا يعني ان أُسس العمل التي أُقرت ومنها عدم الاتصال بأي طرف خارجي قد نُسفت من أصلها ، أو ان هناك اتفاقاً بين البعض من أعضاءها ان يتم الاتصال ببعض الجهات دون علم اللجنة العليا أو سكرتير اللجنة وهذا ما سيظهر بعد ذلك لنا. لذا فان هذا التصرف قد يجرد الثورة من عنصر المفاجأة التي يجب أن تتميز به. وبالرغم من كل ذلك لوحظ عدم الانسجام بين الضباط الأحرار فكانت الخلافات تدور فيما بينهم ، كما كانت لدى الكثير منهم تطلعات شخصية وكان البعض يحاول اقتناص الفرصة قبل غيره لتنفيذ الثورة في محاولة لحيازة المناصب المهمة فكانت المنافسة تجري دون أن يعلم أحد بالآخر. لكن البعض الآخر كان يتسم بالعقلانية والاتزان ووضع المصلحة العامة فوق أي اعتبار ، لذا لم يكن لهؤلاء أي دور في ساعات التنفيذ وسنلاحظ كيف تم استبعادهم ، فقد قال عبدالسلام عارف في إفادته أمام محكمة الشعب : « كثيراً ما كانت تعقد اجتماعات الهيئة العليا فتكون النتائج نظرية ومعظمها تكون جدلاً ، وفعلاً فقد انسحب كثير من الضباط من الهيئة »[٢٤] ثم يواصل إفادته أمام المحكمة ويذكر في نهايته : « وأخيراً قال لي قاسم : دعنا نجاملهم كأخوان وكي لا نفرط بأخوتنا وننفذ قسمنا ، ولكن العمل الحاسم بيني وبينك ، وفعلاً حاول كثير من ضباط الثورة معرفة وقت ويوم الحركة فأبينا الاجابة وكانت غايتنا الكتمان والمباغتة ».[٢٥] وبالرغم من كل هذه الخلافات فان تحركات الضباط الأحرار كانت تعكس تصميمهم على الاطاحة بالنظام مهما كلف الثمن ، إلا ان الشيء الذي تم الاتفاق عليه هو الاستفادة من أي قطعة عسكرية تمر ببغداد ويكون آمرها أو أحد قادتها من الضباط

الأحرار ، فتتم السيطرة على القطعة بمعاونة بقية الضباط ومن ثم القيام بتنفيذ الخطة ، تساعدها في ذلك القطعات المنتشرة في بغداد وأنحاء العراق الأخرى على أن يتم السيطرة عليها من قبل الضباط الأحرار المتواجدين في هذه القطعات لاسناد الثورة وتوفير الجو المناسب لنجاحها. وفعلاً فقد حاول الضباط استغلال الكثير من الفرص لتنفيذ الخطة لكن الظروف لم تكن ملائمة لهم ، وبنفس الوقت فقد تركت هذه المحاولات أثر كبيراً بين الضباط القائمين بالثورة وألقت بظلال كبيرة على مسيرة الثورة فيما بعد ، فقد انعكست بشكل صراعات دموية عنيفة بين الضباط المشاركين في المحاولات السابقة وبين الضباط المنفذين لثورة ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ ، وتركت هذه الصراعات سحابة سوداء على سماء العراق في حقبة معينة من تاريخه الحديث نتيجة سوء التقدير وضعف الوعي لدى هؤلاء الضباط وعدم إدراكهم لطبيعة ما يقومون به. فقد وضعوا طموحهم الشخصي فوق أي اعتبار تاركين المصلحة العامة في جانب آخر. غير آبهين بما يجري حولهم وما ينتظرهم مستقبلاً ، ورغم ذلك فقد بلغت المحاولات التي لم يُكتب لها أن ترى النور بحدود سبع محاولات سوف نستعرضها بإيجاز :

المحاولة الأولى : تشرين الثاني عام ١٩٥٦ :

في أثناء العدوان الثلاثي على الشقيقة مصر عام ١٩٥٦ وفي ساعات اشتداد الروح الوطنية لدى الشعب العراقي المساند لقرار التأميم المصري ، وفي ضوء الموقف السلبي للحكومة العراقية آنذاك من العدوان الثلاثي على مصر ، تحرك الضباط الأحرار في اللواء الرابع عشر المنسوب للفرقة الأولى الذي كان يجري تمارين في منطقة حمرين. فاجتمع العقيد الركن عبدالوهاب الشواف آمر الفوج الثالث في اللواء مع بعض الضباط الأحرار المنسوبين للواء لتدارس الموقف ، فاتفق الجميع على وضع خطة لاعتقال آمر اللواء سلمان

الدركزلي ومن ثم السيطرة على اللواء والتحرك به الى بغداد بمساعدة كتيبة المدرعات التي يقودها العقيد طاهر يحيى ، وقد أثارت هذه الخطة حماساً لدى الضباط ، إلا ان الرأي تغير لحظة الشروع بالتنفيذ فظهر ان الظروف المواتية لتنفيذها قد تخلق جواً لا يساعدها على النجاح ، فاستقر الرأي على تأجيلها لعدم ضمان نجاحها.[٢٦]

المحاولة الثانية ـ كانون الأول سنة ١٩٥٦ :

تقرر تنفيذها لدى عودة اللواء التاسع عشر من الأردن والذي كان بإمرة الزعيم الركن عبدالكريم قاسم ، على أن تستثمر فرصة مراسيم الاحتفال بعودته من الأردن بحضور الثلاثة الكبار « الملك فيصل ، عبدالإله ، نوري » ووجودهم على منصة الاحتفال مجتمعين في منطقة « H3 » ، وقد تم الاتفاق بين عبدالكريم قاسم وعبدالوهاب الشواف على تنفيذها ، إلا انهم عدلوا عن تنفيذها لعدم حضور نوري السعيد الاحتفال ، وأبدلوه باحتفال كبير حتى لا يثير الشكوك[٢٧]

المحاولة الثالثة ـ تشرين الأول ١٩٥٧ :

في عام ١٩٥٧ تقرر القيام بمناورات بالذخيرة الحية في منطقة بيخال في شمال العراق لعرض الأسلحة الأمريكية التي تم تجهيز الجيش العراقي بها ، على أن تجري بحضور الملك فيصل وعبدالإله ونوري السعيد ، فاجتمعت اللجنة العليا للضباط الأحرار وقررت وضع خطة لقيام بعض القطعات المشاركة بالمناورات بتحرك سريع لاعتقال الثلاثة الكبار ، على أن يتم التنسيق مع قطعات بغداد الموالية للثورة بالسيطرة على المراكز المهمة واعلان الثورة ، لكن الخطة بقيت ولم تنفذ بسبب سفر عبدالإله الى اليابان وفرموزا واعتذار نوري السعيد عن حضور المناورات ، وكان اللواء الذي يقوده

الزعيم خليل سعيد والفوج الذي يقوده عبدالسلام عارف هما المكلفان بتنفيذ الخطة.[٢٨]

المحاولة الرابعة ـ ٦ كانون الثاني ١٩٥٨ :

اتفقت اللجنة العليا للضباط الأحرار على استغلال مناسبة عيد تأسيس الجيش العراقي في ٦ كانون الثاني وتنفيذ خطة الثورة بواسطة القطعات المشاركة في الاحتفال والتي تكون بإمرة الضباط الأحرار ، ومن خلال المناقشات ظهرت خطتان ، الأولى طرحها عبدالكريم قاسم وتقتضي قيام دبابتان بفتح النار على منصة التحية التي يقف عليها الثلاثة الكبار ثم يقوم بقية الضباط الأحرار باعتقال المسؤولين والسيطرة على الوحدات العسكرية إلا ان الخطة لم تنل موافقة ورضا أعضاء اللجنة ، تحسباً من وقوع ضحايا من بين الحاضرين ، أما الخطة الثانية فطرحها العقيد الركن ناجي طالب وتعتمد في تنفيذها على كتيبة المدرعات التي يقودها عبدالرحمن عارف أثناء تحركها من معسكر أبي غريب الى معسكر الرشيد للاشتراك في الاحتفالات فتقوم بتطويق قصر الرحاب ودار الاذاعة والجسور واعتقال الرؤوس الثلاثة ومن ثم اعلان الثورة ، تعاونها في ذلك القطعات الأخرى الموالية للثورة ، إلا ان الخطة لم تنفذ لاعتذار عبدالرحمن عارف عن القيام بالمهمة بحجة عدم توفر العتاد الكافي لذلك ، بالرغم من ان الضباط تعهدوا بتوفيره له وللكتيبة.[٢٩]

المحاولة الخامسة ـ ١١ مايس ١٩٥٨ :

أخذت الخلافات تدب في أوساط حركة الضباط الأحرار لكثرة التأجيلات وبدأ التذمر يزداد بين الضباط وخاصة الشباب منهم ، فقرر البعض منهم تكوين هيئة تضم العقيد عبدالوهاب الشواف ورفعت الحاج سري

والمقدم وصفي طاهر وغيرهم بهدف القيام بحركة ضد النظام عند مرور أي قطعة عسكرية ببغداد يقودها الضباط الأحرار ، وفعلاً حانت الفرصة ، عندما تقرر مرور اللواء الخامس عشر ببغداد ، وآمره الزعيم أحمد محمد يحيى في طريقه الى البصرة ، فاجتمعت الهيئة المشكلة حديثاً في دار الرائد حسن مصطفى وتقرر استغلال الفرصة للقيام بالثورة ووضعت خطة لهذا الغرض وزعت بموجبها الواجبات على الضباط المشاركين وتحدد موعدها في يوم ١١ مايس عام ١٩٥٨ ، وقد ظهرت مواقف متباينة أثناء مناقشة الخطة فمنهم مَنْ أصر على القيام بها ، ومنهم مَنْ كان يرى ان العملية غير مضمونة النتائج والبعض الآخر كان له رأي مخالف ، لكن رغم هذه الآراء فقد توقف التنفيذ لأن اللواء تحرك الى البصرة بواسطة القطار ، ويلاحظ في هذه المحاولة كثرة الضباط الذي شاركوا فيها حيث قدّر بحدود مائة وأربعة عشر ضابطاً ، كما انها تعتبر من أكبر المحاولات التي كانت تستهدف النظام .(٣٠)

المحاولة السادسة ــ ٢٩ مايس ١٩٥٨ :

وتقتضي المحاولة الاستفادة من وجود الكبار الثلاثة مع قادة الفرق والمسؤولين في حفلة كلية الأركان التي تصادف ذكرى تأسيسها في ٢٩ مايس ١٩٥٨ ، وقدمت خطتان الأولى وهي خطة رفعت الحاج سري بقيام المدرعات الموجودة في معسكر أبي غريب والتابعة الى شعبة الهندسة باحتلال مراكز بغداد والبقية تقوم بمحاصرة المدعوين في الحفلة واعتقال الرؤوس الثلاثة واعلان الثورة من الاذاعة ، إلا ان وقت التنفيذ كان مقرراً له أن يتم مساءاً ، وبالنظر لكثرة المارة وصعوبة تنقل المدرعات بين السيارات والمواطنين فقد اتفق على النظر بالخطة الثانية التي طرحها عبدالغني الراوي والتي ترتئي تكليف بعض الضباط الأحرار بقتل نوري السعيد وعبدالإله أثناء الحفل بواسطة الغدارات واعتقال الملك فيصل ، ثم تقوم القطعات التي يقودها الضباط

الأحرار باحتلال المرافق الحيوية في بغداد ، وقد تأجلت الخطة الى وقت آخر بسبب سفر عبدالإله ونوري السعيد الى خارج العراق ، ثم صُرف النظر عنها.[٣١]

المحاولة السابعة ــ ٢٢ حزيران ١٩٥٨ :

في حزيران من عام ١٩٥٨ تقرر أن يقوم اللواءان التاسع عشر والعشرون المعسكران في جلولاء والمنصورية بمسيرة وتدريب ليلي فاستغل عبدالكريم قاسم آمر اللواء التاسع عشر الفرصة للاستفادة منها ، ووضع خطة لتغيير مسيرة اللواء والاتجاه الى بغداد والانقضاض على المراكز الحيوية واعلان الثورة فيها ، لكن المعلومات عن هذه الخطة تسربت الى أركان النظام فأخذوا يتابعون المسيرة مما اضطر آمرها الى تغيير رأيه والتخلي عن الفكرة ، واجراء المسيرة وفق ما تقتضيه قيادة الفرقة ، وبعد هذه الحادثة اتفق عبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف وعبداللطيف الدراجي على جعل خططهم في إطار كبير من السرية وعدم إشعار أي من الضباط عن التحركات.[٣٢]

أحداث كادت تعصف بالحركة

بالرغم من السرية الشديد التي أحاطت بعملها خلايا الضباط الأحرار إلا ان نشاطها السياسي انتشر بين صفوف الجيش بشكل مدهش فاستقطبت عدداً كبيراً من الضباط ، وكانت الفترة الممتدة من عام ١٩٥٢ ـ ١٩٥٦ هي فترة العصر الذهبي للحركة حيث استطاعت أن تكوّن نفسها وتنظّم صفوفها وتضع نظاماً داخلياً لتنظيماتها تضمنت فيها أهدافها وبرامجها ، ورغم التأكيدات المستمرة من قبل اللجنة العليا الموجهة الى خلايا التنظيم بضرورة الاحتراس واتخاذ الحيطة والحذر في التحرك وإحاطة النشاط السري بإطار كبير من الكتمان ، إلا ان الملاحظ على بعض عناصرها هو افتقارهم للحس الأمني وبُعدهم عن متطلبات العمل في مثل هذه المنظمة السرية ، فقد كان البعض منهم يكثر من الحديث في الأوساط العامة ويميل الى الثرثرة ولا يملك القدرة على ضبط النفس ، لأسباب كثيرة منها حب الظهور أمام الآخرين بمظهر الوطني الغيور ومنها التباهي أمامهم ، مماجعل الشكوك تحوم حول التنظيم وبالذات البعض منهم وسيظهر ذلك لاحقاً في بعض الأحداث التي مرت على التنظيم ورغم ذلك كله فقد أظهر الضباط سيطرتهم على التنظيم وتأثيرهم الكبير في أوساط الجيش إلا ان ذلك لا يلغي عدم تسرب بعض المعلومات الى أركان السلطة والتي كادت تودي بالتنظيم الى الكشف ، وهي نتيجة حتمية لعدم التروي في إتخاذ الاجراءات ، كذلك ضعف الحصانة الأمنية وعدم تقدير

المواقف بشكل جيد ، اضافة الى انتشار عيون السلطة بين أوساط الجيش إلا انها يبدو كانت آذاناً صماء وعيوناً معصوبة أو هكذا رُسم لها أن تكون ، لأنهم كانوا يستهينون بالمعلومات التي كانت تصل إليهم وكانوا يعتبرونها مجرد إشاعات وكلاماً لا يرتقي الى موضع الشك ولا يشكل خطراً على النظام ، وسوف نستعرض بعض الحالات التي تعكس طبيعة ما يجري بين الضباط والتي كانت تصل الى أركان النظام أو الى البلاط الملكي بواسطة المحسوبين على النظام أو المتعاونين معه بشكل تقارير أو أخبار سرية ، إلا ان الملاحظ على هذه المعلومات انها حالما تصل الى المسؤولين سرعان ما تنطفي دون أن يُعرف السبب.

حادثة مشتمل الكاظمية :

في تشرين الأول من عام ١٩٥٦ عُقد اجتماع في مشتمل يعود الى المحامي صفاء العارف ويقع في منطقة الكاظمية ، وهو شقيق المقدم إسماعيل العارف أحد الضباط الأحرار وقد دعي الى الاجتماع كل من عبدالكريم قاسم ومحيي الدين عبدالحميد وعبدالوهاب الشواف وعبدالوهاب الأمين وصالح عبدالمجيد السامرائي ورفعت الحاج سري ، وقد تم الاجتماع بحضور الجميع بإستثناء عبدالكريم قاسم ومحيي الدين عبدالحميد وعبدالوهاب الشواف ، وقد تم في هذا الاجتماع استعراض الأوضاع العامة في البلاد كما شمل الحديث أهداف الحركة ومستقبل الحكم ثم انفض الاجتماع. إلا انه في اليوم التالي وصل الى أسماع رئيس أركان الجيش الفريق الركن محمد رفيق عارف ما جرى بالاجتماع فأمر بإجراء تحقيق حول الموضوع ، فأنكر رفعت الحاج سري الاتهام الذي وُجه ضده ، لكن الضباط الذين حضروا الاجتماع تم تشتيتهم فنُقل رفعت الى قلعة صالح كضابط تجنيد ، ونُقل صالح عبدالمجيد الى منصب ملحق عسكري في الأردن

وإسماعيل العارف نُقل الى ملحق عسكري في أمريكا أما عبدالوهاب الأمين فقد بقي في منصبه مديراً لشعبة الحركات في وزارة الدفاع ، وهو الوحيد الذي لم يشمله النقل.(٣٣) ورغم ان هذا الموضوع قد شغل تفكير الضباط الأحرار عمن قام بإفشاء السر وإيصال المعلومات للمسؤولين ، فظن رفعت الحاج سري ان إسماعيل العارف هو الذي أفشى السر لأنه كوفيء بمنصب رفيع على حد اعتقاده ، كما حامت الشكوك حول صالح عبدالمجيد الذي عين ملحقاً عسكرياً في عمان والذي كان له موقف سيء من الثورة صبيحة ١٤ تموز ١٩٥٨ وبالذات من الرتل الهادي المتجحفل في الأردن ، لكن بعد قيام الثورة واعتقال الفريق رفيق عارف في معسكر الرشيد سأله رجب عبدالمجيد عن الذي أوصل له سر اجتماع الكاظمية لكنه رفض أن يخبره بشيء. . كذلك فعل المرحوم رفعت الحاج سري معه فرفض أيضاً ، إلا ان حفظي عزيز قام بزيارته الى السجن برفقة زوجته التي هي شقيقة رفيق عارف فسأله عن الذي أفشى سر الاجتماع ، فأخبرهما بأن عبدالوهاب الأمين هو الشخص المقصود ، وقام حفظي عزيز بإيصالها الى صديقه جهاد أحمد فخري الذي أخبر بدوره المقدم رجب عبدالمجيد. ومن جانب آخر التقى صبيح علي غالب في لندن باللواء المتقاعد غازي الداغستاني وسأله عن الذي أفشى سر الاجتماع فأكد له ان الذي نقل الخبر هو عبدالوهاب الأمين ، كما أكد إسماعيل العارف ان وفيق عارف آمر اللواء الأول الذي يعسكر في المسيب وشقيق رئيس الأركان رفيق عارف قد أخبره بأن أخاه قد حدثه عن عبدالوهاب الأمين في كيفية نقله لسر اجتماع الكاظمية ، كما قام صبحي عبدالحميد بتوجيه سؤال عن الموضوع الى وفيق عارف فأكد له ان الذي وشي بالاجتماع هو عبدالوهاب الأمين.(٣٤)

حادثة نعمان ماهر :

في نيسان من عام ١٩٥٧ دعا السيد علي حيدر الركابي سوري الجنسية كلاً من المقدم نعمان ماهر الكنعاني والمقدم شكيب الفضلي وهما من الضباط الأحرار الى داره ، وأثناء الحديث انطلق المقدم نعمان ماهر في حديثه يهاجم الاستعمار وعملاؤه كما قام بانتقاد الأوضاع في البلاد ، وبما ان السيد الركابي من الأصدقاء المقربين الى الأمير عبدالإله فقد نقل اليه في اليوم التالي ما جرى بالتفصيل ، فطلب اليه عبدالإله ان يدعو صديقيه مرة أخرى الى وليمة ثم استدراجهما بالحديث وتسجيل حديثيهما بواسطة آلة التسجيل ، إلا ان المقدم نعمان ماهر امتنع عن الحديث بأي موضوع يمس التنظيم والحركة ، وكذلك عدم انتقاد النظام وأوضاع البلاد ، وقد اتضح فيما بعد ان عبدالإله كان متخفياً في الدار وسمع الحديث.(٣٥) ورغم ذلك فقد تم اعتقال نعمان ماهر وشكيب الفضلي وجرى معهما تحقيق موسع استخدمت فيه وسائل متعددة تارة بالتهديد وأخرى بالوعيد والإغراء بمناصب رفيعة ، إلا انهما لم يبوحا بشيء ، وقد لعب الرئيس صالح مهدي عماش وهو من الضباط الأحرار البعثين دوراً كبيراً في تنسيق افادتهما بما لا يؤدي الى اعترافهما وتناقضهما.(٣٦) لذلك لم يتوصل المحققون الى شيء يذكر فتم احالة نعمان ماهر الكنعاني على التقاعد ونُقل شكيب الفضلي الى منصب ضابط تجنيد في أحد أقضية السليمانية.(٣٧)

حادثة المنصة :

في خريف عام ١٩٥٧ قامت الفرقة الأولى في الحبانية بمناورات عسكرية حضرها الملك فيصل الثاني وعبدالإله وكانا يشاهدانها على منصة مرتفعة ، فانفجرت قنبلة على مقربة من المنصة التي يقفون عليها فغضب القائد واعتبر الحادث مدبراً يستهدف المسؤولين وإفشال التمرين فطالب بإجراء تحقيق لمعرفة

المسبب الذي قام بذلك.[٣٨] فتم اجراء تحقيق مع الضباط الذين كانوا وراء الحادث ، فلم يتوصلوا الى شيء وأعطيت مبررات بعيدة عن الواقع بهدف إقناع القائد ، لأن التحقيق كان يجري بإشراف ضباط منتمين الى حركة الضباط الأحرار.

وفي ضوء ذلك أخذ الضباط الأحرار يقللون من تحركهم ويحرصون على أن يجري نشاطهم بحذر شديد لأن رجال السلطة أخذوا ينتشرون بين وحدات الجيش ، ومع ذلك فقد استطاع الضباط بحذرهم ويقظتهم أن يحافظوا على سرية اجتماعاتهم بعيدين عن أعين السلطة ، وقد ذكر عبدالكريم قاسم في إحدى أحاديثه للصحفيين العرب بعد قيام ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ قائلاً : « الحذر علّمني ان أجعل نوري السعيد والمتصلين بقصر الملك في حالة اطمئنان كامل لاخلاصي المتناهي وتفانيي في خدمة نوري السعيد وحماية القصر الهاشمي ، وقد حدث أكثر من مرة ان نقل إلي ان هناك مَنْ يثير حولي الغبار فكنت انتهز أول فرصة لأبدد أي شك في اخلاصي وولائي ».[٣٩] كما يذكر توفيق السويدي رئيس الوزراء السابق في العهد الملكي بمذكراته ان بهجت العطية مدير الأمن العام وقتذاك قد جاء قبل قيام الثورة بثلاثة أو أربعة أيام الى رئيس الوزراء أحمد مختار بابان وقدّم له معلومات عن الضباط الأحرار وحركتهم وقال له : ان انقلاباً عسكرياً سوف يقوم به بعض ضباط الجيش يطيح بالنظام قريباً وقدّم له معلومات عن الضباط الأحرار وحركتهم وبعد الاطلاع على مضمون التقرير ذهبوا معاً الى البلاط الملكي وسلّموا التقرير الذي اطلع عليه الثلاثة الكبار فيصل وعبدالإله ونوري السعيد فتم الاتصال بالفريق رفيق عارف رئيس أركان الجيش وأطلعه على التقرير فبادر حالاً الى تكذيبه وطلب عدم إعطاءه أية أهمية لأنه غير واقعي.[٤٠]

إن المتتبع لسير الأحداث والمراقب لحركتها تأخذه الدهشة من اللامبالاة

التي كان عليها رؤوس النظام تجاه ما يصلهم من معلومات عن حركة الضباط الأحرار وأسماء المنتمين اليها ، كما تأخذه الحيرة تجاه موقف الفريق رفيق عارف من الوشايات والمعلومات التي كانت تصل اليه . . ولماذا يعمد الى إجراء غير فعال تجاهها . . فهل ما قيل عنه بشأن تبنيه لعبدالسلام عارف هو في الحقيقة اتصال بالحركة فكان بهذا التصرف يدفع الأنظار عنها ، وهل وعداه عبدالسلام وعبدالكريم سراً بمنصب رفيع حال نجاح الثورة . . . وإلا فما الداعي لهذا الدفاع عنهم وعن تحركاتهم . . . اننا يمكن أن نستنتج من افادته أمام المحكمة العسكرية الخاصة التي عقدت جلساتها بعد الثورة والشهيرة بمحكمة المهداوي الشيء الكثير ، فقد أفاد بخصوص هذا الجانب بما يلي : « كانت تردنا أسماء ضباط يقومون بنشاطات ضد الحكم ولكثرة هذه الأسماء أخذنا لا نصدقها ونعتبرها معلومات كاذبة ».(٤١) كما ذكر توفيق السويدي بمذكراته على الصفحة ٥٩٧ بما يلي : « لقد اعترف الفريق رفيق عارف رئيس أركان الجيش متباهياً عندما جرت محاكمته بأنه كان متسامحاً كثيراً مع الضباط الأحرار وكان يغض النظر عن أعمالهم وحركاتهم ولم يتخذ أية اجراءات ضدهم مع انه كان يعلم بما كانوا يعملون ».(٤٢)

كما كان الفريق عارف يؤكد للبلاط في كل المناسبات وفي أحرج اللحظات ان الجيش يدين بالولاء الكامل الى البلاط ولا يمكن أن يقوم بأي نشاط معادٍ للسلطة ، كما ذكر أيضاً بنفس الجلسة من المحاكمات وفي نفس الصفحة المنشورة في الجزء الثاني من المحاكمات موضوعاً له علاقة بحركة الضباط الأحرار أشار فيها : « هناك قضية الضابط كمال عبدالمجيد كان يشتغل في الحرس الملكي ويظهر انه تفوه كما قيل لي باغتيال نوري السعيد الى أحد ضباط الشرطة ووصل الخبر من الشرطة الى عبدالإله وكيف طلبوا منا إتخاذ الاجراءات ضده وتسليمه الى الشرطة لغرض التحقيق معه ، خاصة

عندما سمع نوري السعيد بذلك فاستمر يصر على الاجراءات وتسليمه الى الشرطة ، فاكتفيت بأن أطلب من الاستخبارات إجراء تحقيق طفيف معه ثم اكتفينا بإحالته على التقاعد ليخلص من التعقيبات ، إلا ان التحقيقات أظهرت أوراقاً تخصه عندما كان طالباً في الكلية العسكرية ، وكنت مقرراً أن لا أسلّم أي ضابط للشرطة حسب طلب الوزير ، وتعرفون انه لم يجرِ ذلك بتاتاً لأني كما بينت كنت أشارك الضباط شعورهم وان واجبي يقتضي بأن أحميهم ». ان الذي يدقق في العبارة الأخيرة التي وردت على لسان الفريق رفيق عارف لا يفاجأ فيما لو قلنا ان الفريق عارف له علاقة بالضباط الأحرار ولكن تبقى الوثيقة هي الشاهد الأخير لحقيقة ما قلناه ، خاصة وان الفريق عارف لم يذكر أكثر مما قاله في المحاكمات فقد بقي صامتاً طيلة هذه الفترة ولا يشير لا من بعيد أو من قريب عن هذا الموضوع ، ورغم المحاولات الكثيرة التي بُذلت من قبل الباحثين والمهتمين بشؤون التاريخ لسماع أقواله بخصوص تلك المرحلة إلا انه كان يرفض بشدة الاجابة على كل ما يتعلق بهذا الموضوع ، رغم الفرص الذي أُتيحت لمناقشة تلك المرحلة المهمة من تاريخ العراق ، وخاصة الندوة التاريخية التي أقامتها مجلة آفاق عربية للمشاركين في ثورة ١٤ تموز أو الضباط الأحرار حيث تحدث الكل عن أدوارهم في تلك المرحلة في أجواء من الصراحة والنقاش الموضوعي.

تحذيرات تسبق قيام الثورة

يكاد يتفق أغلب المؤرخين أو السياسيين الذين عايشوا أحداث العراق في تلك الفترة من تاريخه المعاصر على ان أنباء التحركات السرية التي كانت تجري بين صفوف الجيش والتي توحي بوجود تكتل يستهدف النظام والاطاحة به ، كانت تصل في بعضها الى القصر على شكل تقارير سرية متضمنة أسماء الضباط الأحرار وخلاياهم السرية ومتضمنة تفاصيل هامة عن نشاطهم ، إلا انها سرعان ما تنطفيء ولا تجد مَنْ يتابعها أو يجري التحري الكافي عن مصادرها ومراقبة عناصرها لتحديد صحة هذه التقارير من عدمها ، وقد أخذ المهتمون بالتاريخ يحللون أسباب تجاهل القصر لهذه المعلومات وبالذات عبدالإله وعدم الاهتمام الكافي بها لا بل يصل الأمر الى حد الاستهانة بها رغم التحذيرات التي كان يؤكد عليها مرسليها سواء كانوا داخل العراق أو خارجه كما سنرى مفصلاً . . وخوفهم من نتائج هذا التجاهل ، ورغم تحذيرات الأجهزة الأمنيه والاستخبارية العراقية منها وأجهزة الدول المجاورة وبالذات مدير الأمن العام بهجت العطية وتأكيداته المستمرة على البلاط بضرورة اتخاذ الاجراءات المناسبة ضد هذه النشاطات ، إلا انه كان يُقابل ببرد عنيف وعلى لسان عبدالإله بالذات . . على الرغم من انه كان غير مطمئن للجيش وكان يعرب عن ذلك في مجالسه الخاصة ويؤكد حذره من الضباط الأحرار الذين كان يشك في اطاعتهم للأوامر فقد كان يعتقد

بأن هؤلاء وإن كانوا غير مطيعين إلا انهم لا يشكلون خطورة على النظام لأن صغر رتبهم العسكرية تحد من قدراتهم على القيام بعمل ما ضد النظام ، كما انه كان يعتقد ان نوري السعيد مسيطر على الجيش سيطرة كاملة ولديه القدرة الكافية على ضبطه ، رغم ان شكوكه كانت تحوم حول رفيق عارف رئيس أركان الجيش أو غازي الداغستاني قائد الفرقة الثالثة الذي كان يتمتع بسمعة جيدة بين أوساط الضباط أو الفريق نجيب الربيعي الذي كان الضباط يعتبرونه الأب الروحي لهم ، ورغم ذلك كله فان هذه المعلومات والتحذيرات كانت تزرع في نفوس النظام الخوف والهلع . وكانت تؤرقهم في منامهم وفي جلساتهم وفي كل حيز من تفكيرهم ، حتى ان نوري السعيد وبالرغم من انه يعتقد جازماً ان الجيش في قبضته ويؤيد سياسته ورغم انه كان يغدق عليه وخاصة الضباط من رواتب عالية واتاحة وسائل الراحة أمامهم ، إلا انه كان حذراً جداً ، ويحسب حساباً لكل صغيرة وكبيرة ، وكانت كلما تصل المعلومات والتحذيرات عن نشاط الضباط في الجيش يزداد هلعهم وخوفهم ، فقد كان عبدالإله يدرك انه غير مرغوب فيه وان العراقيين شعب لا يقبله ، وكانت هذه المعلومات تؤرقه كثيراً ، كما انه كان يصرح في بعض مجالسه الرسمية والخاصة بانه إذا كان الشعب العراقي لا يرغب ببقائنا فنحن على إستعداد لمغادرة العراق فهو الذي طلب الأسرة الهاشمية وهو الذي بايعها على الحكم والوثائق الرسمية تؤكد ذلك ، فإذا حصل شيء خلاف ذلك فسوف نرحل ونترك السلطة ، كما يضيف بعض ضباط الحرس الملكي الذين كانوا عن قرب من عبدالإله بأنه كان يعيش حالة يأس قاتل في أيامه الأخيرة بسبب فشله في السلطة وفشله في حياته الخاصة التي تمخضت عن ثلاث زيجات لم ينجب فيها طفلاً ، فزادته تعقيداً . اضافة الى ذلك فقد كانت الأنباء تصله بين آونة وأخرى تنبىء بأخطار جسيمة تهدده فكان يسهر الليالي وكان يعب

الخمر لكي يبتعد عن هذه الأجواء . . وهذا ما سنذكره بالتفاصيل في الفصول القادمة ، أما تفاصيل التحذيرات التي كانت تصل الى البلاط والتي تنذر بالخطر فانها لم تنقطع حتى آخر يوم من عمر النظام .

فقد وصلت أولى التحذيرات حول تحرك ضباط الجيش الى البلاط في الفترة التي سبقت أحداث العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ، حيث وردت إحدى الرسائل الى العقيد علي الصانع المرافق الأقدم للوصي عبدالإله تدعوه فيها للانضمام الى حركة الضباط الأحرار وقد أُحيلت الرسالة الى الاستخبارات العسكرية .

إلا ان الحدث الأهم الذي استرعى انتباه البلاط الملكي هو قيام شخصين يرتديان الملابس العربية بإيقاف موكب الملك فيصل الثاني وتسليم رسالة الى الجندي الذي يرافق الموكب من على دراجته البخارية وكان هذا الجندي مخصص لاستلام العرائض ، وقد أخبراه بأنهما ضابطان في الجيش ولا يرغبان بذكر اسميهما حتى لا يتعرف عليهما أحد من المواطنين ، حتى الملك نفسه ، والتمساه أن يسلّم الرسالة الى الملك شخصياً وقد وردت في هذه الرسالة معلومات عن أسماء الضباط الأحرار ونشاطاتهم بين صفوف الجيش ، فتم احالتها الى استخبارات اللواء الملكي الذي أحالها الى الاستخبارات العسكرية .(٤٣) أما الحدث الذي هز القصر فهو حادث السيارة التي انفجرت عند باب القصر نتيجة قنبلة موقوتة وضعت في غطاء السيارة ، فلم يقتل فيها سوى بستاني لأن أفراد العائلة المالكة ونوري السعيد كانوا داخل أبواب القصر ، وقد أدى هذا الانفجار بالوصي الى الاحتراس فمنع دخول أية سيارة الى باحة القصر ، وقد وصل الأمر به انه قام بتنبيه والدته بشدة عندما أطلت من إحدى نوافذ القصر لترى سيارة جديدة من نوع بنتلي لا تحمل رقم القصر أوقفها عبدالإله أمام البوابة .(٤٤)

وحول هذه الحادثة يذكر تفاصيلها الملازم فالح زكي حنظل في كتابه أسرار مقتل العائلة المالكة في العراق على الصفحتين ٧٧ ــ ٧٨ منه : عندما رجعت من الباكستان بعد المشاركة في استعراض عسكري لدول حلف بغداد وجدت سيارة مرسيدس مهشمة بشكل كامل ومحترقة وضعت في مرأب قصر الزهور ، وقد علمت ان السيارة جاءت بوفد أردني لاستكمال مباحثات الاتحاد الهاشمي في قصر الزهور وبعد الانتهاء من المباحثات وفي اللحظة التي خرج فيها الوفدان الأردني والعراقي من باب القصر يودع بعضهم البعض ويتصافحون بالأيدي لاحظوا وميضاً يخطف الأبصار تبعه دوي انفجار شديد تطايرت على أثره أجزاء السيارة هنا وهناك ، فهرع أعضاء الوفدين راكضين الى داخل القصر بسرعة ، فيما نهض ضباط الحرس الملكي من بهو الضباط باتجاه الحادث حيث استمرت النيران تلتهم السيارة فيما وصل بعد قليل عبدالإله بملابس النوم وشاهد الى جانبها جثة بستاني القصر التي مزقها الانفجار فأمر بحمله ودفنه ، فيما تم إطفاء النيران بإشراف عبدالإله ، وحضر خبراء بالمفرقعات لتحديد الأسباب التي أدت الى الانفجار وكانت الآراء التي تضمنها تقريرهم بأن الحادث كان نتيجة تماس الأسلاك الكهربائية وارتفاع الحرارة في خزان الوقود. فاطمئن عبدالإله ونوري السعيد لنتائج التقرير ، وكان ذلك سبباً في التقاعس عن متابعة الحقائق ، فيما بعد ومنذ تلك اللحظة أخذت المعلومات السرية تصل الى القصر بازدياد مضطرد وهي تنبىء بوجود تنظيمات سرية في صفوف الجيش تستهدف النظام القائم متظمنة بعض الأسماء المقربة للبلاط الملكي ولرموز السلطة ، وكان مصدرها دوائر الاستخبارات والأمن العامة ، إلا ان البلاط كان يهمل هذه المعلومات وفي أحيان كثيرة كانت المعلومات التي تصل الى نوري السعيد لا يبلغها للقصر تجنباً لعدم ازعاج الملك وعبدالإله ، إلا ان الأمر وصل حداً غير معقول عندما

أخذت التحذيرات تصل الى الملك وعبدالإله مباشرة فكـان يستدعي رئيس الأركان رفيق عارف ويعرض عليه المعلومات فيهز هذا كتفيه وينفيهـا ويمتنع عن إجراء أي تحقيق أو تحرٍ عن الموضوع لأنه كان يرى ان التحقيق في صفوف الجيش يعني مساساً به ، وكان يزعم بأنه مسيطره على الجيش إلا ان الواقـع عكس ذلك فقد ظهرت في محاكمات المحكمة العسكرية حقائق هذا الموقف كما بينه الفريق رفيق عارف في افادته أمام المحكمة قائلاً : « كان هناك ضغط شديد عليَّ من فيصل وعبدالإله ونوري السعيد حول مقاومة شعور الضباط وكنت أقول لهم كيف يمكن ذلك والضباط هم جزء من النـاس بماذا يختلف الضباط عن الناس ، وكنت أُحرج بذلك مراراً أمـام الوزراء وعبـدالله بكر وكانوا يـرسلون لي إما مباشرة أو عن طـريق الاستخبارات معلومـات كثيرة تردهم من الشرطـة والتحقيقات ، ومن مصـادر أخرى عن فعـاليات بعض الضبـاط البارزين والصغـار من الأحرار وعن اجتمـاعاتهم ، ويـدعـون اني لا أعرف أصول التحقيق معهم ، ويلحون بإرسالهم الى الشرطة للتحقيق ، وكنت أحميهم جميعاً لأنني كنت أشعر بشعـورهم ، وأقدر أسبـاب استيائهم من الأوضاع وكنت أعرف ان هذا الشعور هو عام بـين الضباط ولا يقتصـر على الأسماء التي يرسلونها لي أو للاستخبارات . وكنت أكتفي بالنصيحة والرفق أو بالنقل لأولئك الضباط الذين يطلبون مني التشديد معهم . أرجو أن يشهد لي من هؤلاء الضباط الذين وردت أسماؤهم عن فعاليات واجتماعات كالمقدم شكيب الفضلي . ماذا فعلت له ؟ وكيف عاملته ؟ وكذلك المقدم رفعت الحاج سري والمقدم نعمان ماهر وحتى الزعيم عبدالكريم قاسم . اسألوه ؟ وصلتنا أخبار عنه أيضاً ، وكانت ترد الأسماء كما قلت من عبدالإله ونوري السعيد ، ويطلبون الاجراءات ضدهم . أذكر مثلاً أسماء طاهر يحيى وعبدالعزيز العقيلي وناظم الطبقچـلي ومحيي الدين عبـدالحميد الـذين كنت أرد عنهم التقولات

بعلمهم وبدون علمهم ، وكذلك شاكر محمود شكري وأخبرونا عن اجتماعاته بالزعيم جسّام والزعيم ناجي طالب والعقيد رجب عبدالمجيد. وكل هؤلاء الضباط هم من خيرة الضباط. فكيف لا يمكن ان أتفق معهم بشعورهم وأحميهم وأكافح في سبيلهم ثم هناك قضية الأخ الفريق الركن نجيب الربيعي وهو صديق حميم لي ، فقد مرت سنوات كان الضغط عليَّ شديداً لاخراجه من الجيش وكم كافحت في سبيل إبقائه وحتى وجدت النية في تأسيس آمرية فيلق اقترحت أن يكون هو آمراً له ولكنني في الأخير لم أجد قوة تجابه ضغطهم ، واسألوه كيف كافحت في سبيل نقله الى وظيفة محترمة وكافحت حتى في المحافظة على حقوقه وترفيعه الى رتبة فريق حتى بعد نقله ». (٤٥)

فالملاحظ ان موقف الفريق رفيق عارف من الضباط الأحرار وكما بينت افادته تنطوي على قدر عالٍ من التعاطف ، وان هذا التعاطف يخفي تحته سراً كبيراً لا يمكن ان يفصح عنه إلا الفريق عارف نفسه ، فقد كثرت التحليلات حول موقف الفريق عارف وعلاقته بالضباط الأحرار وبالذات عبدالسلام عارف. فقد أكد البعض ان الفريق رفيق عارف كان على اتفاق مع عبدالسلام وبعلم عبدالكريم قاسم على انه في حالة نجاح الحركة سوف يسند إليه منصب رئيس الجمهورية ، رغم عدم وجود الوثائق الدامغة ، وان عبدالكريم وعبدالسلام نكثا بهذا الوعد صبيحة الثورة وحرموه من المنصب الذي وعداه به كما حرموا رفاقهم أعضاء حركة الضباط الأحرار من تشكيل مجلس قيادة الثورة. وان الصمت الذي لازم الفريق عارف طيلة هذه الفترة هو تعبير عن امتعاضه منهما ومن الموقف الذي لاقاه من رجال الثورة الجدد باعتقاله وتقديمه الى المحكمة خلافاً لما هو متفق عليه ، ان هذا الصمت يعكس الألم الذي يعتصره تجاه هذا التصرف ، فلم يكشف لا عبدالكريم ولا عبدالسلام عن الموضوع شيئاً لا في تصريح ولا في حديث وبقي السر

في أعماق الفريق رفيق عارف إن كان هنالك سر.. وهو الوحيد القادر على الرد على هذه التحليلات والتقولات بعد وفاة قاسم وعارف..

وهكذا يزداد تقاطر المعلومات الى القصر والبلاط معاً، ففي مطلع صيف عام ١٩٥٨ وردت معلومات جديدة الى القصر عن تحركات بعض الضباط تستهدف النظام وكان مصدرها بعض ضباط الجيش، أما المصدر الآخر فهو بهجت العطية ولكن الوصي لم يعطِ للموضوع اهتماماً جدياً حتى ان العطية أخذ يتردد على الوصي بكثرة مما أزعجه، وقام بنقل التقارير الى الفريق رفيق عارف فكان يكذّبها ويتهم العطية بالتجسس وبالدس على الجيش إلا ان العطية تلقى في أوائل مايس من العام ذاته معلومات موثّقة عن خطة يدبرها الضباط الأحرار مشفوعة بتفاصيل عن أسمائهم تستهدف هذه الخطة القيام بانقلاب عسكري ضد السلطة، لكن العطية هذه المرة لم يقدمها للوصي لأنه يعلم ان مصيرها الاهمال وعدم المتابعة فلجأ الى وزير الداخلية سعيد قزاز وسلّمه المعلومات مشفوعة بقائمة تتضمن أسماء الضباط وطلب اليه تدبير أمره ومناقشة الموضوع مع البلاط فما كان من الوزير قزاز إلا وحملها الى الوصي وعرضها عليه فغضب عليه الوصي وعلى بهجت العطية الذي وصفه بأنه أخذ يتدخل في أمور الجيش فطلبه للحضور الى القصر وقال له: يا بهجت انني أمنع رجالك من الاندساس بعد اليوم في صفوف الجيش، وإلا فانني سوف أضعكم تحت طائلة العقاب. وعاد بهجت يروي ما حدث لبعض معارفه وأصدقائه قائلاً: ما العمل مع هؤلاء؟ انني في مركب واحد معهم، وانني سأموت معهم، انهم يرفضون حتى الاصغاء الى البراهين المسجلة المقدمة لديهم.(٤٦)

ثم جاء الانذار الحاسم الى القصر في شهر حزيران من عام ١٩٥٨ حين قدّم ضابط الاستخبارات في الحرس الملكي المقدم محمد الشيخ لطيف ملفاً

يحتوي على أسماء وتنظيمات الضباط الأحرار الذي ينوون الاطاحة بالنظام الملكي ووضعه أمام الوصي مع تفاصيل المؤامرة التي يعدونها واحداً واحداً ، وقد قرأ عبدالإله كافة الأسماء التي وردت في الملف والتي ضمت العديد من الضباط الذين رافقوه في فترات معينة من حياته سواء في وحدات الحرس أو الوحدات الأخرى[٤٧] ، ومنهم عبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف ورفعت الحاج سري وناظم الطبقچلي وناجي طالب وعلى الأثر اجتمع الوصي مع نوري السعيد والفريق رفيق عارف واستعرضوا كافة الأسماء فوجدوا ان أكثرهم من المقربين الى أركان السلطة فالزعيم عبدالكريم ربيب نوري السعيد وناجي طالب مقرب من القصر ومرافق الملك سابقاً وعبدالسلام على علاقة برفيق عارف والعقيد رفعت الحاج سري خاله جميل المدفعي ، فاتفق الثلاثة على ان يستدعي كل واحد منهم المحسوبين عليه ويصارحهم بالأمر ، وفعلاً فقد استدعى نوري السعيد الزعيم عبدالكريم في وزارة الدفاع وصارحه :

ـ كرومي . . يگلون انته تتآمر علينه ؟ ! وأردف قائلاً : ليش تخلي ذوله يلعبون بعقلك .

فأجابه قاسم مراوغاً بالنفي وأقسم له بأن هذه وشايات المغرضين للايقاع به وتشويه صورته مؤكداً وفاءه وولاءه للبلاط ، وخرج عبدالكريم بعد ان طمأنه نوري السعيد ، فالتقى بزملائه يطمأنهم ويحثهم على العمل بحذر وعليهم أن لا يفزعوا بينما سارع نوري السعيد يبلغ الوصي عبدالإله بأنه أجرى تحقيقاً مع عبدالكريم الذي يرأس المؤامرة المزعومة فثبت لي ان الأمر لا يعدو وشاية ، لقد كانت العلاقة بين نوري وعبدالكريم قوية جداً فقد كان عبدالكريم هو الابن المدلل لدى نوري السعيد وأكثر الضباط حظوة لديه ، وقد أمنت هذه العلاقة الحماية الكافية لقاسم من كل ملاحقة أو تحرٍ . لقد كان

قاسم يتقن التمويه والتزلف مع نوري السعيد ، وكان يوهمه انه سنده الأكبر فيما كان يعد في الخفاء نواياه مع بقية الضباط.[٤٨]

ويذكر الملك حسين بن طلال ملك الأردن بأنه قد حذّر ابن عمه الملك فيصل الثاني من خطر تحرك ضباط الجيش العراقي الذي يستهدف النظام موضحاً له بالتفاصيل خلايا التنظيم فقد ذكر : « لقد حذّرت شخصياً ابن عمي فيصل من هذا الخطر المهدد قبل اليوم المحتوم ، فقد جاءتنا أول الظنون والشكوك على أثر اعتقال ناصري يدعى أحمد يوسف الحياري وهو أردني من رجال كتيبة المدرعات الرابعة ، كان أحمد يوسف يعتزم اغتيالي واغتيال خالي الشريف ناصر في الوقت نفسه وكذلك بعض المسؤولين الآخرين عن طريق القاء قنابل خلال احتفال عام كان عليَّ أن أترأسه . . وعند اعتقاله أدلى باعترافات كاملة وأبلغ عن انقلاب عسكري تعده الجمهورية العربية المتحدة يفترض وقوعه في العراق والأردن في منتصف تموز « يوليو » ، وقد وفرت لنا المعلومات التي تم الحصول عليها فيما بعد ، تفاصيل المؤامرة وأسماء بعض المحرضين ، كان المفروض أن تقع المؤامرة في كل من بغداد وعمان في آن ، وكان أول رد فعل لديَّ هو تحذير ابن عمي فيصل فاتصلت به هاتفياً وقلت له : « لدي معلومات هامة لابلاغكم إياها حول « انقلاب عسكري » يدبر في العراق ، كونوا حذرين متيقظين ».

ـ سألني : بماذا تنصحني ؟

ـ فأجبت : ابعثوا لي أحداً ، يكون شخصية هامة ، ولسوف أعطيه سائر التفصيلات ، ولكن افعلوا بسرعة .

شكرني الملك فيصل وبعث إليَّ بالفريق رفيق عارف القائد العام لقوات الاتحاد العربي الذي وصل بالطائرة . لم يكن ثمة وقت يمكن اضاعته إذا ما أُريد اكتشاف المتآمرين في الوقت المناسب . ادخل عليّ الفريق عارف فور وصوله

الى عمان ، واني ما زلت أذكر المشهد ، كان معي رئيس الديوان ورئيس الوزراء والفريق عارف والقائد العام للقوات الأردنية ، قدّم ضابط من المخابرات لعارف بتأنٍ ودقة التفاصيل والاثباتات التي تمكنا من جمعها ، كنت من وقت الى آخر ألقي على الفريق عارف نظرات خفية كان يبدو عليه السأم والملل ، وفي ختام الحديث ، تمطى وضحك هذا الضحك المرح الفكه المعهود لدى كل العرب وقال :

يا صاحب الجلالة اننا جدُّ ممتن لجلالتكم . وانني أقدّر جهودكم ولكنني أريد أن أؤكد بأن الجيش العراقي مؤسَس على تقاليد متينة وهو على كل حال يعتبر أفضل جيش في الشرق الأوسط ، فهو لم يعرف المشاكل ولا التغييرات التي طرأت حديثاً على الشرق الأوسط ، وتوقف لحظة ليلتقط أنفاسه ثم قال : « لدي انطباع بأن الأحرى بنا نحن أن نقلق على مصير الأردن ، فهذا الانقلاب يهدد بلادكم فعلاً وليس بلادنا ، فأرجوكم أن تراعوا جانب الحذر والحيطة .

فصحت به : ولكن لا بد لك من ان تفهم خطورة الموقف والتهديد الذي يلقي بثقله على العراق أيضاً .

وأجابني : أؤكد لكم بأنني فهمت ، ولكنني أشك في ذلك ورجوته قائلاً : عدني على الأقل بأنك سوف تطلع الملك فيصل والسلطات على كل الوثائق التي أبلغناك إياها .

فأجاب : أعدكم يا صاحب الجلالة بأن الملك والحكومة سوف يجري ابلاغها ثم غادر الفريق عارف بعد ان فاه بهذه الكلمة ، لقد فعلت كل ما كان في وسعي لتحذير ابن عمي وابلاغه » .[49] هذا من جانب ومن جانب آخر فقد ذكر نذير فنصة في كتاب « طهران مصير الغرب » وهو مستشار الشاه سابقاً سوري الجنسية قائلاً : « في تموز/ يوليو من عام ١٩٥٨ وقبل أسبوع

من سقوط النظام الملكي في العراق استدعاني رئيس السافاك الجنرال تيمور بختيار ليكلفني بمهمة فريدة ، قال : ستسافر غداً الى استانبول حيث ينتظرك في المطار مَنْ يوصلك الى اليخت حيث يمضي الأمير عبدالإله ولي عهد المملكة العراقية عطلته وستبلغه الرسالة التالية : إياك والعودة الى بغداد بل اسع الى دعوة الملك فيصل الثاني للحاق بك في أقرب وقت ممكن الى هنا أو الى أي مكان آخر بعيداً عن بغداد » وأعلمني بختيار بأن هناك انقلاباً يعد في بغداد لقلب نظام الحكم العراقي ، طلبت منه مزيداً من التفاصيل ليتسنى لي الرد على الأمير عبدالإله في حال طرحه عليّ اسئلة واستفساراً فأجابني : أن ليس لديه المزيد من المعلومات ، وأضاف : لا أعرف الجهة المتآمرة على الملك لكنني متأكد من ان شيئاً ما يحاك ضده ، ومصادري موثوق بها. فأنا أكلفك بهذه المهمة لأسباب محض إنسانية تتعلق بحياة الملك فيصل ، فهذه القضية لا تدخل مباشرة في إطار حلف بغداد ، انها عراقية داخلية ولا تأثير لها مباشر على العلاقات العراقية ـ الايرانية فبالنسبة إلينا هي خارج حدود علاقتنا الدولية ».

سألت بختيار : هل أنقل الرسالة باسمك أو باسم جلالة الشاه فأجابني : باسمي وسألته أيضاً لماذا لا يوكل هذه المهمة لسفير إيران في تركيا أو لسفيرها في العراق ، غير انه لم يكن يؤمن بالأقنية الدبلوماسية ، فقال لي ان هذه المعلومات تسربت اليه بالسرية التامة ، ولم يكن يود أن يتخذ هذا التنبيه طابعاً رسمياً ، ولا أن يتسرب الى الجميع . . . التسرع الذي رافق مهمتي يدل بوضوح على مدى التأثير الذي يبديه الايرانيون ازاء أي تبدل في السياسة العراقية وقد لمست لدى الجنرال بختيار مدى تخوف الشاه من انزلاق العراق الى الناصرية.

لا شك ان العلاقات بين الشاه والملك فيصل الثاني لم تكن دائماً صافية

وقد سادها التوتر غير مرة لكن الشاه كما تبين لي ما كان ليرضى بسقوط العرش في بغداد ، فزعماء الخليج أنداده وكان يتناسى خلافاته معهم ساعة يشعر بالخطر عليهم ، وأيقنت ان بختيار عندما أوفدني الى اسطانبول إنما تصرف بإيعاز من الشاه أو على الأقل بالاتفاق معه.

سافرت الى تركيا في اليوم التالي. كان في استقبالي في المطار أحد موظفي قنصلية إيران ، فتوجهنا الى اليخت حوالي الساعة الحادية عشر والحر يكاد لا يطاق ، كان الأمير عبدالإله قاعداً في مقدمة اليخت وقد ارتدى ألبسة بيضاً كان بمفرده وكأنه في حالة سأم ، عندما رآني أيقن اني حامل اليه بنبأ هام ولذلك اختصر مراسم البروتوكول سألني بشيء من عجله : ما وراءك يا نذير ؟ أجبت اني سأعرض عليه الأمر فيما بعد لأني كنت أود أن لا أتكلم بحضور موظف القنصلية ، وبعد ذلك شكرت الموظف وصرفته ، ثم عرضت على الأمير رسالة بختيار فأتت ردة الفعل سريعة وقد امتازت بنوع من غضب إذ صاح : آف بختيار. ليعن الايرانيون بشؤونهم بدلاً من الاهتمام بشؤون الغير ، ليعنوا بجيشهم بدلاً من تلقيننا الدروس والنصائح ، أما أنا فركزت على ما جاء في الرسالة وقلت : يا سمو الأمير لا تقلل من شأن ما أنقله إليك ، فالجنرال بختيار لا يتكلم بخفه ، وهو الى ذلك يكنُّ لك عاطفة صحيحة ، لهذا السبب أوفدني إليك وهو لا ينسى انك من السلالة الكريمة ، سلالة أهل البيت. عند سماعه هذا الكلام ابتسم عبدالإله بمرارة وقال : نحن أهل البيت مكتوب لنا الشهادة ولا نموت إلا قتلاً ، حاولت التخفيف عنه فقلت : هذا كلام يا مولاي بل أحاديث خرافية قال : بل هي الحقيقة ، فالهاشميون يموتون شهداء.. اثناء الغداء الذي دعاني اليه رجوته ان لا يعود الى بغداد وان يعلِم الملك فيصل بما نقلته اليه ، فرفض رفضاً قاطعاً ، ولما لم أستطع اقناعه ، استأذنته مودعاً وكانت الساعة حوالي الثانية والنصف بعد الظهر وكان يبدو حزيناً مغموماً ،

فور عودتي الى طهران في اليوم التالي ، نقلت الى بختيار نتيجة مهمتي فصعق من تصلّب الأمير. وأيقن انه مشرف على نهايته ، كما الملك فيصل.

مرّ الليل دون ان أستطيع نوماً ، وعند الفجر صعقت عندما سمعت إذاعة بغداد تعلن : « هنا محطة إذاعة الجمهورية العراقية . ».[٥٠]

أما السيد جميل الأورفلي وزير الزراعة في العهد الملكي فيذكر بكتابه قائلاً : زارني في إحدى ليالي تموز الحارة من عام ١٩٥٨ وقبل أيام من قيام ثورة ١٤ تموز أحد زعماء الجيش العراقي وكنت أقيم في بستاني الكائن في الجادرية حيث يطيب الهواء فيه وتربطني بهذا الزعيم علاقة قوية ومتينة وهو يزورني دائماً بين آونة وأخرى ويجالسني الحديث حول أمور الساعة ، إلا انه في تلك الليلة كان حديثه على جانب كبير من الأهمية وهذا لما لمسته من خلال زيارته فقد قال : ان الجيش يتذمر ولا يرغب بالسفر الى الأردن ومن المصلحة عدم تسفيره ورفع هذا التذمر ثم أردف قائلاً : لماذا يُرسل الجيش الى الأردن في مثل هذه الظروف ؟ فقلت له ، ليس لي علم بحركة الجيش الى الأردن فمن المعلوم ان الجيش أصبح مرتبطاً بحكومة الاتحاد الهاشمي التي يرأسها نوري السعيد ، وقد فك ارتباطه بالحكومة العراقية التي يرأسها أحمد مختار بابان ثم تابعنا كلامنا وقلت : أيعني ان هذا التذمر سيؤدي الى قيام الجيش بحركةٍ ما ؟

قال : لا أدري ثم أنصرف . . علماً بان هذا الزعيم أصبح ركناً مهماً من أركان الثورة . . وفي الصباح ذهبت لزيارة رئيس الوزراء السيد أحمد مختار بابان وسألته عن سبب إرسال الجيش العراقي الى الأردن وأخبرته بأن الجيش غير راغب بالسفر ، هذا وقد قام السيد بابان بالاتصال بالأمير عبدالإله وأخبره بالمعلومات إلا انه لم يكترث للأمر.[٥١] وفي ركن آخر من مذكراته يذكر بان الزعيم الركن أحمد صالح العبدي هو نسيبه.[٥٢] وبما ان الزعيم العبدي أحد الذين رافقوا عبدالكريم قاسم في تنفيذ الثورة وأصبح بعد نجاحها رئيساً

لأركان الجيش والحاكم العسكري العام فيعتقد انه الشخص الذي قابله في تلك الليلة وهو الشخص الذي أصبح فيما بعد ركناً مهماً من أركان الثورة. كما يذكر الأورفلي في جانب آخر من مذكراته : زارني قبيل الثورة بأيام النائب أحمد العامر وأخبرني بوجود تحركات داخل الجيش ضد الوضع القائم ، فقام بإخبار رئيس الوزراء أحمد مختار بابان أوصلها بدوره الى الأمير عبدالإله ولكنه كالعادة لم يعطِ اذناً صاغية ولم يهتم للأمر فكان ما كان. . وبعد نجاح الثورة نُقل عن لسان عبدالكريم قاسم قوله : شكراً لحماقة هؤلاء الذين أتاحوا لنا الفرصة للقيام بالثورة وذلك بإمرارهم الجيش العراقي من بغداد الى الأردن.(٥٣) أما توفيق السويدي رئيس الوزراء السابق فيقول أخبرني أحد رؤساء العشائر وهو الشيخ غازي العلي الكريم شيخ مشايخ عشيرة ألبو عيسى في سامراء انه في يوم ١١ تموز ١٩٥٨ علم من مصدر يثق به ان بعض الضباط يعدون لانقلاب عسكري يستهدف القضاء على النظام نهائياً ، وعلى الفور ذهبت الى البلاط وقابلت الملك وأخبرته بما سمعت وكذلك ولي العهد عبدالإله لكنه لم يهتم للمعلومات ونصحني بالانصراف الى مشاغلي ، إلا انه في يوم ١٣ تموز تأكد لدى الشيخ غازي صحة المعلومات التي وصلت الى حد اليقين لكنه فضل البقاء في مكانه على ان يواجه الملك وولي العهد ليسمع نفس الكلام.(٥٤)

كما قام جميل عبدالوهاب وزير العدل بإشعار عبدالإله في ليلة الثالث عشر من تموز عن وجود مؤامرة بين الجيش وان اعضاءها من الضباط المعروفين وهم مجتمعين حالياً في بغداد بأطار من السرية والكتمان ويتحركون بحذر وخفية إلا ان عبدالإله رد عليه قائلاً : « ان هذا التحرك قد جرى بعلمه وان بعض القطعات العسكرية ستتحرك الى الأردن ، إلا ان جميل عبدالوهاب أصر على تأكيده للمعلومات وتحذيره للوصي عبدالإله بضرورة اتخاذ الحذر الكامل ، ويبدو ان عبدالإله قد اقتنع نوعاً ما بكلام جميل عبدالوهاب مما دعاه

للاتصال بالطيار الخاص للملك « جسّام محمد » وطلب اليه أن تقوم الطائرات بالتحليق في الجو في الساعات المبكرة ، إلا ان جسّام رد على عبدالإله قائلاً : بأن الموقف غير ملائم لخروج الطائرات من ملاجئها والوقت حالياً متأخر ، ولما تأكد جميل عبدالوهاب من ان الأمر بات خطراً وان البلاط يغط في نوم عميق غير مبالٍ بما ينتظره. . . اختفى في أحد الفنادق ثم تنكر بملابس عربية بمساعدة أحد الخدم وتوجه بالسيارة صباح الثورة الى بلدة « علي الغربي » بمساعدة أحد معارفه. . . و « علي الغربي » منطقة قريبة من الحدود الايرانية حيث تسلل عبر الحدود.(٥٥) أما الحدث الذي يلفت الانتباه ويحير الباحثين فهو ما ذكره توفيق السويدي في مذكراته حيث يقول : أخبرني أحد الأشخاص الذين أثق بهم بأنه ذهب ليلة ١٤ تموز الى دار نوري السعيد للتأكد من ان التدابير المتخذة في حالة مرور القطعات العسكرية لم تتخذ وحيث ان اللواء العشرين متأهب للحركة هذه الليلة الى الأردن فان أمراً بالانذار لم يصدر من رئاسة الأركان العامة فاتصل نوري السعيد برئيس الأركان الفريق رفيق عارف حوالي الساعة الحادية عشرة ليلاً فاستفسر منه عن موضوع الانذار فأكد له الفريق عارف بأن كافة الاجراءات قد أُتخذت بما فيها الانذار وقد ظهر بعد ذلك ان أي إجراء بخصوص الانذار لم يُتخذ خلافاً لكل الأعراف المعروفة في أوساط الجيش لدى مرور أية قطعة عسكرية.(٥٦) ان الملاحظ على أركان السلطة في تلك الفترة عدم اكتراثهم لما كان يجري في الخفاء وخطورة التهديد الذي يواجههم وخاصة الأنباء التي تصلهم من داخل الجيش ومن أوساط السياسيين ومن بين الناس ، وكذلك من بعض الأجهزة الاستخبارية الجارة والصديقة ، ولكن دون أن تعطي أهمية للموضوع . فلماذا كل هذا الاهمال. . . فحيثما تصل المعلومات مقرونة بالوثائق والأدلة الى المسؤولين وكما فصّلناها في هذا الفصل نجد انها تختفي تحت مكتب ولي

العهد أو رئيس أركان الجيش. . . لقد كانت ثقة السلطة بنفسها عالياً، كما كانت قناعتها بصعوبة قيام الجيش بحركة ضد السلطة لاعتبارات تنبع من كون الجيش مؤسس على تقاليد عسكرية واضحة وان قادة الجيش هم على مقربة من البلاط. لذلك فمن غير المعقول أن يلجأ الضباط الى مثل هذه المغامرات المجهولة النتائج. .

أما الملازم فالح زكي حنظل فيروي في كتابه أسرار مقتل العائلة المالكة على ص ٨٦ ـ ٨٧ منه فيقول: في مساء يوم الخميس المصادف ١٠ تموز ١٩٥٨ وبعد الانتهاء من ارتداء ملابسي العسكرية لغرض التوجه الى مدرسة المشاة حيث كنت أحد طلاب الدورة، طرق بابي صديقي الملازم عبدالرحمن السيد جواد وبعد ان ألقى التحية قال لي: لقد انتهت القضية يا فالح، فلواء العشرين الذي سيذهب الى الأردن ليقوم بتبديل رتل الهادي الموجود هناك، وحال تحركه ومروره ببغداد سيقوم باحتلالها واعلان الثورة على النظام، على ان يندفع اللواء التاسع عشر الذي يعسكر في المنصورية ويتقدم الى بغداد متعقباً لواء العشرين لاسناده في حالة اخفاقه واستثمار الفوز. . ورجاني ان أبتعد من الفوج وأن أطلب اجازة أو البقاء في البيت. . وان لا أتورط في المقاومة لأن القضية محسومة، وان كل مَنْ يقف مع النظام لا شفيع له. . . كما أكد لي انه جاء قادماً من معسكره ليقول له هذا الكلام. . ثم قبّلني وودعني وهو يرجوني أن أبتعد عن مواطن الخطر. . لقد اندهشت للخبر ووقع علي كالصاعقة. . . لكنه كان كبقية الأخبار التي سمعتها ولكن ليس بهذه الدقة. . . فحالما أقوم بإيصالها الى الأمير عبدالإله ستأخذ طريقها الى الاهمال كسابقاتها فتسجل في محضر ثم تحفظ في أحد أدراج مكتبه. . لذلك فضلت عدم إشعار عبدالإله بالمعلومات. .

أما صبحي عبدالحميد فيذكر في كتابه «أسرار ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨»

بخلاف كل ما قيل عن هذه الوشايات ، انه ثبت عدم علم الأجهزة الأمنية بتحركات الضباط الأحرار ولا أسماء منتسبيه ، كما عثر عبدالمجيد جليل مدير الأمن بعد الثورة على كتابين أحدهما صادر من مديرية الاستخبارات العسكرية وموجه الى مديرية الأمن العامة تسأل فيه عن نشاط الضباط الأحرار وأسمائهم ، والآخر جواب مديرية الأمن العامة الصادر في ١٣/٧/١٩٥٨ ، أي قبل الثورة بيوم واحد يؤكد عدم علمها بتفاصيل أسماء الضباط الأحرار ونشاطهم لكن الكتاب لم يوقع وذلك لقيام الثورة ، إلا ان الذي يقرأهما يستنتج ان هاتين الدائرتين ليس لهما علم عن التنظيم .

كتاب مديرية الاستخبارات العسكرية

الرقم : م/ق/٢٧/١٤١٠

التاريخ : ٥/٧/١٩٥٨

سري وشخصي

الى مديرية الأمن العامة

م/معلومات

إلحاقاً بكتابنا السري للغاية والشخصي المرقم م/ق١/٢٧/٩٠٢٧ في ١٨/١/١٩٥٨ . علمنا مؤخراً ان جمعية الضباط الأحرار آخذة في التوسع والنمو وربما تنوي القيام بحركة ضد الوضع القائم حيث ستؤيَد حركتها هذه من قبل الجمهورية العربية المتحدة وروسيا. وعليه نرجو تزويدنا بما استجد لديكم من معلومات عن هذه الجمعية وبأسماء الضباط أو الأشخاص المنتمين إليها. مع العلم اننا علمنا بأن لدى مديريتكم بعض أسماء هؤلاء سواء كانوا من المحالين على التقاعد أو من الذين لا زالوا في الخدمة والتفضل بإعلامنا بأسرع وقت ممكن .

الزعيم سيد أمين بكر
عـ/مدير الاستخبارات
العسكرية

جواب مديرية الأمن العامة

سري وشخصي

يرية الاستخبارات العسكرية

إشارة الى كتابكم المرقم م/ق/٢٧/١٤٠١ والمؤرخ في ١٩٥٨/٧/٥.

ثرت الأحاديث والاشاعات حول وجود جمعية الضباط الأحرار في صفوف ، وقيامها بأصدار نشرة خطية ، ولحده لم يتأيد لدينا حقيقة وجود مثل هذه ية بالرغم من الجهود المبذولة بهذا الخصوص ، سوى اننا علمنا ان بعض ط الاحتياط الذين كانوا في حامية راوندوز سابقاً كانت لهم بعض الأفكار مية التحررية وكانوا يبثون السموم بين الآخرين ، ومنهم الملازم الثاني تياط فاضل عقراوي ونائب ضابط الاحتياط هاشم ياسين اللذان تسرحا لجيش قبل عدة شهور ويقيمان الآن في الموصل ، كما وردت ذلك بالجريدة سية المرسلة طي كتابنا المرقم ٤١٦٠ والمؤرخ في ١٩٥٨/٧/٦ المعطاة ة لكم ، نرجو الاطلاع وإعلامنا عن صيغة المعلومات التي وردت حول سوع ليتسنى مضاعفة الجهود وتزويدكم بما يستجد بهذا الصدد.

بهجت العطية

مدير الأمن العام

هوامش الفصل الثاني

(١) الذاكرة التاريخية لثورة ١٤ تموز ـ ١٩٥٨ ـ دار الشؤون الثقافية، ص ٢٠، ١٩٨٧.
(٢) مجيد خدوري، العراق الجمهوري ـ ١٩٧٤، ص ٣٤.
(×) المقدم طه الشيخ أحمد.
(٣) الذاكرة التاريخية، مصدر سابق ص ٢١.
(٤) الذاكرة التاريخية، مصدر سابق، ص ٣١.
(٥) صبحي عبدالحميد، مصدر سابق، ص ٥١.
(٦) صبيح علي غالب، قصة ثورة ١٤ تموز والضباط الأحرار، دار الجاحظ، ص ٣٨.
(٧) فاروق الندرة ـ انطلاقة العراق ـ ١٤ تموز ١٩٥٨ ـ ص ٢٥.
(٨) ليث الزبيدي، مصدر سابق، ص ١١٠.
(٩) ليث الزبيدي، مصدر سابق، ص ١١١.
(١٠) ليث الزبيدي، مصدر سابق، ص ١١١.
(١١) صبيح علي غالب، مصدر سابق، ص ٤٤ ـ ٤٥.
(١٢) صبيح علي غالب، مصدر سابق، ص ٤٦.
(١٣) ليث عبدالحسن الزبيدي، مصدر سابق، ص ١٢٢.
(١٤) مجيد خدوري، مصدر سابق، ص ٤٢.
(١٥) مجيدي خدوري، ص ٤٢.
(١٦) مجيد خدوري، ص ٤٣.
(١٧) صبحي عبدالحميد، مصدر سابق، ص ٧٤.
(١٨) صبحي عبدالحميد، ص ٧٤.
(١٩) ليث عبدالحسن، مصدر سابق، ص ١٤٢.
(٢٠) صبحي عبدالحميد، مصدر سابق، ص ٥٠ ـ ٥١.
(٢١) ليث الزبيدي، مصدر سابق، ص ١٢٨.
(٢٢) H3 ـ منطقة على الحدود السورية ـ العراقية.
(٢٣) عبدالكريم قاسم ـ مبادىء ثورة ١٤ تموز في خطب ابن الشعب البار ـ ج ٢ ـ ص ٩٦.

(٢٤) المحاكمات ، مصدر سابق ، ج ٥ ، ص ٤٢٧ .

(٢٥) المحاكمات ، ج ٥ ، ص ٤٢٧ .

(٢٦) ثورة العراق ١٤ تموز ـ مكتبة حسين النوري ـ دمشق ، ص ٨٢ .

(٢٧) صحيفة الجمهورية ـ العدد ٨ ـ ٢٥ تموز عام ١٩٥٨ ـ بغداد ـ مقابلة مع عبدالكريم قاسم .

(٢٧) محسن حسين الحبيب ، مصدر سابق ، ص ٦٧ ـ ٦٨ .

(٢٩) محسن حسين الحبيب ، مصدر سابق ، ص ٧٠ .

(٣٠) ليث الزبيدي ، مصدر سابق ، ص ١٦٥ .

(٣١) صبيح علي غالب ، مصدر سابق ، ص ٨٢ ـ ٨٣ .

(٣٢) ليث الزبيدي ، مصدر سابق ، ص ١٦٩ .

(٣٣) صبيح علي غالب ، مصدر سابق ، ص ٥٣ .

(٣٤) صبحي عبدالحميد ، مصدر سابق ، ص ٤٨ .

(٣٥) محسن حسين الحبيب ، مصدر سابق ، ص ٦١ ـ ٦٢ .

(٣٦) ليث الزبيدي ، مصدر سابق ، ص ١٣٤ .

(٣٧) محسن حسين الحبيب ، مصدر سابق ، ص ٦١ .

(٣٨) خليل كنه ، مصدر سابق ، ص ٣١٠ .

(٣٩) صبيح نشأت الحلي ـ ١٤ تموز يوم خالد ـ بغداد ـ ١٩٥٩ ـ ص ١٣ ـ ١٤ .

(٤٠) مذكرات توفيق السويدي ـ دار الكتاب العربي ـ تموز ١٩٦٩ ـ ط ١ ـ ص ٥٩٥ ـ ٥٩٦ .

(٤١) محكمات المحكمة العسكرية ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٤٢٥ ـ ٤٢٦ .

(٤٢) توفيق السويدي ، مصدر سابق ، ص ٥٩٧ .

(٤٣) الملازم فالح زكي حنظل ـ أسرار مقتل العائلة المالكة في العراق ـ ص ٦١ .

(٤٤) العقيد جيرالد غوري ـ ثلاثة ملوك في بغداد ـ مصدر سابق ، ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨ .

(٤٥) المحكمة العسكرية الخاصة ، مصدر سابق ، ص ٢ ، ص ٤٢٥ .

(٤٦) جريدة الحياة ـ مجزرة قصر الرحاب ـ بيروت ، سنة ١٩٦٠ ، ص ٢٩ ـ ٣٠ .

(٤٧) فالح زكي حنظل ، مصدر سابق ، ص ٤٥ .

(٤٨) جريدة الحياة ، مصدر سابق ، ص ٣٢ .

(٤٩) الملك حسين ـ مهنتي كملك ـ ص ١٤٠ .

(٥٠) نذير فنصه ـ طهران مصير الغرب ـ ص ٥٧ ـ ٥٨ .

(٥١) جميل الأورفلي ، ذكريات وزير سابق ، ص ١٧٥ ـ ١٧٦ .

(٥٢) جميل الأورفلي ، مصدر سابق ، ص ١٨٣ .

(٥٣) جميل الأورفلي ، مصدر سابق ، ص ١٧٨ .

(٥٤) توفيق السويدي ـ مذكراتي نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية ـ ص ٥٩٦ ـ ٥٩٧ .

(٥٥) العقيد جيرالد دي غوري ـ ثلاثة ملوك في بغداد ، مصدر سابق ، ص ٣١٦ .

(٥٦) توفيق السويدي ، مصدر سابق ، ص ٥٩٧ .

الفصل الثالث

الأوضاع العامة في بغداد

في أواخر الربيع وأوائل الصيف من عام ١٩٥٨ شهدت الساحة السياسية في بغداد غلياناً جماهيرياً واسعاً ، بفعل التغيرات الجذرية التي حصلت في الأوضاع السياسية العربية انعكس بشكل مباشر على الوضع الداخلي في العراق . . حيث قامت الوحدة العربية بين مصر وسوريا فابتهجت الجماهير العربية في كل مكان ، وتفاعلت هذه الجماهير مع المد الثوري القومي المتصاعد الذي اجتاح المنطقة العربية . . . إلا انه بنفس الوقت أعلن عن قيام الاتحاد الهاشمي والذي شمل العراق والأردن ، وجاء كرد على قيام الوحدة بين سوريا ومصر . . حيث أظهرت حكومة العراق وقتذاك موقفها المعادي من هذه الوحدة بشكل صريح ، فتصاعدت نقمة الجماهير من جديد على النظام لهذا الموقف المشين ، بنفس الوقت كان الساسة العراقيين ذوي الاتجاهات القومية والوطنية يتناقلون فيما بينهم أنباء الدور الذي يجب أن تضطلع به جبهة الاتحاد الوطني التي انبثقت قبل أقل من عام والتي ضمت الأحزاب الوطنية والقومية في العراق . فأصبحت مركز استقطاب للجماهير في تحقيق طموحها المنشود . .

أما على صعيد الجيش فقد كثرت الأنباء حول تحركات الضباط الأحرار وأصبح الناس يتناقلون أخبار هؤلاء الضباط وكانت آمالهم معلقة بهم . وهم الصفوة الخيرة من ضباط الجيش العراقي المؤهلين للقيام بالدور التاريخي وإعادة الصورة المشرقة للعراق ، خاصة وان الساسة العراقيين التقليديين الذين على رأس النظام بدت عليهم دلائل الشيخوخة وكبر السن وازداد إيغالهم في التعاون مع الاستعمار البريطاني ، فهذا نوري السعيد بلغ من العمر سبعين عاماً وبدت عليه آثار الشيخوخة والكبر إلا ان دماغه لا يزال محشواً بالأحلام الرفيعة .[1] التي يمني نفسه بها في قيام الدولة الكبرى التي تضم

اضافة الى الاتحاد الهاشمي دولة الكويت وربما سوريا لتحقيق حلمه ، إلا انه في منتصف حزيران من عام ١٩٥٨ هبطت معنوياته الى درجة متدنية فقد أخذ يكافح من أجل وضع قاعدة اقتصادية متينة للعراق وشعر ان اصدقاءه يتجاوبون معه ببطء.[٢] وعلى الرغم من انه كان من رجال الجيش والساسة العراقيين الشجعان ومعروف عنه ولاؤه المطلق للعائلة المالكة وللاستعمار البريطاني ، إلا انه في الفترة الأخيرة من حياته السياسية اصطدم مع بريطانيا بخصوص انضمام الكويت للاتحاد الهاشمي ، فشعر بالاحباط والخذلان تجاه سياسة بريطانيا لأنها لم تستجب لمطالبه بخصوص الكويت ، ففي الوقت الذي كان الأردن يمتلك خطوط مواجهة طويلة مع إسرائيل مما يتطلب أعباء مالية كبيرة والأردن عاجز عن الايفاء بها لذلك فمن الأفضل انضمام الكويت للاتحاد الهاشمي وهي المعروفة بإمكانياتها المالية الهائلة بفضل الموارد النفطية المكتشفة ، لكي يكون بمستطاع الاتحاد الوقوف على قدميه.[٣] وقد حاول نوري السعيد تقديم استقالته للملك ثم طلب ابلاغ السفير البريطاني عن انزعاجه من موقف بريطانيا. فبادر السفير الى طلب مواجهة نوري السعيد فاجتمع به في داره لمدة ثلاث ساعات انفجر بعدها نوري السعيد بوجه السفير قائلاً : أو أن أبلغكم وانني المعروف بصداقتي لكم.. ان سياستكم في المنطقة ككل قد فشلت والجميع يخاصمونكم وسوف يكون العراق في صف خصومكم طالما انكم ساهمتم بخلق هذا « البلاء » أي إسرائيل في قلب الوطن العربي لتهديده ، وكلما حاول العرب الدفاع عن مصالحهم ووجودهم تقفون في وجوههم وتمنعونهم من ذلك. لذلك أتوقع ان كل صديق لكم سوف يُقتل ويُسحل في الشوارع ، وعندما طلبنا منكم انضمام الكويت الى الاتحاد الهاشمي باعتباركم الدولة المسؤولة عن علاقات الكويت الخارجية تمانعون وتخلقون الأعذار ، ان موقفكم يحول دون تسخير الموارد العربية في الدفاع ضد

الخطر الاسرائيلي الذي أصبح يهدد الوطن العربي.. لقد تجاوزت السبعين من عمري قضيتها في تمتين الصداقة معكم غير اني وجدتكم تعاملون خصومكم أفضل من أصدقائكم.. وانني أؤكد لك أيها السفير، بمقدوري أن أصبح بطلاً وطنياً يُرفع على الأعناق وذلك بأن أقوم بمحاولة قد تكون ناجحة أو يائسة إرضاءاً للرأي العام العراقي والعربي، لذلك فانني أفضل الانزواء في قرية صغيرة بأوربا وانني على يقين ان أشخاصاً آخرين سيظهرون ويلقنونكم درساً ويرغمونكم على تغيير سياستكم الخاطئة أو التسليم بمطالبنا.⁽٤⁾ ومن جانب آخر أبدى نوري السعيد انزعاجه من الوضع في لبنان وقد أظهر هذا الانزعاج لسفير الولايات المتحدة الأميركية في بغداد ولدمار غلمن لدى لقاءه به في ١٢ تموز ١٩٥٨، وقد أخذ يلح عليه نوري السعيد لمعرفة ما ستفعله الولايات المتحدة الأميركية لانقاذ لبنان على حد تعبيره فلم يستطع السفير الأميركي تطمين نوري السعيد إذ لم يكن لديه شيء يستطيع تطمينه به.⁽٥⁾ ولم يقتصر الانزعاج على نوري السعيد فقط بل كان الأمير عبدالإله يعبر بين آونة وأخرى في مجالسه الخاصة أو العامة عن امتعاضه من الوضع العام وموقف بعض الدول الصديقة وكذلك من موقف الجيش والساسة العراقيين، ففي إحدى المرات وصلته معلومات عن تحركات ضباط الجيش ونشاطهم ضد النظام وخاصة ان البعض منهم كان يعرفهم بشكل جيد وعملوا بالقرب منه فعلق على ذلك قائلاً: «ان غالبية هؤلاء الضباط أصدقاء لي وانهم ولا خلاف عرفوني جيداً وأيقنوا انني غير صالح لحكم العراق وأردف قائلاً: أما أنا فعلى علمي بأن هؤلاء الضباط جميعاً وطنيون ومخلصون وقد يفيدون العراق أحسن مني، فإن كانوا لايريدونني فانني أترك وفيصل معي العراق».⁽٦⁾ كما كان تحسين قدري رئيس الديوان الملكي يميل كغيره من الساسة العراقيين المخضرمين أمثال نوري السعيد وغيره الى التقاعد

عن العمل خاصة وانه عمل في البلاط الملكي منذ تولي الملك فيصل الأول العرش على العراق عام ١٩٢١ ، لذلك اعتبر نفسه شبه متقاعد خاصة وان عمره قد وصل مرحلة الشيخوخة.[٧] أما الملك فيصل الثاني فقد بلغ من العمر الثالثة والعشرين عاماً وبدأت تظهر مواهبه ، مما يدل على ان السنوات القليلة التي انقضت منذ استلامه مهامه الدستورية قد بدأت تترك عليه آثارها ، إلا ان تأثير خاله الأمير عبدالإله بدا واضحاً ، لكن احتكاكه برجال السياسة العراقيين المخضرمين من أمثال نوري السعيد والسويدي وبابان ترك آثاراً إيجابية على تفكيره فأصبح يدرك طبيعة ألاعيب السياسة ومداخلاتها وقد كان نوري السعيد أكثر الساسة العراقيين تقرباً اليه حيث كان يتمنى للملك ان يزيد من اهتمامه بالجيش ويمد أواصر الصداقة معهم لتزداد شعبيته بين أوساط الضباط وليضمن بالتالي ولاء الجيش له.[٨] لا سيما وان والده وجده عرفوا كيف يصنعون لهما قاعدة جماهيرية ، أما هو فلم يترك له عبدالإله أي فرصة ليفتح قنوات مع الجيش أو الشعب مما جعل عبدالإله يزداد قلقه في الأيام الأخيرة من حياته . . . وبهذا الخصوص يذكر السيد جميل الأورفلي بعض المواقف التي تعكس قلق عبدالإله على مستقبله فيذكر : حضرت الى قصر الرحاب في اجتماع استدعيت إليه من قبل رئيس الديوان الملكي وقتذاك السيد عبدالله بكر لحضور جلسة وزارية باعتباري وزيراً في وزارة عبدالوهاب مرجان في عام ١٩٥٧ وحضر الجلسة كل من الوزراء : الدكتور نديم الپاچهچي وبرهان الدين باش أعيان والدكتور عبدالحميد كاظم وعزالدين الملا وعلي الشرقي وجواد الخطيب وعبدالرسول الخالصي وحضر رئيس الوزراء الاجتماع . . وانعقدت الجلسة برئاسة الملك فيصل وبحضور رئيس الديوان حيث يسجل ما يدور في الجلسة . . فابتدأ الأمير عبدالإله الحديث قائلاً ما معناه « ان الأسرة الهاشمية جاءت الى العراق

بناءاً على رغبة الشعب العراقي ومبايعته للملك فيصل بن الحسين باستفتاء عام جرى في عام ١٩٢٠ فإذا لا يرغب الشعب في بقائنا وأذا أراد نقض البيعة فاننا سنرحل ولن نبقى ساعة واحدة في العراق. . ثم نهض الى المكتبة المجاورة وأخرج نص الوثيقة التاريخية التي تمت بموجبها البيعة للملك فيصل الأول وأخذ يتلوها على الحاضرين مؤكداً رغبته بالتخلي عن العرش إذا أراد أهل العراق.[٩]

مما تقدم نستنتج ان ولي العهد عبدالإله غير مطمئن لوضعه ومستقبله في العراق ، وانه على علم بما يجري في أوساط الجيش أو بين الناس من تحدٍ للنظام وكره شديدين لا يدركها إلا مَنْ عاصر تلك الحقبة من تاريخ العراق المعاصر ، وقد وصل الغليان الجماهيري أشده وكاد أن ينفد صبره. وفعلاً كان الجيش هو السبّاق الى حسم الموقف. . . ان رؤوس النظام بدأوا يدركون ان مصير نظامهم بدأ يهتز خاصة وان المنطقة أقبلت على ظروف جديدة ، حفّزت الجماهير على تحدي النظام ومجابهته خاصة وان هذا النظام بدأت قواه تخور تدريجياً.

هدوء يسبق العاصفة

لقد كان كل شيء في بغداد يوحي بالهدوء والسكينة ، فقد استهل تموز موسمه بموجة حر شديد دفعت برؤوس النظام الى مغادرة بغداد ، فنوري السعيد سافر الى لندن منذ حزيران بصحبة عائلته على أمل أن يقضي فترة الصيف كله فيها ، وتبعه عبدالإله فسافر الى استانبول لقضاء فترة من النقاهة هناك ، لكن الأوضاع السياسية في بغداد تنبىء بحدوث مفاجئات لا يعلم نتيجتها أحد. . فقد غطت أحداث لبنان على كافة أحداث المنطقة ، وكانت الاذاعات المصرية توجه برامجها السياسية الى الجماهير العربية وتحرّضها على السعي لاسقاط أنظمتها العميلة. . بالمقابل ترد إذاعة بغداد على هذه البرامج الموجهة ضدها بإثارة روح المعارضة والتمرد على حكومة عبدالناصر. . ففي الوقت الذي كان المعلّق اليومي لاذاعة بغداد يهاجم سياسة عبدالناصر القومية ، في الوقت نفسه يبشّر العرب بمستقبلهم الموعود في ظل الاجتماع القادم لمجلس حلف بغداد ومن جانب آخر كانت وسائل الاعلام العراقية تركز على نشاطات وتوجهات السياسة الجديدة لحكومة الاتحاد العربي الذي يضم العراق والأردن في محاولة لاشغال الناس عما تبثه الاذاعة المصرية ضد العراق. . وهذا بلا شك يعكس قلق حكام بغداد من الحالة السياسية واضطراب الوضع العام في أنحاء العراق[١٠]، وكان أكثرهم قلقاً هو الأمير عبدالإله ، ففي تلك الفترة اشتدت الأنباء التي كانت ترد الى البلاط وهي أنباء

مؤكدة في غالبيتها عن تحركات بعض ضباط الجيش في الوحدات العسكرية المختلفة ، إلا ان هذه الأقاويل لا تجد لها صدى في البلاط الملكي . ففي صيف عام ١٩٥٧ تم الاعلان عن خطوبة الملك فيصل الثاني على الأميرة فاضلة إحدى أقارب الملك فاروق ملك مصر السابق وهي من سلالة آل عثمان وقد قابل الشعب العراقي هذه الخطوة بخيبة أمل تجاه خطيبة الملك فهي لا تعرف الشعب العراقي ولا يعرفها ، وقد شاع في تلك الفترة ببغداد ان الأمير عبدالإله ولي العهد يطمح في عرش العراق لذلك فهو يسعى لتأخير زواج ابن اخته الملك فيصل ، وقد كان يأمل أن يموت الملك فلا يكون له صبي يرثه ويرث ملكه ، وقد كان الملك مصاباً بـ « الربو » وقد حاول خاله أن يداويه بشكل غير صحيح لكي يبقى عليلاً ويحقق أمنيته ، وكان الأمير زيد عم عبدالإله يصرح في أحاديثه ومجالسه عن نوايا عبدالإله ، فلما شعر عبدالإله بذلك وحوصر بهذه الأقاويل بادر الى خطبة الأميرة عائشة كريمة الملك محمد الخامس ملك المغرب الى الملك فيصل إلا انها رفضت الزواج منه ، لذلك فوجيء الرأي العام بعد حين باعلان خطبة الملك فيصل على الأميرة فاضلة ، وقد سافر رئيس الوزراء علي جودت الأيوبي الى تركيا بصحبة رئيس الديوان الملكي لاكمال مراسيم الخطبة ، وكان علي جودت الأيوبي نفسه قد زوج الملك غازي الى الملكة عالية .[١١] لقد كانت الأميرة مصدر شؤوم للعائلة المالكة فهي تنتمي الى أسرتين ملكيتين تم اقصاؤها عن عرشيهما الأول عرش الامبراطورية العثمانية والثاني عرش الملك فاروق في مصر ، فما هو مصير العائلة الهاشمية ؟؟ أما الملك فيصل فقد كان سعيداً بها وقد اصطحبها معه الى بغداد في إحدى الزيارات وتجولا في قصر الزهور ، كما زارت الأماكن المقدسة في كربلاء والنجف .[١٢] ولكن هذه السعادة لم يُكتب لها الدوام ، ولم يُكتب للأميرة فاضلة أن تحمل اسم الملكة ، فقد كان طالعها سيئاً على نفسها

وعلى الأسرة الهاشمية في العراق.

في الوقت الذي غادر فيه علي جودت الأيوبي رئيس الوزراء العراقي الى تركيا لحضور حفلة خطبة الملك فيصل الى الأميرة فاضلة ، انتهز فرصة وجوده هناك فالتقى بالسيد عدنان مندريس رئيس وزراء الجمهورية التركية وتحدثا حول موضوع تغلغل الشيوعية في سوريا وحث الدول العربية على التدخل للحد من هذا التغلغل وأبدى إستعداد تركيا للتعاون بهذا المجال ، فرد عليه الأيوبي بأنه يقدّر الخطر الذي يحتمل وقوعه في سوريا من جراء تواجد الشيوعية فيها ، إلا انه يأسف لعدم إمكان التدخل بالقوة لتغيير الوضع في سوريا لأن بيننا عهود ومواثيق ، وعند عودة الأيوبي من تركيا ارتأى أن يمر ببيروت قبل مجيئه الى بغداد لقضاء بضعة أيام فيها ، إلا انه وهو في بيروت وجهت الحكومة السورية له دعوة لزيارة دمشق خاصة وان الملك سعود يتواجد فيها حالياً ، فاتصل الأيوبي ببغداد حول إمكانية قبول الزيارة لوجود خلاف حاد بين بغداد ودمشق ، فكان جواب بغداد بالايجاب وفعلاً توجه فوراً الى دمشق واستقبل استقبالاً كبيراً ، في وقت كانت فيه الجيوش التركية ترابط على الحدود السورية شمالي حلب ، وقد سئل وقتها عن إمكانية العراق بالدفاع عن وسوريا في حالة تعرضها للعدوان فأجاب : يعتبر ان هذا العدوان واقعاً عليه وسوف لن يبقى مكتوف الأيدي. وعلى الفور تناقلت الأنباء والاذاعات هذا التصريح لأن العراق يرتبط مع تركيا بميثاق بغداد وكان هذا التصريح بمثابة الضربة القاصمة التي وجهت الى هذا الحلف. وقابلت الصحف التركية التصريح باستنكار شديد أما الصحف العربية وجماهيرها فقد قابلته بالتهليل وباركت هذه الخطوة التي أعلن عنها المسؤول العراقي وموقفه العربي الجريء. أما عبدالإله فقد ضيق الخناق على الأيوبي وأنهى حكمه بأسرع وقت.[١٣] لقد كانت الأقدار تنبيء بأحداث مجهولة ، إلا انها

بنفس الوقت تجري بطريقة غريبة كأن وراءها شخص كتبها وفق سيناريو خاص ، ففي الوقت الذي كانت الاستعدادات تجري على قدم وساق لسفر الملك الى استانبول ومن هناك الى لندن للقاء خطيبته حيث كان الملك مستعجلاً للسفر ولا يقبل أي سبب للتأجيل حيث حدده في يوم الثامن من تموز ١٩٥٨ إلا انه في السابع من تموز التقى عبدالكريم الأزري بالسيد توفيق السويدي وأخبره ان قانون الخدمة الخارجية وقانون توحيد النقد الاتحادي والبنك المركزي في الاتحاد قد أنجزا ولم يبق لنشرهما سوى يومين ولكي يكون جاهزاً فيجب أن يوقع بامضاء الملك وحيث ان الملك سيسافر في ٨ تموز ١٩٥٨ أي في اليوم التالي لذلك فقد رجاه أن يتوسط لدى الملك لتأخير سفره الى ٩ تموز ، وقد ذهب السويدي الى الملك وقابله وفاتحه بالموضوع مبيناً موقف وزير المالية مؤكداً ان تأخير يومين لا يقدم ولا يؤخر شيئاً فأجابه : « طيب سنتأخر ليوم ٩ تموز ». ولكن الأقدار تشاء والانسان يشاء شيئاً آخر ففي يوم ٨ تموز وردت برقية من شاه إيران الموجود في واشنطن يذكر فيها انه قابل الرئيس الأمريكي آيزنهاور ولديه معلومات يود إيصالها لمجلس حلف بغداد ، وحيث انه سيمر باستانبول في طريق عودته الى طهران وسيكون هناك يوم ١٤ تموز ١٩٥٨ لذلك يود لو يجتمع رؤساء دول الحلف في استانبول في ذلك اليوم عند ذلك اضطر الملك لتأجيل سفره ثانية الى يوم ١٤ تموز ، وهيأ بذلك القدر نهاية حكم إمتد من عام ١٩٢١ ولغاية عام ١٩٥٨ ، لقد وقّع الملك القانون وتحققت رغبة الوزير عبدالكريم الأزري وزير مالية الاتحاد ، وكأنه قد وقّع صك الموت(١٤)، فكما كان القدر متربصاً بالملك ، كان أيضاً متربصاً بالأمير عبدالإله ، فقد كان يقضي الصيف في استانبول هرباً من حر بغداد اللافح في ذلك الصيف ، إلا انه عاد فجأة الى بغداد ، وكأن عوامل لا إرادية دفعته للاستعجال بالعودة إليها تاركاً التمتع بجمال الطبيعة الأخّاذة والجو

اللطيف على البحر وهو يعتلي اليخت على شواطىء استانبول. . رغم ان بغداد كانت تمر بموسم من أشد المواسم حرارة ، فسئل لماذا عدت الى بغداد ؟ أجاب : لقد طرق سمعي ان بغداد مقبلة على قلاقل ومشاكل أثناء غياب الملك عن العراق فأراد أن يكون قريباً منها ليتمكن من معالجتها ، وهكذا عاد الى بغداد ليوقّع هو الآخر صك الموت على نفسه وسلك القدر نفس الطريق الذي اختاره ابن اخته الملك فيصل وحدده القدر.[١٥] أما نوري السعيد فيبدوا ان الظروف قد ساقته الى بغداد لكي يلقى حتفه مع انه كان قد سافر الى لندن في أواخر حزيران بصحبة زوجته لقضاء الصيف فيها وانقطعت أخباره بعد ان استقر هناك ، إلا ان الملفت للانتباه ان نوري السعيد كان قد التمس الملك فيصل الرجاء أن يبعث له ببرقية يطلب فيها حضوره الى بغداد ، وقد فعل الملك ما طلب منه نوري السعيد ، فأمر رئيس ديوانه عبدالله بكر أن يبعث البرقية قبل سفره وعلّق على طلب نوري السعيد : هل كان له شغل خاص أراد به الرجوع الى بغداد لقضائه فأراد أن يؤمن أجور السفر مني.[١٦]

وهكذا تجمّع الرؤوس الثلاثة أو الثلاثة الكبار كما يحلو للضباط الأحرار أن يطلقوا عليهم. . وهو الهدف المطلوب حيث كانوا يرسمون خططهم على تواجدهم معاً في وقت واحد ليسهل الانقضاض عليهم ، وكما أوضحنا في الفصول السابقة ، فهل جمعهم القدر صدفة في آنٍ واحد ليمهد لمصيرهم ، أمْ ان أموراً أخرى كانت وراء تواجدهم في بغداد.

المبحث الثاني

بغداد قبيل الثورة

لقد بلغ الغليان الشعبي أشده وكان الشغل الشاغل للناس في تلك الفترة هو الحديث عما سيقوم به الجيش بحركة تطيح بالنظام وتعيد للعراق وجهه الحقيقي . . وقد تكون هذه الحركة اليوم أو غداً أو بعد شهر . . ولم يكن الحديث يقتصر على أوساط معينة بل كان ينتشر بين أوساط الجيش والسياسيين والشباب المتحمس وكان الناس يسمعونه في الأماكن العامة أو في المقهى أو في المعمل . . وقد امتد الى النساء والشيوخ ، أما كيف ستكون الثورة ومَنْ سيقودها فتلك أمور يجهلها الكثير . . وقد كانت هذه الشائعات تصل الى القصر عبر قنوات عديدة كما ذكرناها في المباحث السابقة . . تساند هذه الشائعات ما تبثه الاذاعات الموجهة وخاصة الاذاعة المصرية ووكالات الأنباء من دعوى لاسقاط حكومة نوري السعيد وحلف بغداد ، وقد انعكست كل هذه الأوضاع على عبدالإله باعتباره حاكم العراق الأول . . وهو الذي أوصل الأمور الى هذا الحد ، وشوه صورة الأسرة المالكة في نظر العراقيين عندما نكل بأبنائهم ، وقد ظهر عليه البؤس والتعب حتى بدا غير راغب بالبقاء في العراق ، وقدلاحظ الكثير من الناس الذين رافقوه عدم اهتمامه بما يجري ضده بالخفاء واستهانته بالمعلومات التي كانت تصله مما يؤشر حالة اليأس التي وصل اليها وتكاسله في معالجتها ، ففي إحدى المرات التي وصلت معلومات الى القصر في أواسط شباط عام ١٩٥٨ كانت تشير فيها هذه

المعلومات الى وجود مركز لتجمع الضباط الثوار في منطقة المعسكرات « جلولاء ومنصورية الجبل » وكان الأمير يدقق بها حيث أفادت هذه المعلومات عن ان الرأس المدبر لها هو الزعيم عبدالكريم قاسم وهو المحرّك الرئيس لنشاطات الضباط ، فيروي الملازم فالح زكي حنظل أحد ضباط الحرس الملكي الذي كان حاضراً تلك الجلسة مع الأمير عبدالإله عندما ورد اسم الزعيم عبدالكريم استذكر في الحال اليوم الذي شاهد فيها عبدالكريم في ذكرى تأسيس الجيش العراقي في ٦ كانون الثاني عام ١٩٥٨ حيث جرى استعراض عسكري ضخم في معسكر الرشيد ، ألقى الملك فيه كلمة ، بعدها وقفت القطعات العسكرية المختلفة بالنسق الاستعراضي قبل التفتيش وكان فوج الحرس الملكي يقف بجوار لواء المشاة التاسع عشر ووقف آمره الزعيم عبدالكريم في المقدمة ، وقد بدا يصول ويجول أمام أفواجه بقامته العسكرية المشدودة كأنه سيف جُرِدَ من غمدة وبدا كل ما فيه قد خلق للجيش والقيادة ، وكانت الأوامر قد صدرت للقطعات بالوقوف بهيئة الاستعداد على أن يصدر آمر كل قطعة إيعازه لقطعته العسكرية بالاستعداد حال مرور الملك بسيارته من أمامهم ، وكان صوت عبدالكريم قاسم يشق عنان السماء رفيعاً ثاقباً ، صارماً ، حيث أوعز لقطعته بالاستعداد كبقية القطعات الأخرى إلا انه تميز عنهم بصوته الجهوري ، وكأنه أراد بذلك أن يثبت لأركان السلطة ولاءه لهم لكي يبدد كل الشكوك التي تحوم حول نواياه ، ولما وصلت عربة الملك بالقرب منه ، تمهلت السيارة قليلاً وترجّل الملك منها فالتقط فيلماً سينمائياً لعبدالكريم مدته دقيقتان أو ثلاث. لقد تخيلت ان الأمر هو عملية تمويه من عبدالكريم لكنها مكشوفة أمام الضباط وقد صدق ظني فيما بعد(١٧)، إلا ان الذي قاله عبدالإله لدى تدقيقه للمعلومات ، ان هؤلاء الضباط هم من ذوي الرتب المعروفة ، ونشاطاتهم هذه لا تشكل خطورة على النظام.(١٨) ان هذا التعبير

يعكس حالتين إما حالة يأس وافلاس أو حالة ثقة مطلقة بنفسه وبنظامه.. لا سيما وقد خاض عدة معارك سياسية لم ينسحق بأية واحدة منها ، كما جابه كل طواحين الحركات السياسية ابتداءاً من حركة مايس عام ١٩٤١ التي قام بها الضباط الأربعة ومعهم رشيد عالي الكيلاني والتي هرب فيها من المواجهة ثم عاد على ظهر مدرعة بريطانية بعد قتال شديد دام شهراً كاملاً بين الجيش العراقي والقوات البريطانية المتواجدة في العراق ، وبعودته بادر فوراً الى التنكيل بالضباط الذين نفذوا الحركة وشرد البعض الآخر منهم وأعدم الآخرين.[١٩] كما لم تهزه وثبة كانون الثاني عام ١٩٤٨ والتي جاءت رداً على معاهدة بورتسموث التي وقعها صالح جبر مع الانكليز ببنودها السيئة الصيت[٢٠]، ولم يتعظ من انتفاضة تشرين عام ١٩٥٢ باندفاعها الجماهيري التي لم يوقفها سوى الجيش ، بالرغم من ادعاءاته في كافة المجالس استعداده لمغادرة العراق مع ابن اخته الملك فيصل فيما لو كان الجيش والشعب لا يريدهما ، وبالرغم من معايشته لكل هذه الانتفاضات والحركات المضادة لنظامه سواء كانت جماهيرية أو من قبل ضباط الجيش ، إلا انه لم يتخذ قراراً بمغادرة البلاد ، كما لم يبدل سياسته وعلاقته بحليفته بريطانيا بل لم يعمل على تبديل الوجوه السياسية وتطعيم السلطة بعناصر وطنية ومخلصة ، ولم يسمح بوصولها الى المجلس النيابي بل كثيراً ما كانت سلطته تكم الأفواه وتخنق الحريات الديمقراطية وتغلق الأحزاب وتسحب امتيازات الصحف العراقية المعارضة.

إن الموقف الجديد المنتظر مواجهته يعبر عن مخاضات جديدة ما قدر لعبدالإله إدراك أبعادها واستيعاب أهدافها الكامنة ، وهي نتيجة لسياسته التي انتهجها والتي كان يسعى من خلالها الى تسعير العداء بين صفوف الجيش وأفراد الشعب عامة ، إلا انه وبالرغم من كل ذلك كان خائفاً من حدوث

حركة ثورية تطيح بنظامه ، لكنه كان يعتقد ان نظامه ما كان سينتهي بهذا الشكل أو ينتهي هو أيضاً ، فقد كان يحسب انه يمكن أن يهرب ويلجأ الى بلد عربي يحتضنه ويعيش هناك في عزلته ، أو قد كان يحسب انه سوف يهرب ويختفي ثم يتمكن من العودة بواسطة دول حلف بغداد ، أو كان يتوقع أن يحترمه رجال الثورة ويفعلوا معه مثلما فعل قادة الثورة المصريون مع ملكهم فاروق ، أي ان يجبروا الملك فيصل الثاني على التنازل عن العرش ثم يسمحوا له بحزم أمتعته وتسفيره بطائرة خاصة الى حيث يشاء ، بعد ان يعزفوا له ولآخر مرة السلام الملكي ، ويطلقوا له إحدى وعشرين طلاقة ويؤدي التحية له الضباط الثائرون تحت ظل العلم العراقي ، كانت حساباته مبنية على هذا التصور إذ كان يعتقد بأنه سوف يلقي النظرة الأخيرة هو والملك وأفراد عائلته على الأرض التي يغادرونها لآخر مرة ممزوجة بالدموع والحسرة على العرش الذي ضاع ، وعلى الأرض التي شهدت ولادة مملكتهم قرابة النصف قرن ، لقد كانت تلك أحلام عبدالإله في الأيام الأخيرة من حياته ، وقد امتزجت تلك الأحلام بالقلق والخوف ، وبانت تلك الحالة عليه كما يصفها مرافقوه وضباط حرسه الذين كانوا بالقرب منه ، ان الكوابيس التي كانت تؤرقه في كل دقيقة

أصبحت خطراً على حياته تهددها بين حين وآخر كما أصبح في حالة ضيق نفسي لا يتحمل فيها عبدالإله أي موقف ، ففي إحدى الليالي قدم الى القصر رئيس التشريفات لمقابلته ولما كان معروفاً من الحرس فقد أذنوا له دون إذن مسبق ، ولما فوجىء الأمير بذلك بعث بضابط الاستخبارات يؤنبه على هذا الفعل ، وقد قام الضابط بتوجيه اللوم على الضباط والجنود عكس فيه غضب الأمير وسخطه من هذا التصرف ، في ضوء ذلك انبرى البعض من الضباط يطلبون مضاعفة الحراسة والواجبات ، فصدرت الأوامر بتشديد الحراسة

والواجبات فأصبح الجندي لا يستطيع مغادرة الثكنة إلا بحالات نادرة ، ووصلت حداً لا يستطيع الجندي أن ينزع ملابسه لمدة ثلاثة أيام أو أكثر انعكس ذلك سلباً على الجنود فأصبحوا خائري القوى متعبين فراحت تنهال الشكاوى ، وعندما نقلت هذه الحالة للأمير عبدالإله كان يقول : اننا نمر بأزمة حرجة وموقف دقيق وسوف تنتهي كما انتهت سابقاتها ، لقد قالها بلهجة الخائف الخالي من الثقة.[٢١]

ويضيف الملازم فالح حنظل في كتابه أسرار مقتل العائلة المالكة على الصفحة ٧٩ ــ ٨١ عن الأمير عبدالإله في أواخر أيامه : لقد كان الأمير في حالة نفسية معدومة ، فلم أشاهده من قبل بهذه الحالة من الخمول والشرود الذهني حتى بدت على وجهه علامات الكبر وظهر تقوس على كتفيه ، وعندما كنت أؤدي له التحية العسكرية في إحدى الليالي أشار بأطراف أصابعه أن أجلس الى جانبه في صالة الاستقبال وبدا كأنه لا يريدني أن أطيل اليه بالكلام عندما حدثته عما يتناقله الناس من شائعات ، وشاهدته يتطلع أمامه على اليمين واليسار وقد بدا عليه انه زهق من هذه الأخبار التي تنبؤه بالفاجعة وأصبحت تلازمه كطعامه وشرابه اليومي ، فلم يعد بمقدوره أن يسمعها ، وعلى غير عادته لم يعلق بشيء بل شكرني وهز رأسه ، وهي أشارة الى انصرافي وعدم الاثقال عليه ، كما لمست في تلك الفترة التي سبقت قيام الثورة دخوله الى مكتبه المكتظ بالرسائل المختومة مهموماً فيخرج بعد حين وقد امتلأت الغرفة بالدخان وبكثرة أعقاب السيكاير ، كما ازداد وجهه عبوساً ، وبانت الحيرة في نظراته ، حتى انه لم يستدعني لفترة غير قصيرة بخلاف عادته ، ولم يعد يكترث لأحد و لم نسمع منه غير عبارة صباح الخير ومع السلامة التي كان يلقيها لدى مروره بنا.

وفي إحدى المرات التي شاهدته فيها وتكلم معي بخصوص ما يدور

بين الناس وما تتناقلته أجهزة الاستخبارات عن تحركات الضباط ونواياهم فخرجت كلماته بتثاقل وقال : « والله لم أعد أدري أين أنا . . لقد فاضت الكأس بما فيها » ثم التفت نحوي وقال تعال نتمشى في الحديقة ، وهبط من على مدرجات مدخل قصر الرحاب متوجهاً الى الطريق المؤدي الى الشارع العام ، فلفحتنا بعض نسمات تموز الحارة ، كان يسير ببطء وعلى طول الطريق لم يتكلم ، يلف بنا السكون فلا تسمع شيئاً إلا صوت جنود الدوريات والربايا الذين كانوا يؤدون التحية للأمير لدى مروره من أمامهم ، فكان يرد عليهم التحية بيد متثاقلة ، وعندما بلغنا مباني ثكنة الرحاب التفت نحوي وقال « تصبح على خير » وعندما كنت أؤدي له التحية العسكرية كان يسير باتجاه الجسر الحديدي الذي يمر فوق نهر الخر وقد لفه الظلام ، ثم اتكأ على حافة الجسر يتطلع الى المياه الراكدة في النهر ، وعندما كانت السيارات تمر من فوق الجسر مسلطة أنوارها على الرجل المتكيء تعباً على المسند الحديدي للجسر لم يكن يعلم سائقوها ان هذا الرجل هو الحاكم الفعلي للعراق. ولكن كيف يمكن أن يكون هذا الحاكم بهذه الحالة من الخور والانكسار. . ترى بماذا يفكر. . ولماذا كل هذا الضعف والوهن. . أهو الخوف من المصير المجهول. . أمْ من الجماهير التي رفضته طيلة وجوده على رأس الحكم. فمَنْ يقف معه إذن ومَنْ يسانده. . لقد أوشك أن يقف لوحده في الساحة ، فلا الجيش يسانده ولا الشعب يريده. . أما كان الأجدر به ان يتجاوب مع تطلعات الشعب في الحياة الحرة الكريمة ، لقد أحب الشعب العراقي عمه الملك فيصل الأول وبايعوه ملكاً عليهم ، وذهب وفد من أهل العراق الى الحجاز للقاء والده الشريف حسين بن علي بغية تنصيبه على عرش العراق. فتعلق الشعب العراقي به وبابنه الملك غازي من بعده. والذي بكاه الناس بمرارة عقب وفاته تحسراً عليه لأنه كان رمزاً للوطنية وملهماً للناس في التخلص من الاستعمار

والعبودية ، لذا لم يهدأ عملاء بريطانيا إلا بعد ان قضوا عليه بأن دبروا له حادث السيارة. كما تعلق الشعب العراقي بولده فيصل الثاني وأحبوه كثيراً ، أما عبدالإله فقد بقي منبوذاً من الناس لأنه نكل بأبنائهم وارتمى بأحضان الاستعمار يتسابق لتنفيذ أوامرهم ضارباً عرض الحائط آمال ومشاعر الشعب العراقي . . فكانت النتيجة وبالاً عليه ونهاية على ما يبدو كان يتوقعها . .

الصحف المحلية صبيحة الثورة وقبلها

لقد صدرت الصحف المحلية في العراق صبيحة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ المصادف يوم الاثنين وهي تحمل في طياتها أحداث وأخبار عن نشاطات العهد الملكي ، وتعبر عن يوميات هذا النظام والحياة العامة في تلك الأيام دون أن تعلم بما سيحدث صبيحة هذا اليوم الأغر ، كما أبرزت على صدر صفحاتها خبراً عريضاً عن سفرة الملك فيصل الثاني والوفد المرافق الى استانبول لحضور اجتماعات رؤوساء دول حلف بغداد ، فإذا كان يوم الأحد المصادف ١٣ تموز ١٩٥٨ هو آخر يوم من أيام العهد الملكي في العراق ، فانه يمثل الحد الفاصل بين عهدين هو العهد الملكي والعهد الجمهوري ، ومن أجل أن نلقي الضوء على الأوضاع اليومية في العراق من خلال صحافته الحافلة بالأخبار المتنوعة في كافة المجالات السياسية والفنية والاجتماعية والنشاطات الأخرى ، سنتناول في هذا المبحث أهم الصحف الصادرة في هذين اليومين كما سنعرض نماذج لبعض الأخبار والمقالات التي تصدرت صفحاتها اضافة الى ما نُشر على الصفحات الأخرى من أخبار متنوعة .

أهم الصحف الصادرة

١ ـ صحيفة البلاد : وهي صحيفة يومية سياسية تصدر بثماني صفحات مؤسسها المحامي روفائيل بطي ، توفي عام ١٩٥٦ وانتقلت الى ورثته

الذين واصلوا الاشراف عليها. . لم يكن لديها اتجاه سياسي معين، لكنها كانت تتعاطف مع سياسة الحكومة وتسايرها وهي من أقدم الصحف المحلية الصادرة وقتذاك.

٢ ـ صحيفة الشعب: وهي صحيفة سياسية يومية صاحب الامتياز فيها المحامي يحيى قاسم تصدر بثمان صفحات وقد عُرفت بموالاتها للنظام وتعبر عن وجهة نظره، كما كانت تنشر نشاطات أركان النظام المتعاطفين مع السياسة البريطانية.

٣ ـ الأخبار: وتصدر بثمان صفحات وهي يومية سياسية صاحب الامتياز جبران ملكون ويرأس تحريرها جوزيف ملكون وهي أيضاً من الصحف القديمة. وكانت تساير الحكومات المتعاقبة ويغلب عليها الطابع التجاري والأخباري.

٤ ـ الحرية: وهي صحيفة يومية سياسية يرأس تحريرها الصحفي المعروف المحامي قاسم حمودي أبرز أعضاء حزب الاستقلال وتتميز هذه الصحيفة بطابعها الوطني المعروف وباتجاهاتها القومية، وكانت لها مواقف مشهودة أمام النظام وقتذاك حيث كانت تتصدى له بجرأة ملموسة.

٥ ـ الزمان: وهي صحيفة يومية سياسية تصدر بثمان صفحات صاحب الامتياز توفيق السمعاني أما المدير المسؤول فهو المحامي محمود نديم اسماعيل، وقدغلب عليها الطابع التجاري، وعرفت بتأييدها للحكومات المتعاقبة في العهد الملكي ومسايرتها لهم وهي أيضاً صحيفة قديمة في العراق.

٦ ـ الحوادث: صحيفة يومية سياسية تصدر مساءاً صاحبها عادل عوني وتصدر بأربع صفحات وقد عُرفت بتأييدها للحكومات ومناصرتها

لسياستها كما كانت تتصدى للأحزاب السياسية وخاصة الوطنية منها.

٧ ــ اليقظة : وهي صحيفة يومية سياسية تصدر مساءاً صاحبها السيد سلمان الصفواني ، وقد عُرفت بمواقفها الوطنية والقومية وهو النهج الذي تميزت بها طيلة فترة صدورها وكانت تتبنى أفكار حزب الاستقلال.

٨ ــ الأوقات العراقية : وهي صحيفة سياسية تصدر يومياً ناطقة باللغة الانكليزية ، وقد أنشأتها الادارة البريطانية لدى دخولها العراق وأشرفت السفارة البريطانية على صدورها في بغداد ، وتعتبر من أقدم الصحف التي صدرت باللغة الانكليزية ، وبقيت مستمرة بالصدور حتى الغي امتيازها في ١٩٥٨/٧/١٤ وأصبحت تصدر فيما بعد بإشراف الحكومة.

٩ ــ الثغر : وهي صحيفة يومية سياسية تصدر في البصرة صاحبها شاكر النعمة وتعتبر من الصحف القديمة أيضاً.

١٠ــ المنار : صحيفة يومية سياسية تصدر أيضاً في البصرة وكانت تتميز بنهجها المستقل صاحبها عبدالعزيز بركات ويرأس تحريرها المحامي سامي فرجو.

١١ــ الناس : وهي صحيفة تصدر في البصرة أيضاً يومية سياسية صاحبها عبدالقادر السياب ويرأس تحريرها عبدالغفار المعتوق.

١٢ــ فتى العراق : صحيفة يومية سياسية صاحبها ابراهيم الجلبي ورئيس تحريرها المحامي محمود الجلبي وهي صحيفة متميزة بين زميلاتها ولها قراءها وتصدر في الموصل.

١٣ــ مجلة قرندل : وهي مجلة سياسية ذات طابع فكاهي وانتقادي تصدر أسبوعياً صاحبها الصحفي المعروف صادق الازدي وقد استمرت هذه

المجلة بالصدور حتى بعد قيام الثورة واعلان الجمهورية .

لقد تناولت هذه الصحف في صفحاتها كافة الأخبار المحلية والعالمية في كافة الميادين وقد كانت تتسابق فيما بينها لالتقاط الأخبار لشتى الأحداث ونشرها بين صفحاتها لجذب أكبر قدر ممكن من القراء دون أن تعلم ما كان يجري بالخفاء أو ما كان يعده الضباط الثوار ، فمِنْهم مَنْ كان يعد مقالات تساير الحكومات ومنهم مَنْ كان يضع اللمسات الأخيرة لمقالات كانت تغمز بالانتقاد سراً للحكومة وتتوعدها باليوم الموعود ورغم ذلك كله لم يكن أحداً يعلم ماذا سيجري صبيحة اليوم التالي . . ولغرض معرفة ما كتبت الصحف في اليومين الأخيرين أي اليوم الذي سبق الثورة وصبيحة يوم الثورة سوف نسلط الضوء على نموذجين لصحيفتين صدرت إحداهما يوم الأحد المصادف ١٣ تموز والأخرى يوم الاثنين ١٤ تموز . . فالأولى وهي صحيفة الحوادث تصدر مساءاً والثانية الأخبار تصدر صباحاً . .

صحيفة الحوادث

الاثنين ١٤ تموز ١٩٥٨ ٢٦ ذي الحجة ١٣٧٧ **العدد ٤٦٥٢**

صاحبها عادل عوني **الثمن : ١٢ فلساً**

الصفحة الأولى :

١ ـ الافتتاحية بعنوان « تهديد في محله » وتتناول هذه الافتتاحية قيام التجار وأصحاب الأعمال والمصانع في لبنان تهديدهم بالاضراب العام ما لم يتم الوصول الى تسوية الأزمة القائمة .

٢ ـ عناوين الأخبار :

آ ـ الصلح « رياض » يقول ان الانتخابات رئاسة الجمهورية ستجري

بحرية مطلقة .

ب ـ تردد اسمي هنري فرعون وبشارة الخوري كمرشحين لرئاسة الجمهورية في لبنان .

حـ ـ وصول أول شحنة من بضائع التجار العراقيين الى العقبة .

د ـ الثوار في لبنان يقتلون اللبنانيين .

هـ ـ فتح الحدود بين سوريا وتركيا مجدداً .

و ـ أول دولة أجنبية تحرض على الاضطرابات في لبنان .

ز ـ السراج يجتمع مع القنصل الروسي .

ح ـ خروشوف يقول ان تجنب الحرب يتم بواسطة التعاون السلمي .

ط ـ محاكمة ١٠٥ أشخاص في المجر .

ي ـ محاكمة القوميين السوريين في دمشق منهم الياس غالي ، بشير فؤاد يازجي ، أنيس عبدالكريم يازجي ، هيكل عجمي ، ميخائيل الرابع .

١٣ ـ مقال : في لبنان فتنة لا ثورة : يدور حول المؤامرات غايتها ونتائجها .

« الصفحة الثانية » « أخبارية »

آ ـ الأنظار تتجه نحو مؤتمر استانبول حيث يجتمع رؤوساء الدول الاسلامية بحلف بغداد .

ب ـ نشاط روسيا في المنطقة يستدعي دعم حلف بغداد عسكرياً واقتصادياً .

حـ ـ يا شعب العراق الكريم النبيل «نداء» .

لبنان يتعرض لتدخل خارجي من الجمهورية العربية المتحدة والشيوعية العالمية .

د ـ وفد شركات النفط يغادر بغداد بعد انتهاء مهمته.

هـ ـ عادت أمس الى الصدور الزميلة اليقظة.

و ـ توقف مصرف الرهون عن رهن السجاد.

ز ـ خواطر المساء : حلف بغداد هو ميثاق ضد الشيوعية ودفاع عن الأديان. بقلم : محمد رزق الله اوغسطين

الصفحة الثالثة « صفحتنا نحن السيدات »

آ ـ خاطرة حول زواج هذه الأيام في بريطانيا.

ب ـ أغا خان يكتب لزوجته ان تتزوج بعد عام من وفاته.

ح ـ ما رأي الأزواج ـ استفتاء في بريطانيا.

د ـ خواطر في الحب.

هـ ـ حائر ! (مطلوب من القراء إرشاده بين فتاة يحبها وفتاة ثرية).

و ـ عقد زواج مودرن.

ز ـ كل شيء عن المرأة الأميركية

الصفحة الرابعة :

آ ـ ركن الرياضة

جواب شامل حول استفتاء الحوادث الرياضية

الرياضة في كركوك.

قصة الحركة الرياضية في العراق.

طرائف من كل لون.

ب ـ الاعلانات :

اعلان : مارتيل مخازن التجهيزات البريطانية

كتاب : كيف ضاعت فلسطين حقائق وأرقام
إطارات بنسلفانيا
شركة اوتو كار
قطرة برلين « دواء للعين »

الصفحة الخامسة :

آ ــ منهاج مجلس الأعمار لحفر الآبار في المناطق القاحلة بغية إحيائها.

ب ــ تأجيل التوقيع على اتفاقية التعويض لحَمَلَة أسهم القناة الى أجل غير مسمى.

حـ ــ الأسقف مكاريوس يقول ان مسؤولية المأساة الراهنة في قبرص تقع على عاتق بريطانيا.

د ــ الخبراء البولنديون ينقبون عن معدن الحديد في الأراضي.

الصفحة السادسة :

آ ــ ترتيبات الأمن في كندا بمناسبة زيارة الأميرة ماركريت شقيقة ملكة بريطانيا.

ب ــ تدهور الأمن والنظام في قبرص ــ الحاكم العام يوجه نداء الى القبرصيين.

جـ ــ اعلانات :

افتتاح مطعم ٢١ قرب السفارة الأميركية.
بيبسي كولا منعشة نقية.
سيكارة غازي.

سيكارة لوكس ملوكي مغلفة بالسيلوفين.

ساعة ميدو ـ مخزن نوفكس.

بطاقات السحبة ٥٦ ـ يانصيب إنشاء المستشفيات.

سينما السندباد ـ تعرض فيلم انتقام.

سينما روكسي ـ تعرض فيلم جحيم الملذات.

صحيفة الأخبار

الأحد ١٣ تموز ١٩٥٨ ٢٥ ذي الحجة ١٣٧٧ ـ العدد ٤٩٩٨

صاحب الامتياز جبران ملكون ـ رئيس التحرير جوزيف ملكون ـ الثمن : ١٦ فلساً

الصفحة الأولى : العناوين :

١ ـ المطالبة بحكومة انقاذ وطني في لبنان.

٢ ـ الحسين يزور الصين.

٣ ـ أعمال عنف في قبرص.

٤ ـ الشاه يسافر الى كان.

٥ ـ يخت شاه إيران يصطدم بمركب في مياه نابولي.

٦ ـ حزب الأحرار البريطاني يدعو الى العمل على إبعاد عبدالناصر عن الشيوعية.

الصفحة الثانية :

١ ـ إلقاء متفجرات في لبنان.

٢ ـ محاولة اغتيال السياسي اللبناني عبود عبدالرزاق.

٣ ـ الدول الاسلامية الأربع الأعضاء بميثاق بغداد تبحث الأزمة اللبنانية ولن تقدم المساعدة العسكرية.

٤ ـ رشيد كرامي ينجو من الموت بعد تدمير داره في طرابلس.

٥ ــ محاولات الروس لاطلاق الأقمار الصناعية.
٦ ــ خروشوف يعلن ان الاتحاد السوفيتي لن يشترك في مؤتمر الأقطاب أذا أصر الغرب على التدخل في شؤون الأقطار الشرقية.

الاعلانات :
سينما ريجنت تعرض فيلم سعيد أفندي أسبوعاً ثانياً.
سينما ريكس الشتوي تعرض فيلم الصخرة السوداء بطولة سبنسر تراسي وآن فرنسيس.
اعلان وكيل عام الشركة الأميركية ــ العراقية : مكيفات هؤاء فيدرس

الصفحة الثالثة :
مقال بقلم العم حق تحت عنوان « مشكلة زوجة حائرة ».
عمود صحفي : عزيزي حق ــ قصة الصنوبر وفوج اليهود.

الصفحة الرابعة :
مجلس وزراء الاتحاد العربي يعقد اجتماعه أمس ــ المجلس يستمع لايضاحات فخامة السعيد ويبحث السياسة العامة. رأي جمعية الخدمات الدينية العراقية بقرار الحكومة التونسية بمنع الزواج بأكثر من واحدة.
قضية المتهمين بأرزاق مستشفى الأمراض العقلية.
عاد من أوربا الدكتور عبدالعزيز الدوري.
إنهاء مفاوضات النفط بثلاث نتائج هامة.
الاذن لعبدالجبار جدوع مدير مدير المصرف الصناعي العام بحمل وسام الكنز المقدس من الدرجة الثالثة الممنوح له من اليابان ووسام النجمة الساطعة

من الصين.

الصفحة الخامسة:

١ ــ مقررات مجلس الاعمار: إنشاء مشروع سادس للاسكان غربي بغداد.
٢ ــ تكسية ضفاف شط الحلة.
٣ ــ إحالة مقاولات الانارة والقابلوات لمحطة القوة بالبصرة.
٤ ــ مقترحات وزارة الزراعة لتحديد هجرة الريف.
٥ ــ جريمة قتل وقعت قرب مركز شرطة الفضل اشترك فيها خزعل شكر وجابر شكر وجودت كاظم ومحمد خضير.
٦ ــ جعل الدراسة في الهندسة والعالية ٥ سنوات.
٧ ــ أربعة جرحى ومقتل امرأة.

الاعلانات:

سينما القاهرة الشتوي تعرض فيلم «الفهد الأسود» بطولة جون بينْ وآرلين دال.

سينما أوبرا الصيفي تعرض فيلم «البرابرة أو نهب روما» بطولة بييركريسوي وهيلين ريمي وفيتوريو.

سينما روكسي تعرض فيلم «الملذات ــ لانا فيرز وهوب لانك ولي فيليس».

سينما الوطني: «امرأة في الوحل» بطولة آرلين دال وفيل كيري وهيربرت مارشال.

بطاقات السحبة «٥٦» ليانصيب إنشاء المستشفيات الجائزة الأولى ــ ٥٠٠٠ دينار.

الصفحة السادسة :

التصميم الكامل لملعب بغداد الرياضي الجديد.

اعلانات :

سينما الخيام تعرض فيلم « الجبل » ــ بطولة سبنسر تريسي وروبرت واكنر وكلير تريفور وباربارا دارو.

شركة ديزل التجارية ــ عمارة مرجان ــ مكيفات هواء سرفل.

مخازت التجهيزات البريطانية ــ ويسكي سباي رويال. .

الصفحة السابعة :اعلانات :

معرض الأنوار ــ رؤوف البعلي ــ تشكيلة مصابيح.

بطاريات اولدهام ــ شركة الملاحة والنقليات البريطانية العمومية.

الصفحة الثامنة :

قسم السينما ــ عنوان « انجريد برغمان لن تعود الى هوليود أبداً وتفضل العيش في باريس. . ».

لورين باكال ووقوفها ضد مشروع فيلم ليالي باريس.

سينما السندباد : فيلم انتقام ــ سكوت برادي وآن بانكروفت.

خبر عن الممثلة زازا كابور.

وفاة أضخم رجل في العالم : روبرت ويرن هيوز ــ وزنه ١٠٤١ پاوند.

صورة للثري الأمريكي كولد فاين متهم بتقديم الرشوة الى أحد كبار موظفي البيت الأبيض.

ليالي بغداد :

آ ـ دور السينما :

سينما الخيام : هذا الجبل الغاضب ـ انتوني بيركنز وسلفانا منكانو

سينما الوطني : كريبمتون العجيب ـ كنث مور وسيسليا باركر.

سينما السندباد : قبضة من حديد : جون ديرك ـ وجودي لورنس.

سينما برودواي : مارد من حديد : اودي مورفي ولورين نلسن.

سينما القاهرة : معركة الهندي : سكوت برادي وجين لوكرت.

سينما ميامي : اللحن الأول : وديع الصافي ونادیا شمعون.

سينما روكسي : من أجلهن : كاري گرانت ، جين مانسفيلد.

سينما ديانا : مدينة الارهاب : جيف تشاندلر وجوان درو.

سينما ريكس : روعة الحب : وليم هولدن ـ جنيفر جونس.

سينما الحمراء : لحن الخلود : فريد الأطرش ، فاتن حمامة.

سينما شهرزاد : مستشفى المجانين : إسماعيل ياسين.

سينما ريجنت : سعيد أفندي : يوسف العاني ، زينب.

سينما ريو : بلبل أفندي : فريد الأطرش ، صباح.

سينما الفردوس : وداع في الفجر والوادي الدموي.

سينما الرشيد : الدائرة الحمراء والشياطين والنار.

سينما مترو : سعيد أفندي : يوسف العاني وزينب.

سينما روكسي الصيفي : مدينة الخير : كلارك جيبل وهيدي لامار.

سينما الرشيد الصيفي : حبيبي المجهول : حسين صدقي ـ ليلى مراد.

خبر : اعتراض فتاة فرنسية على فيلم لأنه يروي قصة حياتها واقامة دعوى ضد المنتج.

خ : مضيفة يابانية تهرِّب الماس.

اعلان : شركة كتانه : ثلاجات جنرال الكتريك .

خبر : الوحيد الذي نجا من قنبلة هيروشيما كان على بُعد ألف ياردة يسافر الى لندن لاجراء الفحوصات عليه .

أما افتتاحيات الصحف التي ظهرت في صبيحة الثورة ومساء يوم ١٣ تموز ١٩٥٨ فقد تناولت مواضيع شتى كان أبرزها ما تناولته صحيفة البلاد بمقالها اللاذع تحت عنوان « غداً » بقلم السيد عبداللطيف حبيب تناول فيه ذكرى الثورة الفرنسية التي تصادف يوم ١٤ تموز والتي قضت على الحكم الدكتاتوري المستبد ونوهت الى المصير الذي سوف يجابهه الطغاة من جراء تعسفهم واضطهادهم للشعوب وشبّهت مصير لويس في فرنسا كنموذج لما سوف يلقاه الحكام المستبدين على أيدي شعوبهم . لقد كتب صاحب المقالة موضوعه ولم يكن يدري ان حكام العراق سوف يلقون مصيرهم في صبيحة يوم غد . . وهذه مقتطفات لما ورد في المقال :

« نعم غداً يومك يا فرنسا !! غداً ماضيك . . . ألا يهزك شيء من ماضيك ؟ هل نسيتِ حوادث أمسك ؟

لقد كنتِ ذكورة ، فما بالكِ نَسيت ماضيكِ وأمسك ؟! غداً ١٤ تموز يومكِ يا فرنسا ! ان لك اسماً ـ يا فرنسا ـ غير هذا الاسم الذي عرفه الناس . . . أتدرين ـ يا فرنسا ـ ان اسمك : « النور والحرية » ؟ ثم يستمر صاحب المقال في عرضه لذكرى الثورة الفرنسية والمبادىء التي جاءت بها ويذكّر الناس بما فعله لويس وأتباعه بالشعب الفرنسي من ظلم واستبداد فيشير في فقرة أخرى :

كنتِ تعلمين أي ظل من الاستبداد . . . من الظلم . . . من الرعب يلقيه لويس وعيونه وأتباعه وبطانته على أرجائك ، حتى فزع ناسك الى بيوتهم ، فحبسوا نفوسهم فيها ، وأغلقوا أبوابها تقارباً من الإطلال

على لويس وهو محاط بصولجانه . . . حتى كان يوم ١٤ تموز يوم أوغلت في كسر شوكة الباستيل ومطاردة لويس وأتباعه ، أعداؤك ، أعداء النور والحرية . . أولئك الذين أراقوا دماءك لحماية جورهم وعتوهم وظلمهم واستبدادهم ! انه ليذهلني يا فرنسا ألا تسألين عن ماضيك . . . عن أمسك . . عن يوم غد » . عن ١٤ تموز . . . ينضّره النور وتعطّره الحرية ! كان رفاقك يا فرنسا . . يحيونك من أجل حرصك على أحسن السلائق رددها نشيدك المارسيليز ، ولما انتبه رفاقك الى أثر هذا الحرص في أحاديث سالان ، وموليه ، ولوكوست ، ومونوري شق عليهم أن تشتركي في العدوان على الحرية والعدل والمساواة ! ليس بضائري ان أجهل ماضيك ، ولكن لا ينبغي لك أن تشتركي في هذا الجهل » .

ثم يذكر كاتب المقال الفرنسيين بما فعله قادة فرنسا في أرض العرب بشمال أفريقيا واستعمارهم لشعبها العربي في الجزائر مشيراً الى ان العرب هم أعداء الظلم والاستبداد والاستعمار . . على عكس قادة فرنسا الذين أوغلوا في الخروج على مبادىء الثورة الفرنسية فيسترسل بقلمه حول نفس الموضوع ويذكّر شعبها بالنتيجة الوخيمة لسياسة حكومتها تجاه العرب قائلاً :

هل يسكرك مجد ماضيك . . مجد اسمك . . مجد ١٤ تموز مجد دك الباستيل . . مجد سلب سلطان لويس وجنده وعيونه وأتباعه ؟ . . أمْ تسكرك مآسي افناء شعب الجزائر بلا رحمة ؟ . . أمْ تغالبين سكرك بالنوم ، فما تستفيقين ؟

غداً يومك يا فرنسا !

وأنتِ أمة بذلت أكثر مما بذلت إرضاء لمنازعها ، ومسايرة لمطامحها في الحرية والعدل والمساواة . . فما بالك تقعدين أمام مَنْ سلبك محصولك من الانتصار ؟

لماذا لا تمحين العار. . يا فرنسا !

لماذا لا تمحين الذل. . يا فرنسا !

كانت عيناك تبعثان في النفس السحر والسكر ، فعادتا مطفأتين ، لماذا لا تبحثين عن النور. . يا فرنسا ؟!

أما أحببت النور ؟!

لقد حرّك النور في نفسك ثورة ١٤ تموز فهلاّ فتحتِ عينيك لنور جديد !

كل ما أستطيع ان أقوله هو انني كنت مأخوذاً بماضيك. . بأمسك. . كنت مأخوذاً بشذا ثورتك على الطغيان. . ماذا أقول لك بعد هذا يا فرنسا. . انني أنظر الى عينيك المطفأتين. . ألا تحبين النور. . تذكري مرسيلزك. . تذكري أية كلمة خرجت من شفتيك في ١٤ تموز. . غداً نعم غداً يومك يا فرنسا ».

أما صحيفة اليقظة التي يرأسها السيد سلمان الصفواني والتي تعطلت عن الصدور بقرار من الحكومة لعدة شهور فقد عادت للصدور بتاريخ ١٣ تموز ١٩٥٨ وكتب صاحبها مقالاً تعرّض به الى أركان السلطة بشيء من الانتقاد وقد كان عنوان المقال « حرية إبداء الرأي والنشر » انحى باللائمة على الحكومة لعدم إيفائها بما ورد في الدستور حول حرية ابداء الرأي والنشر فتساءل في هذا المقال عن حرية النشر وابداء الرأي معقباً على ذلك ان مرسوم المطبوعات لا ينسجم مع روح الدستور وقد جاء في المقال :

« ان هيبة الحكم في أي قطر كان لا يمكن أن تتحقق إلا باحترام الدستور وضمان العدالة ، وإحلال حقوق الشعب محلها اللائق من الرعاية والعناية ، وفي مقدمتها « حرية إبداء الرأي والنشر والاجتماع وتأليف الجمعيات والانضمام اليها » وبهذا يشعر المواطنون في أعماقهم انهم ليسوا على الهامش يساقون الى حيث لا يدرون أو الى حيث لا يريدون. ان مرسوم المطبوعات

لا ينسجم اطلاقاً مع روح الدستور العراقي وانه لمِن المحزن حقاً أن تأخذ قوانين المطبوعات عندنا شكلاً رجعياً مفزعاً بإطراد ، حتى اننا لنتمنى العودة الى قانون المطبوعات العثماني رغم الـ ٤٤ سنة التي فصلت بيننا وبين ذلك العهد لهذا نطالب المسؤولين بإعادة النظر في مرسوم المطبوعات ووضع تشريع جديد ينسجم وروح الدستور ويساير روح العصر والنظام الديمقراطي صحيح ».

أما صحيفة الحرية التي يرأسها المحامي قاسم حمودي فقد نشرت في تعليقها اليومي الذي صدر على صفحاتها صبيحة يوم الاثنين المصادف ١٤ تموز « صبيحة الثورة » عنواناً « ١٤ تموز » أشار فيه كاتب المقال الى ذكرى ثورة ١٤ تموز عام ١٧٩٨ في فرنسا التي قام بها الشعب الفرنسي فحطم سجن الباستيل رمز الظلم والدكتاتورية وتحررت إرادة الشعب في ذلك اليوم التاريخي من حياة فرنسا ، الذي أصبح مناراً تهتدي به كافة شعوب العالم ، رغم انه انبثق في فرنسا ، إلا انه يشكّل خطوة على طريق تحرير المواطن أينما كان ، ولكن على ما يبدو فان فرنسا قد نسيت هذا اليوم رغم انها تفتخر به في كل مناسبة ، في نفس الوقت فهي ترفع راية السيطرة على الشعوب فأساءت بذلك الى المعاني الانسانية التي تحملها ثورتها.

أما بقية الصحف فقد تناولت الأحداث بشكلها الاعتيادي اليومي باستثناء التعليق السياسي الذي يذاع مساءاً ثم يوزع على الصحف المحلية عنوة وهو يعكس رأي الحكومة القائمة وقتذاك وموقفها من بعض الأنظمة القائمة والتي تشكل خصماً لها وبالأخص الرئيس جمال عبدالناصر ، وهو واضح من لهجة الكلام لذلك تعمد على إلزام الصحف المحلية بالاهتمام به واعطائه أهمية لنشره وتجبرهم فيها مديرية الدعاية العامة على وضعه في مكان بارز ، وقد استهل التعليق الذي يُذاع من بغداد والموجه ضد عبدالناصر بنداء

« أخي العربي حيثما تكون » ثم اختتم بما يلي : « ويظن الطغاة وهذا شأن كل الطغاة ان الناس لا يرون ولا يعقلون يظنون ان الشعب نام ، وسينام عن آثامهم . . يظن البغاة ان حبل البغي طويل . . انه حبل ناعم ، لكن ليس بالطويل سينقطع في وجه تيار الحرية والعزة والكرامة الأصلية ، لا زيف الكلام ، وبهرج الخداع . . . سيتقطع فتسقط الأوثان المعلقة عليه . . ستتحطم الأصنام المثبتة بخيوط وتعود للأمة المنكوبة حريتها وعزتها وكرامتها وتتكلل هذه الصفحة المظلمة من تاريخها بفوز مبين ، لتضيف مجداً الى أمجادها وسطراً من سطور الخلود الى سجلها »[٢٢].

كما أجمعت الصحف على نشر خبر مغادرة الملك فيصل الثاني بغداد الى استانبول لحضور اجتماع رؤساء دول حلف بغداد الذي سيعقد في يوم الثلاثاء ١٥ تموز ، وقد ضم الوفد المرافق له نوري السعيد رئيس وزراء الاتحاد العربي وتوفيق السويدي وزير الخارجية وبرهان الدين باش أعيان والدكتور فاضل الجمالي ، وسينوب الأمير عبدالإله ولي العهد عن الملك فيصل أثناء فترة غيابه.

هوامش الفصل الثالث

(١) العقيد جيرالد غوري ، مصدر سابق ، ص ٣٠٤.

(٢) ولدمار غلمن ، سفير الولايات المتحدة الأمريكية في العراق ـ عراق نوري السعيد ـ ص ٤٢٥ ، ط ١ ، بيروت ، سنة ١٩٦٥.

(٣) عبدالكريم الأزري ـ تاريخ في ذكريات العراق ـ ١٩٣٠ ـ ١٩٥٨ ، ص ٦١٥.

(٤) عبدالكريم الأزري ، مصدر سابق ، ص ٦٠٥ ـ ٦١٠.

(٥) ولدمار غلمن ـ سفير الولايات المتحدة الأميركية ، مصدر سابق ، ص ٢٤٦.

(٦) الملازم فالح زكي حنظل ، مصدر سابق ، ص ٤٦.

(٧) العقيد جيرالد غوري ، مصدر سابق ، ص ٣٠٥ ـ ٣٠٦.

(٨) مصدر سابق ، ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥.

(٩) جميل الأورفلي ـ ذكريات وزير سابق ، مصدر سابق ، ص ١٧٤.

(١٠) العقيد جيرالد غوري ، مصدر سابق ، ص ٣٠٨.

(١١) عبدالرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات في العراق ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص ١٦٢ ـ ١٦٣.

(١٢) الملازم فالح زكي حنظل ، مصدر سابق ، ص ٦٧.

(١٣) مذكرات علي جودت الأيوبي ، ص ٣١٩ ـ ٣٢١.

(١٤) توفيق السويدي ـ مذكراته . . مصدر سابق ، ص ٥٨٧ ـ ٥٨٨.

(١٥) توفيق السويدي ، مصدر سابق ، ص ٥٨٩.

(١٦) مصدر سابق ، ص ٥٩٠.

(١٧) الملازم فالح زكي حنظل ، مصدر سابق ، ص ٧٤ ـ ٧٥.

(١٨) الملازم فالح زكي حنظل ، مصدر سابق ، ص ٧٤.

(١٩) صلاح الدين الصباغ ، مذكرات من رواد العروبة ، ط ٢ ، مكتبة اليقظة العربية.

(٢٠) د. فاضل حسين ، سقوط النظام الملكي في العراق ، ص ١٤ ، مكتبة آفاق عربية ، سنة ١٩٨٦.

(٢١) الملازم فالح حنظل ، مصدر سابق ، ص ٧٦ ـ ٧٧.

(٢٢) أحمد فوزي ، المثير من أحداث العراق السياسية ، ص ٢٦٨ ـ ٦٨٩.

الفصل الربع

قصر الرحاب ـ الموقع
وصف تفصيلي للقصر

يقع قصر الرحاب بالقرب من الشارع المؤدي الى محافظة الأنبار (الرمادي) والذي يفصل بين منطقة الحارثية وبين معرض بغداد الدولي حالياً ، حيث ينتصب على اليمين قبل عبور جسر نهر الخير حالياً ، أما القادم الى مدينة بغداد بالسيارة من جهة الغرب سالكاً الطريق العام المؤدي الى وسطها ، وقبل أن يبلغ جسر الخير الذي يجري من تحته النهر الذي سمي باسمه وفي منطقة الحارثية حالياً يرى الى اليمين قصر الزهور الذي كان سابقاً متميزاً بقبابه الحمر التي أُزيلت فيها بعد وباجتياز الجسر « جسر الخر سابقاً » يقف قصر الرحاب الى اليسار بمسافة تبعد « ١٥٠ » مائة وخمسون متراً عن الشارع العام ، وتفصل بينهما حديقة كبيرة من أشجار الكاليبتوس ، ثم يرى المار عبر الجسر طريقاً خاصاً يصل الى القصر الذي بناه الوصي عبدالإله بعد ان أصبح وصياً على العرش عقب مقتل الملك غازي في حادث السيارة المأساوي[1] ويسكن في قصر الرحاب الملك فيصل الثاني والملكة نفيسة زوجة الملك علي ووالدة عبدالإله ، كما تشاطره السكن في القصر الأميرة عابدية شقيقة عبدالإله وزوجته الأميرة هيام ، وينحدر الطريق الخاص يساراً ثم ينخفض عن مستوى الشارع العام بحدود المترين ليصادفه على جهة اليسار مباني ثكنة الرحاب وهو مقر القوات المكلفة بحماية القصر والى الشمال من مباني الثكنة تظهر اسطبلات الخيول التي كان الوصي عبدالإله مولعاً باقتنائها ، كما يحيط نهر الخر بالقصر من جانبيه الشمالي والغربي بمياهه الراكدة الآسنة ذات اللون الأسود والتي أصبحت مرتعاً للحشرات[2]، تفصلها عن القصر مساحات من الأراضي المتروكة كانت يوماً ما حدائق للقصر لم يبق منها سوى مساحة قليلة تمتد الى الجانب الغربي من القصر بمسافة مائة متر محاطة بأسلاك شائكة وتفصلها عن طريق جانبي خاص بين القصر وقصر عبدالجبار

محمود زوج شقيقة الملك غازي الأميرة راجحة حيث يقيمان فيه ، وينهض أمام القصر حوض ماء مستدير الشكل تحيط به حديقة صغيرة ، وهو بمثابة استدارة للسيارات الداخلة الى القصر إذ انه يقع بالقرب من باب القصر الداخلي ، وتنتشر في حدائق القصر مجموعة من الغزلان والبجع الأبيض وطاووس واحد ، ثم أضيف اليها حوالي عشرين طاووساً في حزيران عام ١٩٥٨ استقدمت من الخارج لغرض اضفاء المزيد من الزينة والجمال الى حديقة القصر ، وقد كانت الطيور والغزلان تمرح في أرجاء الحديقة لتمتع ساكنيه بمنظرها الجميل ، ولا تقتصر حديقة القصر على هذه الحيوانات فقط ، بل توجد بعض الحيوانات الكاسرة وضعت في قفص حديدي في الجزء الخلفي من حديقة القصر[٣]، وقد ارتؤي وضعها بهذا الشكل خوفاً من الفتك بساكني القصر أو حاشيته أو القادمين اليه فيما لو اطلقت على هواها ، أما حديقة القصر فهي مقسمة بأشكال هندسية رائعة روعي في هذا التقسيم الأخذ بنظر الاعتبار إبراز الجـ ب الجمالي للزهور والأشجار المتناثرة بين أجزائها هنا وهناك ، فقد ضمن مختلف أنواع الزهور ذات الألوان الجميلة والروائح العطرة ، كما تم اختيا ! ووضعها بتناسق جميل يبهر الناظر اليها لأول وهلة ، أما الأشجار فقد روع الاختيار ندرتها وجمال أغصانها وملاءمتها لأجواء القصر.

أما بناية القصر فهي مكونة من طابقين يتوسطها مدخل واسع في الطابق الأرضي ، يجد الداخل اليه بهو صغير يتصدره باب زجاجي لقاعة الطعام ، توزعت فيه بعض القطع من الأثاث تتصدره الآية الكريمة « قل اللهم مالك المُلك » مكتوبة على لوحة رخامية وضع تحتها بعض التحف الصغيرة وأسنان فيل من العاج الخالص ، وقفص بداخله ببغاء جميلة.[٤] أما الآية الكريمة فقد كتبها الخطاط صبري وهو من ضباط الجيش القدماء ، وبخصوص هذه الآية الكريمة فقد ذكرها الصحفي المصري حبيب جاماتي في اللقاء الذي أجراه

مع الملك فيصل الثاني قبل تسلّمه مهامه الدستورية بأيام قليلة ونشر هذا اللقاء في مجلة المصور القاهرية حيث يصف الملك لدى وقوفه أمام هذه الآية متطلعاً اليها قائلاً : « كتب هذه الآية الخطاط صبري وهو من ضباط الجيش القدماء ، وقد مات منذ أسابيع رحمه الله وأنا أكثر من الوقوف أمامها معجباً بجمال الكتابة ومأخوذاً بروعة المعنى ، لقد اختار خالي هذه الآية وأراد أن تُنقش في هذا المكان بالذات لتكون أول ما يطالعه النظر عند تخطي عتبة هذا الباب ».[٥]

وعلى يمين البهو تقع قاعة الاستقبال الخاصة بالملك يفترشها طقمان من الأثاث العراقي الصنع ، وتنيرها ثريات صغيرة بأضوائها المفرحة وزينت جدرانها بصور زيتية كبيرة للملكة عالية والملك غازي ، أما على يسار البهو فتقع غرفة استقبال الأمير عبدالإله ولي العهد ، وهي أصغر من غرفة الملك ، أما أثاثها فهو أوربي الصنع وتزين سقف الغرفة ثريا واحدة فقط ، وعلى مقدمتها مكتبة وقطعة أثاث وضعت عليها أجهزة التلفزيون والراديو والمسجل ، كما تزينها بعض قطع الآثار العراقية القديمة وصور لبعض الملوك والرؤساء المنتشرة في أرجائها ، أما في الوسط فتقع غرفة الطعام وتضم المائدة وخمسة وعشرين كرسياً تتوسط الغرفة ، أما الطابق العلوي فعلى جناحه الأيمن تكون غرفة نوم الملك فيصل[٦] وبجوارها غرفة ممارسة الألعاب الرياضية والسلاح ثم غرفة نوم الأميرات ، وعلى الجناح الأيسر من الطابق العلوي فيقع جناح الأمير عبدالإله وتضم جناح نومه وزوجته الأميرة هيام ، ويتوسط الطابق العلوي قاعة استقبال تتصل بشرفة واسعة تطل على الحديقة الأمامية والشارع العام ، أما الطابق الأسفل فيقع فيه المطبخ وعلى الجهة اليسرى تقع غرف النوم للحاشية والضيوف والخدم ، وتحت البناء كله يوجه سرداب كبير وقبو يهرب اليه ساكنوه أيام الحر الشديد وهو ما عُرف به سكان بغداد أيام الصيف ،

والقصر يبعد عن معسكر الوشاش « حالياً متنزه الزوراء » بحدود كيلومتر واحد فقط .

إن قصر الرحاب لم يكن ذلك قصر الكبير المتميز بالتحفة المعمارية ، وهو مقارنة ببيوت الملوك وقتذاك لا يشكل أهمية تذكر كما ان الحياة في القصر تكاد تكون خالية من الحركة ، فلا أصوات ولا نشاط ولا حركة ، على العكس من قصر الزهور أيام الملك فيصل الأول والملك غازي ثم الملكة عالية ، فقد كان مفتوحاً أمام الزوار والوفود والمحتاجين ، وقد بات قصر الرحاب ساكناً وظل ساكنيه منطوين على أنفسهم فلم يكن الملك ولا الوصي عبدالإله ميالاً الى كل هذه المظاهر ، ووضعوا بينهم وبين الشعب حاجزاً كبيراً لذلك أصبحت الهوة كبيرة بينهم.(٧) وقد كانت تسكن في هذا القصر الملكة نفيسة والدة عبدالإله وزوجة الملك علي بن الحسين الى جانب ولدها والملك فيصل. . وهي امرأة عجوز جاوزت السبعين عاماً ، أُمها تركية الأصل وأبوها الشريف عبدالإله وهي تتكلم العربية بلكنة تركية ، وقد عاشت في العراق بعد وفاة زوجها الملك علي ، وهي تتشح بالسواد من قمة رأسها الى أخمص قدميها وتجد السبحة بيديها في كل الأحوال ، دائبة على قراءة القرآن الكريم منكفئة على نفسها في غرفتها ، تشاطرها السكن ابنتها الأميرة عابدية خالة الملك فيصل الثاني وشقيقة الأمير عبدالإله وهي قريبة الشبه بها تخطت العقد الرابع من عمرها دون أن تتزوج ، ترتدي الثياب السوداء البسيطة حزناً على وفاة الملك غازي والملكة عالية . . تقضي أغلب أوقاتها في المطبخ وتشرف على إعداد وجبات الطعام للأسرة وتوجه الخدم في كيفية تنظيم وترتيب القصر والاشراف على المصروفات ونثريات القصر ومحاسبة الخدم ، كما تقوم بتربية الأطفال اليتامى والقاصرين من الأولاد والبنات حتى يبلغوا من العمر سناً متقدمة إرضاءاً لعاطفة الأمومة لديها ، وقد كان في القصر طفلان إحداهما بنت والاخر

ولد يتيما الأبوين تعهدت الأميرة بتربيتهما[٨] . . . والأميرة عابدية لا تعدو ثقافتها في حدود معرفتها للقراءة والكتابة وهي ما تلقنته من دراسة خاصة في البيت . أما الأميرة هيام زوجة الأمير عبدالإله فهي بنت شيخ قبيلة ربيعة الأسرة العراقية الكبيرة التي تقطن في منطقة محافظة واسط ، ويلقب والدها بأمير ربيعة ، وقد عقد قرانها على الأمير عبدالإله عام ١٩٥٣ وأقامت في القصر مع الأسرة المالكة وانسجمت مع نساء القصر وعاشت منزوية عن الناس طيلة فترة وجودها فيه ، والأميرات الثلاث محجبات يلبسن العباءة العراقية السوداء وليس لهن اختلاط بالحياة العامة ولم يحضرن حفلات سوى الحفلة التي أقيمت في القصر بمناسبة عيد ميلاد الملك فيصل الثاني وهي الحفلة الوحيدة التي شاهدنها ، فقد جلسن على شرفة القصر يلبسن العباءة العراقية ويتطلعن الى الحفل من بعيد ، أما اختلاطهن بالنساء فقد كان قليلاً جداً وندرت زيارتهن لأحد ، وعندما أعلنت خطوبة الملك فيصل الى الأميرة التركية فاضلة ، حضرت إحدى الأميرات العراقيات لزيارتهن في القصر ومباركة الخطوبة للملك ، قالت لها الأميرة عابدية : « والله لقد أصبحنا لا نريد المُلك ولا نريد العرش . . . كل ما أريده وأتمناه ان آخذ هذا الشاب وعروسه وأعيش معهم في بيت صغير لأنعم برؤيته سعيداً بعد ان عاش محروماً من سعادة حنان الأبوين » .[٩]

هكذا كان تفكير الأميرات ونظرتهن للحياة ، فلا اطماع ولا طموح وقد كان انغلاقهن عن المجتمع بسبب عوامل اجتماعية عرفها مجتمعنا وقتذاك فلا علاقات مع العوائل العراقية سوى معرفتهن بسيدة أو سيدتين تزورهن من وقت لآخر يجلسن فيها الى شرفة القصر لمشاهدة الشارع العام المار الى مدينة الرمادي ، أو مشاهدة التلفزيون في أوقات المساء ، وهي عادة عرفت بها نساء بغداد في تلك الفترة .

القصور المجاورة لقصر الرحاب

كنا قد أسلفنا في عرضنا السابق ان القادم الى بغداد من جهة الغرب وقبل يبلغ جسر الخر يرى على اليمين قصراً كبيراً ينتصب وسط أشجار كثيفة فلا يرى منه سوى قببه الحمر المدببة ، ومواجهاً لمباني تضم مقر وسرايا معسكر فوج الحرس الملكي الأول ، ان هـذا القصر الشـاهق سمي بـ « قصر الزهور » ، ويفصل عن القصر طريق معبد يؤدي الى قصر متواضـع يسمى « قصر الحارثية » وهو محاط من جهاته الثلاث الأمام والجوانب بأسوار عالية ، أما من الخلف فهو مكشوف إلا من نهر الخر الراكد الذي يجري من خلفه ، إلا ان الذي يفصله عن النهر وجود غابة من المزروعات البرية لم تمتد اليها يد لتشذيبها وبقيت مهملة ، وكانت يوماً ما حديقة القصر الخلفية ، على عكس الحديقة الأمامية التي هي موضع اهتمام وعناية العاملين فيها ، ويتكون قصر الزهور من طابقين يتميز بناؤه بطابع القـلاع الأوربية القـديمة ذات الأبـراج المدببة. . . والناظر اليه يلمس السكون الموحش يلفه من كـل جانب. . . فـالأبواب مغلقـة ، والنوافـذ أرخيت الستائـر عليهـا. . . فـأمست خـالية إلا من الحرس الذي استقر على أربع نقاط حراسة في كل نقطة خمسـة جنود مسلحين بالبنادق لحماية أثاث القصر ومحتويـاته من اللصـوص. . . وكانت الأسـرة المـالكـة قـد هجـرت هـذا القصـر لتسكن قصـر الـرحـاب. . . بعد ان شعرت بحالة الشؤم تطاردها فيه. . . فقد مات فيه الملك فيصل الأول

قبل أن يتم بناؤه وقتل ابنه الملك غازي بعد ان استقر فيه. . . كما توفيت الملكة عالية زوجة الملك غازي ووالدة الملك فيصل الثاني. . وكان الأمير عبدالإله يكرهه كرهاً شديداً ولا يطيق سكناه ويقول دائماً فيه انها دار شؤم.[١٠]

وتقع في حديقة القصر من جهته الشمالية دار للسينما والى جانبها حوض سباحة صغير محاط بسياج خشبي وتربض خلف القصر عدد من السيارات الملكية القديمة في مرائبها. . . تتوسطها السيارة التي لقي الملك غازي حتفه فيها. . تركت على حالها ولم يغير من حالها شيء سوى انها غطيت بقماش صفيق. . وينطلق من باب حديقة قصر الزهور طريق ضيق يتجه الى نهر دجلة يفضي الى بيت صغير. . قديم المنظر بطابق واحد سمي بقصر الحارثية. . . وهو في الحقيقة قصر الملك غازي الخاص. . . ويمتد الطريق بمنعطف محاذٍ لساقية ماء بعرض مترين تستخدم لاسقاء المزارع الأهلية المحيطة بالقصر. . . ثم يصعد هذا الطريق على بُعد مائة متر تقريباً من باب القصر الى معبر صغير يعتلي الساقية المذكورة[١١]. . وفي هذا المكان لقي الملك غازي حتفه عندما انطلق بسيارته من قصر الزهور متجهاً الى قصر الحارثية فجنحت السيارة من على الطريق واعتلت المعبر ومن هناك اتجهت يميناً فواجهت العمود الحديدي للنور فتهاوى على مقدمة السيارة وهي مكشوفة الشكل فضربته وفارق الحياة في الحال. . هكذا كانت الرواية التي أُشيع عنها حول حادث مقتله. . . أما الحقيقة فلا زالت سراً ولم تُعرف تفاصيلها[١٢]. .

أما البلاط الملكي فهو وإن كان غير مجاور لقصر الرحاب. . فقد كان المكان الرسمي للملك ويقع في منطقة الوزيرية حالياً. . . وهو لم يكن أحسن حالاً من بقية القصور الملكية الأخرى. . . فقد بني في أواسط العشرينات. . . ولم يطرأ عليه أي تغيير أو تجديد وبقي على حاله وشكله القديم. . . و يتألف بناؤه من طابق واحد تحيط به حديقة تنتهي الى نهر دجلة وتقع تحت القبة

التي تعلو بناءه الرئيس مكاتب الموظفين والمدنيين ورئاسة التشريفات الملكية والخزينة الخاصة ومقر آمري لواء الحرس الملكي ، كما خصصت ردهة صغيرة مؤثثة تأثيثاً حسناً لاستقبال السفراء أثناء تقديم أوراق اعتمادهم الى الملك. . وهنالك موظف يرتدي الملابس العربية ومكتبه على هيئة مضيف عربي لاستقبال شيوخ العشائر ورؤساءها ، وتقع مباني العرش الى جهة البلاط اليسرى. . وفيها مكتب الملك والأمير عبدالإله. . . والبناء مبني على الطراز البغدادي بطابق واحد. . . يتصدره باب ينتهي الى قاعة الاجتماع. . . وقد هيئت هذه القاعة لاجتماع هيئة النيابة عن الملك لدى غيابه أو سفره الى الخارج. . . أما مكتب الملك فيقع على يمين البهو تتصدره المنضدة والكرسي المسمى بـ « كرسي العرش » ويضم أريكة وثلاث كراسي. . وعدداً من الطاولات الصغيرة. . ووضعت خلف المكتب صورة زيتية للملك علي بن الحسين وهو يعتلي صهوة جواده. . . وعلى المنضدة التي هي في الأساس مدفأة رخامية وضعت عليها صور رئيس جمهوريتي تركيا والباكستان وملكة بريطانيا. . ثم صورة الملكة عالية والدة الملك فيصل وزوجة الملك غازي. . وعلى الجانب الآخر من الغرفة مكتبة تضم بعض كتب التاريخ القديمة اعتلتها صورة أخرى للملكة عالية وصورة أخرى للملك حسين بن طلال عاهل الأردن. . . أما على الجهة اليسرى من البهو فيقع مكتب الأمير عبدالإله في صدر الغرفة وهو مكان جلوس عبدالإله والى يمين المكتب باب صغير يؤدي الى غرفة المرافقين العسكريين يتصل بغرفة طعام صغيرة. . ثم ممر يؤدي الى قلب مبنى البلاط وعلى الحائط علقت صورة الملك علي بن الحسين والد عبدالإله وصورة الملك غازي وعدة صور للملكة عالية. . . وصورة للملك فيصل الثاني بالملابس العسكرية مع عبارة إهداء الى الأمير عبدالإله كتبت « الى خالنا العزيز. . » وعلى الرف المقابل توجد صورتان إحداهما للملك

فاروق ملك مصر والثانية للرئيس الأمريكي ترومان. . (١٣)

كما يمتلك الأمير عبدالإله داراً أخرى متوسطة ا لمساحة تقع في جانب الكرخ من بغداد تطل على نهر دجلة وقد خصصت هذه الدار للأسرة المالكة على ما يبدو لقضاء بعض الأمسيات الحارة في فترة الصيف على نهر دجلة. . ولم تكن هذه الدار بعهدة الحرس الملكي وخاصة فيما يتعلق بقضايا الحماية وحراستها. . وإنما كان يشرف على حراستها شرطيان أنيطت بهما حراسة هذه الدار.

إن الملفت للنظر ان القصور الملكية الثلاثة متواضعة في بنائها. . كما ان أثاثها لا تظهر عليه مظاهر الأبهة. . ويلاحظ ان قصر الرحاب قياساً الى قصر الزهور بسيطاً في حجمه وفخامته، والظاهر انه بني على عجل بعد ان ضاق قصر الزهور بالأسرة المالكة نتيجة المآسي التي حلت بهم. . كما أصبح قصر الرحاب فيما بعد هو الآخر ضيقاً فلم يعد يَسعْ العائلة خاصة وان الملك أوشك على اعلان خطوبته للأميرة فاضلة. . لذلك بوشر ببناء قصر لائق بالملك عام ١٩٥٥ يقع في كرادة مريم ويطل على نهر دجلة يقيم فيه مع زوجته المقبلة. . وقد اتضح فيما بعد ان إحدى الأسباب التي دعت الى تأجيل زواجه من الأميرة فاضلة هو لغاية الانتهاء من تشييد القصر الجديد لضيق قصر الرحاب الذي لم يعد يكفي لايواء الأسرة المالكة. (١٤)

أما حراسة القصور الملكية فهي موزعة على سرايا معينة. . فتقوم بحراسة قصر الرحاب سرية مشاة قوامها مائة وعشرون عسكرياً ما بين ضابط وجندي، توزعت على ست نقاط حراسة. . على رأس كل نقطة حرس ضابط صف برتبة نائب عريف وأربعة جنود مسلحين بالبنادق في حوزة كل منهما عشر اطلاقات نارية.

ونقاط الحراسة هي: نقطة حراسة مشجب السرية، نقطة حرس الباب

النظامي للقصر ، نقطة حرس الشرف ، نقطة حرس الشمال ، نقطة حرس الاسطبل والمرائب ، وأخيراً نقطة حرس العرش في أبواب القصر الداخلية ، اضافة الى ذلك كانت تجوب القصر ثلاث دوريات كل دورية تضم جنديين اثنين. . . أما الحراسة الخاصة داخل بناء القصر نفسه فقد كان رجال الانضباط العسكري الخاص بالحاشية الملكية هم الذين يقومون بالحراسة. . وتتكون قوتهم من عشرة جنود بضمنهم سائقو السيارات الملكية الخاصة وهم مسلحون بالمسدسات.[١٥]

أما قصر الزهور فقد كانت هنالك ستة أبراج تستخدم لحراسة القصر أيام كان أفراد الأسرة المالكة يسكنوه. . أما بعد ان غادروه الى قصر الرحاب فقد خففت الحراسة فيه الى أربع نقاط حراسة في كل نقطة خمسة جنود مسلحين لا يبرحون المكان إلا في أوقات الراحة. . وأصبحت الحراسات تجري من داخل القصر. . بعد ان كانت الأبراج الستة تحيط بالسور الخارجي[١٦]. . أما الحراسة في البلاط الملكي فقد توزعت على نقطتي حرس الأولى في الباب النظامي والثانية في الباب الخلفي المطلة على النهر ، ودورية واحدة خلال النهار كما توجد نقطة حرس من جنود الخيالة التابعين للحرس الملكي متسلحين بالرماح لحراسة العرش حين يتواجد الملك وولي العهد في مكتبيهما. . وينسحب حرس العرش من الفرسان في الليل لتحل محلهم نقطة حرس نظامية من جنود المشاة المسلحين بالبنادق تضاف اليها دورية مشاة ثانية لتجوس ليلاً حدائق البلاط.[١٧]

الليلة الأخيرة في قصر الرحاب

جرت العادة أن ينهض الملك فيصل يومياً في وقت مبكر من صباح كل يوم فيتجه الى غرفة الألعاب الرياضية ليمارس الرياضة الصباحية بعدها يدخل الحمام ليستحم فيه ثم يرتدي ملابسه فيتناول بعد ذلك طعام الافطار المتكون من كوب حليب وبيضة واحدة يتناولها بدون خبز ، ثم يستقل الموكب الملكي فيتجه الى حيث قصر البلاط يرافقه خاله الأمير عبدالإله ولي العهد ليمارس أعماله الرسمية في متابعة شؤون الدولة.[١٨] أما يوم الأحد المصادف ١٣ تموز ١٩٥٨ وهو اليوم الأخير في حياة الملك والعهد الملكي فلا يختلف عن بقية الأيام الأخرى في منهاج الملك سوى انه أجرى استعداده للسفر الى الخارج في اليوم التالي ، وقد كان ينتظر انقضاء اليوم بفارغ الصبر لتأتي ساعة سفره ويستقل الطائرة في اليوم التالي الى استانبول لحضور اجتماعات رؤساء دول حلف بغداد ومن ثم الى لندن للقاء خطيبته الذي ينتظرها بشوق..

وفي مكتبه بالبلاط الملكي اطلع على بعض الأوراق الرسمية واستقبل بعض الزائرين ثم انشغل مع بعض المسؤولين في متابعة بعض القضايا المهمة.. مما جعله يتأخر بعض الشيء في العودة الى القصر. . فتناول طعام الغداء مع أسرته متأخراً. . وكان يتكون من نوعين من الخضار والرز وهو الطعام الذي كان يتناوله كالمعتاد مع أسرته يومياً[١٩]. . وبعد ان أكمل تناول

الغداء دخل الى غرفته لاعداد حقائبه الشخصية استعداداً للسفر الذي كان يجري على قدم وساق هو والوفد الذي سيرافقه الى استانبول على متن إحدى طائرات الخطوط الجوية العراقية والمتكون من رئيس وزرائه نوري السعيد وتوفيق السويدي ود. فاضل الجمالي. . . حيث سيسافر الوفد بعد حضوره اجتماعات استانبول الى لندن لحضور اجتماع بريطاني ـ عراقي في ٢٤ تموز ١٩٥٨ لاستكمال مباحثات بدأت في بغداد سابقاً حول موضوع انضمام الكويت الى الاتحاد العربي. . وكان من المتوقع أن يلاقي الملك فيصل في لندن خطيبته الأميرة فاضلة التي كانت تقيم هناك. . والتي كان من المقرر زواجه منها في ذلك العام. . وقد سبق الملك الى لندن السيد تحسين قدري رئيس التشريفات الملكية للاشراف على منهاج استقبال الملك واقامته[٢٠]. . . وبعد ان أكمل إعداد حقائبه الشخصية. . اتجه ومعه الشريف حسين برفقة أولاده الثلاثة الى بركة السباحة وأخذا يستحمان فيه كما جرت العادة يومياً. . وعندما قاربت الساعة الخامسة بعد الظهر دعى الملك خمسة صبيان بضمنهم أولاد الشريف حسين وهم أبناء خالته الأمير « بديعة »والاثنين الآخرين من أبناء قادة الجيش العراقي. . لمشاهدة ساحر باكستاني يقدم بعض الألاعيب السحرية. . كانت تلك الألاعيب التي تجري في القصر لتسلية الأطفال وبحضور ساكنيه تشمل قيام الساحر بتحطيم ساعة أحد الصبيان ثم يجري التفتيش عنها فيتم العثور عليها كاملة في جيب الملك فيصل كما كانت هنالك حمامتان تسحب إحداهما الأخرى في عربة صغيرة يوجه سيدهما الأوامر اليهما فتطيعانه. . فقد كان يقول لهما التتمطوا الشيء الفلاني. . واتركوا الشيء الفلاني. . فتأتمران بما يطلب منهما. . كما كان يقوم ببعض الألعاب الأخرى منها. . اللعب بالورق بخفة متناهية. . مما جعل الملك فيصل يقوم بنفسه بلعب الأوراق. . وعندما أشرف الوقت على الساعة السادسة انفض اللعب وتناولوا

طعاماً خفيفاً ثم أرسل الملك الصبيان الى دورهم بسيارة خاصة.[٢١] وعندما حل المساء خرج الى شرفة قصر الرحاب لتناول الشاي وكان يجالسه خاله الأمير عبدالإله وخالته الأميرة عابدية، كما كان يشاطرهم المجلس خالته الأميرة بديعة وزوجها الشريف حسين وكذلك الأميرة هيام زوجة الأمير عبدالإله التي سترافق الملك الى لندن بعد ان ألح على اصطحابها معه لكي تساعده على شراء بعض الملابس والهدايا لخطيبته الأميرة فاضلة.. كما جلست معهم سيدتان عراقيتان من زوجات كبار ضباط الجيش العراقي.. وقد تميزت الجلسة بأجواء مفرحة وبتفاؤل كبير خاصة من قبل الملك الذي كان منشرحاً، وكان الحوار مفعم بروح الفكاهة الذي كانت تطغى على الحديث، خاصة فيما يتعلق بسفرة الغد ولقاء الملك بخطيبته الأميرة فاضلة.. كما كان عبدالإله هو الآخر منشرحاً يشارك الجميع مرحهم على عكس ما هو معروف عنه بالانطواء على نفسه وخاصة في السنين الأخيرة من عمره، ورغم ان الجميع كان يتكلم بسعادة غامرة إلا ان الأميرة عابدية كانت متشائمة في تلك الأمسية واستولى عليها الاضطراب فكانت كلما تفاءل أحدهم بشيء كانت تقول له: قل إنشاء الله. فيرد عليها الملك معقباً وضاحكاً: طبعاً إنشاء الله لماذا هذا التشاؤم. وفي وسط هذا الجو السعيد الذي غمر الجميع.. بدا البعض منهم يتطلعون الى الملك بنظرات غير طبيعية.. فقد ظهر شكله في ذلك اليوم على غير عادته حيث قص شعره صباح ذلك اليوم وجعله لأول مرة قصيراً جداً، مما أثار الانتباه لكل مَنْ شاهده. إذ ان شعره أتعبه كثيراً حيث جرت العادة أن يمشطه الى الوراء لكنه لم يستجيب لذلك وخاصة عندما يستطيل فاستعمل مختلف الوسائل لتثبيته إلا انه لم يفلح. ولما كان غداً موعد سفره ومن ثم اللقاء المنتظر مع خطيبته في لندن، لذلك صمم على التخلص من هذا الخلل في مظهر شعره. فاستدعى الحلاق صباحاً وطلب منه ان يقص شعره

بهذا الشكل . . فتبدل شكله تماماً وأصبح يلفت الانتباه لأول وهلة ، وهو الذي أثار انتباه الجالسين فراحوا يمازحونه بعد ان أيقنوا ان الدافع لذلك هو في سبيل أن يظهر بالمظهر اللائق أمام خطيبته فعمدوا الى الايغال في النظر اليه ويمازحونه مبتسمين فشعر الملك بما يخالج أنفسهم . . فكان يحمرّ وجهه خجلاً زيادة في الأدب فيضع يده على رأسه ويتساءل ببساطة موجهاً كلامه اليهم :

ـ طيب . . قولوا الحقيقة .

أما الجميع فكانوا يبتسمون لتساؤلاته دون تعليق ، وبينما هم يتجاذبون أطراف الحديث في جو غامر بالفرح والسعادة . . لاحظوا عن بُعد سيارة قادمة من الشارع العام من نوع « فولكس واكن » انحدرت باتجاه الباب الرئيسي وتوقفت أمام مدخل القصر فدلفت الى الداخل ووقفت قرب باب القصر ومعها أحد منتسبي الحرس الملكي . . فترجل منها ضابط كان يقودها وقف بالقرب منها . . إلا ان أحد منتسبي الحرس الذي كان مع الضابط نزل منها أيضاً ودخل الى القصر . . وبعد قليل دخل مرافق الملك على الجالسين في الشرفة وبضمنهم الملك والأمير عبدالإله فأدى التحية العسكرية للملك وسلّمه مظروفاً كان يحمله بيده وأبلغه ان الضابط القادم بالسيارة قد جاء به . . . ففتحه بالحال ووجد بداخله رسالة ، تأمّلها الملك قليلاً دون ان يظهر على وجهه أي انفعال أو رد فعل ، وطال في التأمل ، وكان الجميع صامتين وأنظارهم متجه اليه بانتظار ما سيسفر عنه مضمون الرسالة . . إلا ان الملك لم ينبت ببنت شفة فسلّم الرسالة الى خاله الأمير عبدالإله فقرأها بسرعة وعلت وجهه علائم الارتباك وارتجفت يداه . . ولم يطل به المقام كثيراً فنهض بالحال قائلاً للحاضرين :

ـ اسمحوا لي من فضلكم . .

فدخل الى البهو واتصل حالاً بمدير الأمن العام بهجت العطية وتحادث معه . . ثم عاد الى الجالسين فاستأذن منهم وانصرف . . ونزل الى باحة

القصر. . فشاهده الحاضرون يستقل السيارة بصحبة الضابط مغادراً القصر لوحدهما باتجاه طريق المطار « حالياً مطار المثنى ». [٢٢]

وساد الحاضرين جو من الارتباك والانقباض، إلا ان الملك بادر قائلاً:

هيا نشاهد فيلماً. .

وعلى اثر ذلك توجه المالك والجالسون معه الى قصر الزهور مشياً على الأقدام. . إذ ان القصر لا يبعد أكثر من كيلومتر واحد عن قصر الرحاب. . وبعد الانتهاء من مشاهدة الفيلم الذي كان يحمل عنوان « لعبة البيجاما »[٢٣] بطولة دوريس داي. . توجهوا الى مائدة الطعام وكانت الساعة قد قاربت العاشرة مساءاً فتناولوا طعام العشاء سوية، فدخل الأمير عبدالإله اليهم وجلس على المائدة يتناول الطعام معهم. . إلا انه لم يتكلم. . وكان مرتبكاً ومهموماً ووجهه يوحي بالقلق والوجوم. . . وبعد الانتهاء من العشاء نهضت الأميرة بديعة وزوجها الشريف حسين لمغادرة القصر الى دارهما فأقبلت على الملك تعانقه بحرارة فقالت لها إحدى الضيفتين العراقيتين:

ولماذا هذا الوداع؟ وغداً ستشاهدينه.

فأجابتها: ان الجو غداً سيكون كله جو رسميات وسوف لن أستطيع الالتقاء به.

ثم انصرفت بعدها الضيفتان. . وبقي الملك وعبدالإله. . وعند الساعة الثانية عشرة ليلاً ذهب كل من الملك والأمير عبدالإله الى غرفتيهما. . فأُطفأت الأنوار في القصر. . وآوى ساكنوه الى أَسِّرتهم[٢٤]، إلا الملكة نفيسة فقد ظل النور منبعثاً من غرفتها، وقدأُصيبت تلك الليلة بأرق شديد وظلت جالسة على سجادة الصلاة تقرأ في القرآن الكريم حتى مطلع الفجر.[٢٥]

تُرى هل كانت الملكة تشعر بأن الصباح سيكون وبالاً عليهم. . وهل كانت تتوقع المصير المنتظر. . أمْ ان إحساسها كان يوحي بشيء ما لا تستطيع

تقديره. . ان ثمة مؤشرات تدل على ان أفراد الأسرة المالكة بما فيهم الأمير عبدالإله كانوا يتحسسون المصير وكان عبدالإله يتحدث في مجالسه ان مصير الأسرة الهاشيمة هو الاستشهاد. . فهل هو من باب التنبؤ أمْ هو تقدير شخصي لمصير الأسرة الهاشمية ؟

يقول الملازم فالح زكي حنظل الضابط في الحرس الملكي في كتابه أسرار مقتل العائلة المالكة وعلى الصفحة «١٥» منه :

في أوائل عام ١٩٥٧ وعندما كنت أقوم بواجب ضابط خفر البلاط الملكي ، وبينما كنت أقوم بحراسة مكاتب العرش وجدت مظروفاً معنوناً الى الأمير عبدالإله وبداخله ورقة وضعت على مكتب الأمير في البلاط ، تضمنت الورقة بلاغاً تهديدياً مكتوباً بخط ردىء وعباراته على شكل بيتين من الشعر :

أيها الخائف الحذر
ماذا ينفعك الحذر
يوم يأتيك القدر
لا ينجو من المقدور الحذر

وقد وردت تحت هذين البيتين آية من القرآن الكريم كتبها عبدالإله بخط يده « قلْ لن يصيبنا إلا ما كتبَ اللهُ لنا ». صدق الله العظيم.

إلا انه والحديث للملازم « حنظل » في عام ١٩٥٨ وبينما كنت أقوم بواجب الحراسة نفسه شاهدت قطعة من الرخام بطول ثلاثة أمتار وعرض متر واحد ، نقش عليها البيتان آنفي الذكر بالخط العربي الجميل ، وقد علمت فيما بعد ان هذه الرخامة قد أمر الأمير عبدالإله بصنعها في إيطاليا وكتابة البيتين الشعريين عليها لتوضع على واجهة قصره الجديد الذي لم يكمل بناؤه. . . أما على واجهة قصر الرحاب الذي كان يقيم فيه فقد وضعت قطعة من الرخام

كتب عليها الآية الكريمة التالية : « قـلْ اللهم مالِـك الـمُلك تؤتي الـمُلك مَنْ تشاء وتنزع الـمُلك ممَنْ تشاء. وتعزُّ مَنْ تشاء وتذل مَنْ تشاء » صدق الله الكريم. إلا ان هاتين الرخامتين لم يقدر لهما ان تظلا في مكانهما فعندما جـاء القدر تحطمت معه رخامة القصر الجديد أما رخامة قصر الرحاب فقد تهشمت بفعل نيران الثورة صبيحة يوم ١٤ تموز ١٩٥٨ . كما يذكر الملازم « حنظل » في كتابه أيضاً بأنه في أوائل شهر حزيران عام ١٩٥٨ جيء بحـوالي عشرين طاوُوساً الى قصر الرحاب ، انتشرت في حـديقته الصغيـرة ، لتضفي عليها ألواناً زاهية ناشرة أجنحتها وتسير بزهو بين أشجارها. . إلا ان هذه الطيـور الجميلة تطلق أصواتاً قبيحة لا يستحسنها أهالي بغداد ويتشاءم منها الكثير ، رغم منظرها الجميل ، ويشبهون أصواتها كصرخات العويل الذي تطلقه نساء بغداد في المآتم والأحزان ، إلا انه بعد مرور ٤٥ يوم على وجود هذه الـطيور في القصر. . . إنهار العرش الملكي وسقطت الأسرة المالكة بأكملها. . . فكان وجود هذه الطيور نذير شؤم على القصر وساكنيه.

تحرك اللواء العشرين واعلان الثورة في بغداد

في صيف عام ١٩٥٨ انفجر الشعب اللبناني ضد النظام القائم معارضاً سياسة الرئيس كميل شمعون الموالية للغرب والمناهضة لحركة التحرر العربية ، وقد تعاطفت حكومة العراق مع كميل شمعون فتم الاتفاق بين نوري السعيد والحكومة اللبنانية على إرسال قطعات عسكرية عراقية عن طريق الأردن لتهديد سوريا وتخفيف الضغط على لبنان فقررت الحكومة العراقية إرسال اللواء العشرين للقيام بهذه المهمة وكان اللواء يعسكر في منطقة جلولاء التي تبعد حوالي ٧٠ ميلاً شرقي بغداد. فصدرت الأوامر للواء لكي يتهيأ للحركة ليلة ١٣/١٤ تموز سنة ١٩٥٨ . . وفي صباح يوم ١٣ تموز ١٩٥٨ اتصل الزعيم عبدالكريم قاسم بصديقه الزعيم أحمد صالح العبدي وأبلغه بضرورة الالتحاق في مقره بمعسكر المنصورية وهناك فاتحه بخطة الثورة التي ستنفذ صباح يوم غدٍ أي يوم ١٤ تموز ، وأكد عليه أن تلتحق كتيبة المدفعية التي هو آمرها باللواء التاسع عشر وآمره عبدالكريم قاسم لاسناد الثورة ، كما طلب منه أن يلتحق بمنصبه الجديد كرئيس لأركان الجيش حال سماعه التعيينات من الاذاعة. فاستقلا مساءاً سيارة جيب عسكرية الى جلولاء لحضور مراسيم توديع اللواء العشرين الذي سيسافر الى الأردن والذي سيمر ببغداد فيقوم بتنفيذ خطة الثورة ، وقد حضر مراسيم تفتيش اللواء المذكور قائد الفرقة اللواء الركن غازي الداغستاني. فرافقاه بالتفتيش ثم استغل

عبدالكريم قاسم إنشغال الداغستاني بالتفتيش فاتصل بالضباط الأحرار في اللواء العشرين ليؤكد عليهم واجبات كل واحد منهم.[٢٦] وبالأخص العقيد عبدالسلام عارف آمر الفوج الثالث والعقيد عبداللطيف الدراجي آمر الفوج الأول في اللواء المذكور حيث تم الاتفاق فيما بينهما على استثمار فرصة مرور اللواء ببغداد لتنفيذ خطة الثورة على أن يقوما عبدالسلام عارف وعبداللطيف الدراجي بالسيطرة على اللواء أثناء الحركة ومن ثم إبعاد العناصر غير الموالية للثورة والزحف على بغداد وإكمال السيطرة على المراكز المهمة فيها واعلان الثورة. . بنفس الوقت يقوم عبدالكريم قاسم على رأس لواءه بتعقيب القوات الزاحفة الى بغداد لاسنادها بعد أن يحكم السيطرة على مقر الفرقة الثالثة في بعقوبة ومن ثم اعتقال قائدها اللواء الركن غازي الداغستاني وفعلاً فقد تم اعتقاله من قبل الرئيس قاسم أحمد الجنابي آمر سرية هندسة في مقر الفرقة الثالثة صبيحة الثورة ، مما سهل عملية مرور اللواء التاسع عشر في بعقوبة دون أن يثر أية زوبعة . . علماً بأن الرئيس الجنابي أصبح مرافقاً للزعيم عبدالكريم قاسم بعد قيام الثورة ، ومن جهة أخرى قام الزعيم عبدالكريم بتكليف مجموعتين للقيام بقطع الاسلاك التليفونية بين بعقوبة وبغداد ، والاستيلاء على المحطة اللاسلكية للفرقة الثالثة في بعقوبة وعلى دائرة البريد وجسر ديالى[٢٧]، وهكذا أحكم السيطرة على الفرقة الثالثة وظل على اتصال بواسطة اللاسلكي مع عبدالسلام لتقرير ساعة حركة اللواء التاسع عشر الذي يقوده عبدالكريم قاسم باتجاه بغداد أيضاً . .

وحول حركة اللواء العشرين يقول آمره آنذاك اللواء الركن المتقاعد أحمد حقي محمد علي[٢٨] . . « لقد صدرت الأوامر الينا بتحرك اللواء في ١٣ تموز ١٩٥٨ وفي الموعد المحدد للحركة جاء قائد الفرقة اللواء الركن غازي الداغستاني من بعقوبة الى جلولاء وقام بتفتيش اللواء الذي سيتحرك

الى الأردن وفي غمرة انشغالنا بالتفتيش لاحظت مجي الزعيم عبدالكريم قاسم آمر اللواء التاسع عشر وبصحبته الزعيم أحمد صالح العبدي آمر مدفعية الفرقة الثالثة وألقى الزعيم عبدالكريم قاسم التحية علينا ثم وقف مع الداغستاني قليلاً ولم يطل به المقام أكثر من نصف ساعة فغادر المكان. . وبعد استكمال التفتيش تم تحريك اللواء بحدود الساعة الثامنة والنصف مساءاً وكان يضم الوحدات التالية :

١ ــ الفوج الأول بقيادة العقيد الركن عبداللطيف الدراجي .

٢ ــ الفوج الثاني بقيادة العقيد الركن ياسين محمد رؤوف .

٣ ــ الفوج الثالث بقيادة العقيد الركن عبدالسلام عارف .

« إلا ان العقيد عبدالسلام كان أقدمهم من حيث التسلسل العسكري » .

٤ ــ كتيبة مدفعية .

٥ ــ سرية هندسة كهربائية .

٦ ــ سرية نقلية آلية .

٧ ــ وحدة ميدان طبية .

وكانت طريقة الحركة تتم على أساس ان القطعات الأمامية تسير ببطء حتى تتمكن القطعات الخلفية من اللحاق بالرتل وكنت أسير في مقدمة الرتل ومعي سرية حماية المقر. . إلا انه بعد وصولي خان بني سعد وبسبب كثرة التوقف. . انقطع الاتصال بالقطعات. . فتوقفنا لمعرفة السبب فلم نجد الجواب. . فرجعت لأستطلع الموقف ولما وصلت الى مكان الرتل شاهدت عبدالسلام واقفاً مع بعض الضباط فبادرته بالسؤال : لماذا توقف الرتل وماذا تعمل مع الضباط ؟؟ فأجابني : لا شيء. . . سأستكمل تجميع الرتل وأواصل الحركة. . وقد لاحظت عليه الارتباك. . ثم عدت أدراجي الى مقر

اللواء حيث عرض عليّ ضباط المقر أن نواصل مسيرنا بعد ان كثرت توقفات القطعات. . وفعلاً دخلنا بغداد باتجاه فلوجة حيث وصلناها بحدود الساعة السادسة صباحاً. . وتوقفنا قليلاً بانتظار بقية القطعات التي انفصلنا عنها. . وبينما نحن نترقب وصول القطعات تناول أحد الضباط الراديو فضغط على الزر. . ففوجئنا بعبدالسلام عارف يذيع بيان الثورة ويعلن الجمهورية. . ثم قفلنا راجعين الى بغداد بسرعة وتوجهنا الى وزارة الدفاع. . فوصلنا قبل الظهر. . وشاهدت عبدالسلام الذي بادرني قائلاً : لقد كنت مرشحاً لمنصب آمر اللواء إلا انك سبقتني اليه ».

إن الغاية من إقناع اللواء الزعيم الركن حقي بالتقدم الى الفلوجة لكي يكون بمستطاع عبدالسلام والدراجي السيطرة على اللواء وفعلا بعد ان اندفع آمر اللواء أحمد حقي هو ومقره الى الفلوجة. . بقي اللواء بدون قيادة فاستلمه عبدالسلام باعتباره أقدم آمر فوج فيه. . إلا ان المعضلة الأخرى التي واجهت خطة الثورة هو وجود العقيد ياسين محمد رؤوف آمر الفوج الثاني الذي لم يكن من الضباط الأحرار. . وكان من الممكن أن يثير مشكلة في تلك اللحظات[٢٩]، وان أي إجراء ضده قد يثير ضباط فوجه لأنه كان محبوباً من قبلهم ويتمتع بأخلاق رفيعة. . ولغرض إكمال الصفحة الأولى من الخطة تم القبض عليه ومن ثم السيطرة على فوجه بعد ان عزل من آمرية الفوج وسلم الفوج الى المقدم عادل جلال معاونه. ولمزيد من التفاصيل يروي لنا العقيد ياسين محمد رؤوف لحظات اعتقاله وعزله عن الفوج : « كنا قد اتفقنا على أن يتريث الرتل عند مشارف بغداد وذلك لاعادة تنظيمه وانتظار السيارات والشاحنات التي ربما تتأخر في الطريق بسبب العطب الوقتي أو العوائق الأخرى. . وأيضاً لتناول طعام الفطور سوية ، وكنت على هذا الظن عندما توقف جحفل اللواء في منطقة الحسينية قرب بغداد. . حتى انني لم استغرب عندما وقعت عيني

على عبدالسلام . . «وكنت على علاقة طيبة به سنين عديدة » ينزل من سيارته بجانب سيارتي ويسألني أين يمكن أن نجد آمر اللواء ؟ وأردف سؤاله قائلاً : لا بد أن نلتقي به قبل الدخول الى بغداد ؟ أجبته وأنا لا أعلم ان الزعيم أحمد حقي يعقب طريق الفلوجة بتحريض منه : لعله في المقدمة ، أين يمكن أن يذهب ؟ واتفقنا ان ينقلني بسيارته ، خاصة وان هذه السيارة سوف تسير من الجهة المعاكسة لسير السيارات القادمة من بغداد . . في حين لم يترك الرتل المتوقف إلا جزءاً ضيقاً من الطريق لها . . ولما توقفت السيارة في مقدمة الرتل وجدت بعض ضباط الصف والجنود قد وقفوا على قارعة الطريق بشكل نصف دائري وهم بحالة تأهب مما يستدعيه الموقف الذي كنا فيه . . وحين أصبحنا في وسط الدائرة بعد ترجلنا . . التفت إليَّ عبدالسلام وقال لي : لقد قامت الثورة في بغداد هذا الصباح وقرر لواؤنا الانضمام اليها ومساندتها فهل أنت معنا أمْ ضدنا ؟ فأجبته وكنت ما أزال تحت وطأة المفاجأة : هل أنت جاد يا عبدالسلام ؟ ثم ما هي أهداف الثورة ؟ ومَنْ هو قائدها ؟ وقبل أن يجيبني بشيء أشار الى بعض أعوانه بالقبض عليّ ، ووضعت بسيارة بيت اللاسلكي المقفلة حتى وصولنا الى دار الاذاعة » .(٣٠)

وباعتقال العقيد ياسين محمد رؤوف تمت السيطرة على اللواء بأكمله وأصبح تحت قيادة عبدالسلام . . وأصبحت الخطة مهيأة للتنفيذ وصدرت الأوامر للقطعات بالتحرك واحتلال بغداد ، ولكن اللواء كان ينقصه العتاد ، حيث كانت الأوامر تمنع الوحدات العسكرية من حمل العتاد أثناء الحركة . . كما ان العميد أحمد حقي آمر اللواء كان قد قابل منذ أيام الفريق رفيق عارف رئيس أركان الجيش وسأله عن عتاد اللواء أجابه الفريق رفيق : سوف تستلمون العتاد في منطقة الرطبة القريبة من الحدود الأردنية .(٣١) لذلك فقد هيأ عبدالسلام كمية من العتاد لفوجه منذ فترة طويلة كان قد ادخره لمثل هذا

اليوم.[٣٢] وفي ضوء ذلك تم توزيع الواجبات على القطعات كما يلي :

١ ــ **الفوج الثالث** : آمره العقيد الركن عبدالسلام عارف يقوم بما يلي :

آ ــ السرية الأولى فيه وآمرها المقدم فاضل محمد علي الذي أصبح بديلاً للنقيب هشام اسماعيل تقوم باحتلال مقر شرطة القوة السيارة في كرادة مريم.

ب ــ السرية الثانية فيه وآمرها النقيب بهجت سعيد تقوم باحتلال دار نوري السعيد الواقعة في كرادة مريم.

جـ ــ السرية الثالثة فيه وآمرها النقيب منذر سليم تقوم باحتلال قصر الرحاب وأسر الملك وولي العهد.

د ــ سرية مقر الفوج وآمرها النقيب مهدي علي الصالحي تقوم باحتلال دار الاذاعة في الصالحية.

٢ ــ **الفوج الثاني** : آمره الجديد المقدم عادل جلال وكان واجبه يقتضي احتلال مدارس الشرطة ومستودعات نفط الكيلاني وخزانات الماء في شارع الملك « غازي » وسرية خيالة الحرس الملكي والبلاط الملكي.[٣٣]

٣ ــ **الفوج الأول** : آمره العقيد عبداللطيف الدراجي يقوم باحتلال وزارة الدفاع والتمركز فيها . . وتوزيع السرايا على رؤوس الجسور لمسكها والسيطرة على دوائر التلفون والبرق والخدمات الأخرى في شارع الرشيد ، كما تقوم بإرسال سرية لمساعدة القوة المهاجمة لقصر الرحاب وتعزيز موقفها.

وقد نفذت كافة القطعات خطة الثورة بشكل دقيق ، فتمت السيطرة على مقر شرطة القوة السيارة في كرادة مريم بواسطة المقدم فاضل محمد علي الذي بادر الى منح الشرطة المتواجدين في المعسكر اجازة لمدة خمسة أيام . .

ووزع أفراد السرية المهاجمة على كافة نقاط الحراسة ومشاجب الأسلحة كما وضع نقطة سيطرة على الباب النظامي .

أما السرية الثانية فقد هاجمت دار نوري السعيد في كرادة مريم وكان دليل السرية المقدم وصفي طاهر الذي قام باطلاق النار في الهواء قبل وصول القوة الى الدار بقليل مما أتاح الفرصة لنوري السعيد أن يهرب من جهة النهر حيث كانت داره تطل من جانبها الخلفي على نهر دجلة . . لقد كان وصفي طاهر يعرف دار نوري السعيد جيداً لأنه اشتغل مرافقاً شخصياً له مدة طويلة ، ويعتقد ان قيام وصفي طاهر باطلاق النار هو بمثابة انذار لنوري السعيد لكي يهرب . . وفي حالة فشل الثورة سوف يشفع له هذا التصرف أمام نوري السعيد . لكن القوة المهاجمة للدار وجدتها خالية حالما دخلتها فلا أحد فيها وتركت الدار على حالها إلا من سائق السيارة والعريف ابراهيم . . إلا ان النقيب بهجت سعيد بقي في الدار مع أفراد سريته . . بانتظار ما سيسفر عنه الموقف . . أما نوري السعيد فقد هرب وظل مختفياً عن الأنظار بالرغم من ان قادة الثورة أعلنوا عن جائزة ثمينة لكل مَنْ يسلمه حياً أو ميتاً ، ولكن أحد المواطنين شاهد نوري السعيد في اليوم التالي للثورة يسير بصحبة امرأة في أحد شوارع البتاويين مرتدياً عباءة نسائية فظهر من أسفلها بنطلون بجامته فصاح وراءه ثم أسرع الناس من حوله فشهر مسدسه عليهم وأخذ يطلق النار في الهواء ، إلا ان أحدهم سارع اليه فقتله بالحال . أما سرية مقر الفوج وآمرها النقيب مهدي علي الصالحي فقد كان واجبها احتلال الاذاعة بمساعدة الملازم الأول ثابت نعمان ، وقد سيطر الصالحي على دار الاذاعة وجرّد حرس الاذاعة أسلحتهم وأوعز الى أفراد سريته باحتلال مرافقها وبقي منتظراً وصول عبدالسلام حتى الساعة الخامسة والنصف . . فدخلوا بناية الاذاعة فلم يتمكنوا من تشغيل أجهزتها فأوعزوا الى أحد المهندسين لتشغيلها لكنه أومأ

لهم الى لوحة خفارة المذيعين التي كانت تضم قائمة بأسماء المذيعين موزعة حسب الأيام وقد ظهر ان واجب الافتتاح الصباحي لذلك اليوم للمذيعة عربية توفيق لازم ، فأرسلوا سيارة عسكرية جاءت بها من مسكنها الى دار الاذاعة. . وحالما وصلت سألتهم مَنْ هو قائد الثورة أجابها عبدالسلام : أنا . . فقالتَ له : هل سيطرتهم على مرسلات الاذاعة في أبي غريب ؟ أجابها : وما علاقة ذلك بالاذاعة . . أجابته : ان صوت المذيع سوف لا يسمعه أحد خارج هذه الغرفة إذا ما سيطرت عليها قوى معادية للثورة وقطعت الإرسال . .

عند ذلك اتصل عبدالسلام تليفونياً بشقيقه عبدالرحمن عارف آمر كتيبة مدرعات فيصل ليؤمن له السيطرة على المرسلات ، ثم دخلت المذيعة الى الاستديو ووقفت أمام الأجهزة فضغطت على النابض . . وظهر صوت صفير ثم اختفى وعادت المذيعة لتعلن افتتاح الاذاعة وتذكّر المستمعين بان برامجاً خاصاً سيذاع بعد قليل . . ثم تقدمت أمام عبدالسلام الذي كان يسير في الغرفة ذهاباً وإياباً ويقرأ بعض الآيات القرآنية مع نفسه فقالت له : تفضل ان الاذاعة جاهزة . . فتقدم عارف أمام الميكروفون وقام بإذاعة البيان الأول للثورة .[٣٤]

أما السرية الثالثة بقيادة النقيب منذر سليم فقد توجهت الى قصر الرحاب بموجب الأوامر الصادرة اليه يساعده في ذلك النقيب جواد عبدالحميد . . وكان الدليل الملازم أول عبدالله مجيد الذي اتفق مع آمر السرية على أن يلتقيا في ساحة المتحف حالياً قرب علاوي الحلة ، ومن ثم انطلاق السرية الى قصر الرحاب لكن الذي حصل ان آمر السرية بقى ينتظر الملازم عبدالله مجيد حتى الساعة الخامسة والنصف فاتفق مع معاونه النقيب جواد عبدالحميد على ان الوقت أصبح متأخراً وان الصباح قد اقترب فما عليهم سوى تعقب طريق الفلوجة حيث تظهر القصور الملكية على مقربة من جسر

الخر. . « وبذلك يكون ملازم أول عبدالله مجيد قد تخلى عن مهمة الدلالة ». . وهكذا تحركت السرية بموجب الخطة ووصلت بالقرب من القصر وتم تطويقه. . إلا ان جنود الحرس الملكي شعروا بحركة غير طبيعية خاصة بعد انفتاح السرية. . فتقدم جنديان من الحرس اللذين كانا يقفان بجانب الباب النظامي فصاح بهم أحدهم : ان هذا بيت الملك ويمنع التدريب هنا. . ولكنهما لم يكتفيا بذلك بل دخلا الى ساحة القصر وبلغوا آمريهم بالموقف ، فتقدم بعد قليل النقيب عبدالرحمن محمد صالح من ضباط الحرس الملكي مخاطباً النقيب منذر سليم : ما الأمر ؟ فأجابه منذر : لقد ثار الجيش ونحن من اللواء العشرين ، اذهب وبلّغ الملك والوصي ليخرجا لنأخذهما الى مقر القيادة فنحن لا نريد إراقة دماء. . . فقال له النقيب عبدالرحمن : حسناً سأذهب وأبلغهما وسوف أخبرك بما يستجد. . . وبقيت القطعات الثائرة تنتظر الجواب. . . فانتشرت في الحديقة المقابلة للقصر. . . ولم يطل الانتظار فقد جاء النقيب جواد عبدالحميد مع سرية الهاون ونصب الهاونات على الشارع العام الذي يعلو عن مستوى حديقة القصر لتكون الهاونات قبالة القصر. . ثم رمى قذيفتين فنشب حريق في أحد أطراف القصر. . وفي تلك الأثناء جاءت أربع مدرعات يقود إحداها عبدالرحمن عارف فاستفسر من آمر القوة : ما الأمر فأخبره منذر سليم بالموقف. . وأردف قائلاً : ان العتاد سوف ينفد. . . إلا انه في الحال وصلت قوة من مدرسة المشاة في معسكر الوشاش القريب من القصر لمساعدة القوة المهاجمة وكانت تضم الضباط : عبدالستار العبوسي ومحمد علي سعيد وعبدالله الحديثي وعبدالحميد السراج ومصطفى عبدالله يرافقهم «٧» ضباط صف.[٣٥] وحول تفاصيل اقتحام قصر الرحاب نترك الحديث للعقيد طه مصطفى بامرني آمر الحرس الملكي وكالة وقتذاك والذي كتبه بخط يده وقدمه للأستاذ عبدالجبار العمر يقول فيه : « منذ بداية

حزيران سنة ١٩٥٨ كانت عائلتي قد سافرت الى قريتي « بامرني » في شمال العراق لقضاء فصل الصيف هناك أسوة بالسنين السابقة وكنت أنام في ثكنة الفوج الأول خلال تلك الفترة. نهضت صباح يوم ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ من النوم مبكراً حوالي الساعة «٣٠, ٠٤ - ٠, ٠٥» صباحاً وذلك لتهيئة حرس الشرف المقرر احضاره لتوديع الملك والوصي عبدالإله لسفرهما الى تركيا، وبينما كنت مشغولاً بحلاقة وجهي، حضر عندي مسرعاً الرئيس الخفر « الرئيس سالم رشيد » وأخبرني بأن الملازم فالح زكي حنظل أحد ضباط الفوج والذي كان مشتركاً في دورة من دورات مدرسة الأسلحة الخفيفة في معسكر الوشاش قد خابره تليفونياً بأنه بينما كان قادماً من بيته الى معسكر الوشاش اعترضه بعض الضباط من لواء العشرين على الجسر الحديدي ومنعوه من العبور مدعين بأنه اليوم عطة ولا يسمح لأحد بعبور الجسر. . كنت على علم بحركة لواء العشرين في ذلك اليوم من جلولاء الى إيج ثري « H3 » فخيل لي بأن الملازم الثاني فالح ضابط حديث ولم يشترك في التمارين والحركات العسكرية وان الأصول المتبع أن يترك موقع سيطرة على الجسور وملتقى الطرق عند عبور رتل من آليات الجيش لمعالجة الحوادث التي يحتمل أن تحدث من اصطدام السيارات أو فتح الطريق أمام آليات الجيش فقط وإيقاف عبور آليات الأهلين والسابلة، وان الملازم فالح شاهد الازدحام على الجسر ووقوع حادثة اصطدام ومنعوه من العبور حينذاك. . مع ذلك طلبت من رئيس الخفر الاستفسار تليفونياً من ضابط خفر الانضباط العسكري في مقر وزارة الدفاع عن حقيقة هذا الخبر. . . وقبل وصول رئيس الخفر الى التلفون دق جرس التلفون فكان الرئيس عبدالرحمن محمد صالح آمر حرس الشرف وآمر إحدى سريتي الحرس في قصر الرحاب وتكلم مع رئيس الخفر من ثكنة سريته في قصر الرحاب وقال له بأنه عندما كان قادماً مع بقية ضباط

الحرس من بغداد منعه بعض الضباط من لواء العشرين من عبور الجسر الجمهوري مدعين اليوم عطلة وممنوع العبور وسيرمى عليه إذا حاول العبور، ورغم هذا التهديد عبرت مع الضباط وسيارتنا ولم يرمَ عليهم، وطلب من رئيس الخفر نقل هذا الخبر إليَّ ويستفسر مني هل يتهيأون لحرس الشرف؟ أمْ لشيء آخر؟ ويقصد القتال. فتأكدت من ان القضية إما ثورة يقوم بها الجيش أو انقلاب لصالح دولة استعمارية أمريكية أو انكليزية.. فقلت لرئيس الخفر: أخبر الرئيس عبدالرحمن ليجهز السريتين بكامل العتاد قياس «آ» ولكن إياه أن يفتح النار دون أوامري حيث أمامنا سيكون ضباط ومراتب عراقيين كما طلبت من ضابط الخفر الذي حضر هو أيضاً عندي ليعلن الانذار من قبل البوقي وفتح المشاجب وتوزيع السلاح والعتاد على كافة منتسبي الحرس الموجودين في ثكنة الحارثية والمؤلفة من فوج الأول وسريتين من الفوج الثاني ورعيل مدرعات ومفرزة تصليح الآليات.. وارتديت ملابسي العسكرية فوراً وأشرفت على توزيع السلاح والعتاد وطلبت من رئيس الخفر أن يكون على التلفون دوماً ومخابرة ضباط الفوج القريبة بيوتهم في الحارثية مثل مساعد الفوج «الرئيس هاشم كمال» وضابط الاعاشة وغيرهما، وتم حضور حوالي عشرة ضباط من ضباط الفوج خلال ساعة واحدة، عندما سمعت المعلومات الواردة في مكالمة الرئيس عبدالرحمن قلت في نفسي يا طه هذا آخر يوم من أيام حياتك فإما أموت خائناً إذا قاومت ثورة الجيش والشعب إذا كانت الثورة بقيادة أشخاص وطنيين، أو أموت شهيداً إذا قتلت في سبيل مصلحة الشعب والوطن، ولكن كيف أعرف انها ثورة وطنية أو خلاف بين الاستعمارين الأمريكي والانكليزي للسيطرة على مراكز الحكم في العراق؟ وأخذت أفكر في الخطتين التي سبق لي وقررتهما في أول أيام التحاقي بالحرس وهما الانضمام للثورة الوطنية أو المقاومة إذا كانت حركة

انقلاب لمصلحة الاستعماريين. تم تسليح الفوج وملحقاته والتحاق بعض الضباط فوزعت سرايا الفوج في قواطع متباعدة متوخياً الاختفاء والستر من النار والنظر وإمكان السيطرة لقيادتها عند الحاجة.

أخبرني الرئيس الخفر بأن النقيب عبدالرحمن محمد صالح أخبره تليفونياً بوقوف بعض سيارات الجيش على الشارع العام أمام قصر الرحاب ونزول الجنود منها وإمتدادهم على الشارع العام والرصيف متخذين وضع الرمي باتجاه قصر الرحاب فطلبت من رئيس الخفر ليخابر الرئيس عبدالرحمن بعدم فتح النار إلا بأمر من عندي فذهب وخابره، وفي تلك اللحظات سمعنا صوت رمي اطلاقات بنادق وبعض الرشاشات الخفيفة في اتجاه قصر نوري السعيد، وعرفت ان الرمي كان على قصر نوري السعيد وبعد ذلك ببضعة دقائق سمعنا صوت رمي متقطع من بعض البنادق والرشاشات الخفيفة ولمدة دقيقة أو دقيقتين تقريباً من اتجاه قصر الرحاب ثم انقطع الرمي، فأتاني رئيس الخفر وأخبرني بأن الوصي عبدالإله يطلب حضوري لديه في قصر الرحاب حالاً، ثم أخبرني بجرح أحد جنود قصر الرحاب في رجله فطلبت إخلاءه الى ثكنة الفوج لمعالجته وتم اخلائه فعلاً ومعالجته من قبل المضمدين ثم ارساله الى المستشفى.

وكلت مساعدي «الرئيس هاشم كمال» ليتولى قيادة الفوج وملحقاته لحين عودتي من عبدالإله وطلبت منه أن يتحاشى الرمي على قطعات الجيش العراقي إذا ما اقتربت من منطقة الفوج بل عليه مخابرتي تليفونياً فوراً أو إرسال رسالة لي في حالة قطع التلفون وثم يتصل بضباط القوة المتقدمة ويطلب منهم التوقف لحين حضوري لكي نتفق معهم، وقلت له يا هاشم أمامنا سيكون

ضباط ومراتب عراقيين ولا يجوز لنا أن نقاتل بعضنا البعض ويجب أن نصل الى اتفاق لمصلحة هذا الشعب ولا يجوز الرمي مطلقاً إلا بأمر من عندي وستكون أنت المسؤول عن كل تصرف خلاف ذلك فقال : نعم سيدي . . وأخذت مدرعة من رعيل مدرعات الحرس الملكي وطلبت الى سائقها التوجه الى داخل قصر الرحاب ، وأخذ الرامي يملأ الرشاشة فقلت له ابني لا يجوز الرمي إلا بأمر مني لأن أمامنا عراقيين وسأرميك فوراً في حالة مخالفتك فقال : أمرك سيدي وتوجهت الى قصر الرحاب لمواجهة عبدالإله . . وقبل وصولي الى جسر الخر توقفت لمدة عشرة دقائق تقريباً مستطلعاً موقف السرية من لواء العشرين فوجدتهم منتشرين على الشارع العام والرصيف أمام قصري الرحاب والأميرة راجحة وطريقي الى داخل قصر الرحاب مفتوح لا يوجد أي جندي . وقررت إذا كنت أنوي القتال فتكون السريتين في قصر الرحاب في الدفاع وللمشاغلة وأقدم ثلاثة سرايا بندقيات من ثكنة الفوج ومن جنوب قصر الزهور ثم الى البيوت في الحارثية خلف السرية من لواء العشرين ويبقى فصيل هاونات ٣ عقدة في منطقة الفوج للاسناد عند الطلب ووضع فصيل رشاشات ڤيكرس غرب جسر الخر للرمي على الشارع العام عند الطلب وتكون رعيل المدرعات وفصيل مدافع ١٠٦ ملم في ثكنة الفوج للتقدم على الطريق العام ومشاغلة الأهداف عند الطلب أيضاً ، وبعد القضاء على القوة أمام قصر الرحاب تتم الصفحة الأولى من الحركة وتبدأ الصفحة الثانية بتقديم رعيل المدرعات مع ثلاثة سرايا بندقيات وفصيل مدافع « ١٠٦ » ملم ضد الدبابات على الشارع العام باتجاه المحطة العالمية والى بغداد للقضاء على بقية مراكز المقاومة حيث وجدت وأكرز القول بانني كنت أطبق الخطة لو كانت الحركة بقيادة أشخاص غير وطنيين ولأغراض الصراع بين الاستعمارين الانكلو ـ

أمريكي كما كنت أعتقد بوجود ذلك الصراع ليس في العراق وحدها بل في جميع مناطق النفوذ البريطاني. تقدمت بعدئذ بالمدرعة وعبرت جسر الخر ثم الى الشارع المحاذي لجدار حديقة القصر ودخلت في المدخل الرئيسي ووقفت المدرعة أمام باب قصر الرحاب ببضعة خطوات فخرجت من المدرعة ولم أسمع أية اطلاقة من الجانبين ، فدخلت القصر وشاهدت حقائبهم مهيئة للسفر في مدخل الباب على أساس سفرهما ذلك اليوم الى تركيا . . قابلني رئيس عرفاء سائق للوصي عبدالإله ، وبعد لحظات شاهدت عبدالإله بالبجامة وبادياً عليه علامات التعب والخوف فأديت له التحية العسكرية ثم حضر الملك وكان يلبس سروال وقميص ولم ألاحظ عليه علائم الخوف وأديت له التحية العسكرية أيضاً . . قال لي عبدالإله : ما هذا يا طه ؟ فقلت له لواء العشرين قائم بحركة انقلاب فقال نعم مشكلين حكومة ألا تسمع الاذاعة ولم نسمعها قلت له : كلا لم أسمعها وكنت أسمع صوت الراديو من الطابق الثاني ولكنني لم أسمعها واضحاً فلم افتهم منها شيء. قال لي أجلب الفوج الى منطقة القصر وأستعد للمقاومة الى أن تحضر النجدات قريباً لنا ولكن لا يجوز لك اعطاء أمر الرمي إلا بأمر من عندي وقال تفضل الى واجبك . . أما الملك فلم يتفوه بكلمة واحدة مطلقاً . فأديت التحية العسكرية لهما وانصرفت الى غرفة الحراسة بالقرب من مدخل حديقة القصر وطلبت من المدرعة العودة الى رعيلها في ثكنة الحارثية حيث لا احتاجها دخلت غرفة حرس الباب النظامي للقصر ووضعت مرفقي على رف التلفون وأخذت أفكر في أمر عبدالإله . . أجلب بقية الفوج الى منطقة قصر الرحاب واستعد للمقاومة ولكن لا يجوز الرمي إلا بموافقتي وهذا خلاف خطتي إذا أردت الانضمام بضم قواتي جزءاً بعد جزء ، ان أقرب قوة موالية هي لواء الأول في المسيب آمرها العميد الركن وفيق عارف ولواء

الثامن الآلي في الحبانية آمرها العقيد الركن مظفر التك وهذا يستغرق ساعتين على أقل تقدير لوصول القوتين أو إحداها ، القوة الجوية لا أثر لها فإذن إما انها مُسَيْطر عليها ومجمدة أو انها مترددة وغير معلوم موقفها . . ان قوتي كافية لمقاومة لواء العشرين طوال النهار بل انني واثق من إمكان دحر اللواء المذكور لثقتي بتدريب وكفائه الفوج والسريتين في أرقى درجات التدريب الاجمالي من مهنة الميدان الى تدريب الفوج الاجمالي والتدريب الليلي بكفائة ، رجعت افكر في تصوراتي صباح ذلك اليوم فيجب ان أعلم أولاً مَنْ يقود الحركة ؟ وما الغاية منها ؟ ثم أقرر إما المقاومة أوالانضمام ولا يجوز لي البقاء في تردد . رفعت رأسي من الباب النظامي وشاهدت عريف وجنود من لواء العشرين على الشارع العام ورصيفها فناديت يا عريف ابني نحن عراقيين وأنتم عراقيين أعطي الأمر الى جنودك بعدم الرمي وأرغب ملاقاة ضباطكم للاتفاق معهم ، فقال سيدي العريف الذي بجانبك من الحرس هو ابن عمي فليعطي هو الأوامر الى جنودكم بعدم الرمي لكي اعطي الأوامر أيضاً ، فطلبت من العريف من الحرس وأكد لي بأنه ابن عم العريف « القريشي » في لواء العشرين والذي ناديته فأصدر الاثنان أوامرهما الى المراتب بعدم الرمي . . بعد هذا نزل العريف وجنوده من لواء العشرين لملاقاتي على الشارع المحاذي لجدار حديقة قصر الرحاب وحضر عرفاء ونواب عرفاء آخرين في سرية لواء العشرين وأخذوا يقبّلون يدي ويقولون سيدي خاطر الله انضم الينا ، وكنت أقول لهم أولادي انني أرغب ملاقات ضباطكم للاتفاق معهم ، وفي تلك اللحظات شاهدت رئيس عرفاء السرية من لواء العشرين « ر.ع.س. سواره أحمد » من أهالي أربيل والذي كان عريف فصيل في سريتي خلال سنين «١٩٤٩ ـ ١٩٥٢» في الفوج الثالث لواء الثالث في كركوك. فاستفسرت من رئيس عرفاء السرية والعرفاء عن ضباطهم لكي اتفاهم معهم فقالوا جميعاً : لقد ذهبوا ضباطنا

لجلب العتاد لنا حيث نفد عتادنا. وقال رئيس عرفاء السرية سواره أحمد سيدي والله كنت أريد أن أرسل لك خبراً بالقضية في الليل ولكني خفت أن تكون مع الخونة. فقلت له يا سواره: بقيت معي أكثر من ثلاث سنوات ألم تقتنع من وطنيتي واخلاصي للشعب فقال والله تمام سيدي لكن الغلطة من عندي..

وفي هذا الوقت بالذات أخذ الجنود وضباط الصف من لواء العشرين يقولون لي سيدي خاطر الله مِتنا من العطش فأمرت جنود حرس الباب ليخرجوا لهم الماء بالسطولة والزمزميات خلف جدار الحديقة وشربوا الماء جميعاً ولاحظت بعض المراتب يأخذون المواقع مع جنود الحرس الملكي للاشتراك معهم فأمرتهم جميعاً بالعودة الى أماكنهم على الشارع العام الى أن ألتقي مع ضباطكم فرجعوا جميعاً. شاهدت سيارة الجيب العائدة لركوبي قادمة من ثكنة الفوج مع رئيس عرفاء الوحدة ومراسلي فقالا لي سيدي أتينا لمساعدتك لما تريد فطلبت من الرئيس عبدالرحمن آمر سرية حرس قصر الرحاب بركوب سيارتي ويتقدم على الطريق العام الى المحطة العالمية، فدار الاذاعة ليتصل بضباط ل ٢٠ ويخبرهم برغبتي للاتفاق معهم، إلا انه تبين لي في النهاية بأنه أخذ السيارة مع السائق ورئيس عرفاء الوحدة الى مقر سريته على أساس قضاء عمل ما في السرية ثم يذهب إلا انه لم يذهب.. أخيراً سمعت صوت اطلاقة واحدة في استقامة قصر الأميرة راجحة فذهبت لأفتش هناك لعلني أعثر على أحد الضباط من لواء العشرين فلم أجد أحداً سوى المراتب فقط وسألتهم فأجابوني لم يرجع ضباطهم بعد وسمعت صوت اطلاقة أو اطلاقتين في استقامة جسر الخر فذهبت هناك أيضاً فلم أجد أحداً من الضباط وفي عودتي الى قصر الرحاب قرب ثكنة الحرس سمعت دوي مدفع علمت من صوتها انها مدفع ١٠٦ ملم ضد الدبابات ولكنني لم أطلع على مصدر الرمي وثم رمي قنبلة ثانية فشاهدت المدفع على الشارع العام مقابل باب قصر الرحاب وشاهدت بعض

الجنود حول المدفع المذكور وعرفت بينهم الرئيس ستار سبع الذي كان طالباً عندي في دورة حرب العصابات في معسكر تدريب الحروب الجبلية في زاويته سنة ١٩٥٣ فناديت عليه رئيس ستار أنا العقيد طه البامرني آمر الحرس الملكي وان شعوري الوطني لا يقل عن شعوركم فأسئلكم سؤالين وتجاوبوني عليهما ومن ثم أقول لكم إما أنا معكم أو أقول لكم أقاتلكم وقاتلوني. فقال تفضل سيدي.

س١ : مَنْ يقود الحركة ؟

ج ١ : ستار وبعض الضباط الواقفين معه : الزعيم الركن عبدالكريم قاسم والعقيد الركن عبدالسلام عارف.

س ٢ : وما هي الغاية من الحركة ؟

ج ٢ : من الجميع تقريباً : القضاء على الحكم الملكي الرجعي العميل للاستعمار وتأسيس جمهورية عراقية ديمقراطية.

س ٣ : أين هو العميد الركن أحمد حقي آمر لواء العشرين ؟

ج ٣ : من الجميع تقريباً : موقوف في الفلوجة مع الجماعة المتقدمة للواء.

ولمعرفتي الجيدة باخلاص ووطنية عبدالكريم قاسم سابقاً وحبه وحرصه الزائد لمساعدة الفقراء والضعفاء وذلك خلال وجودنا في فلسطين سنة ١٩٤٨ حيث التقيت معه عدة مرات في منطقة فوجه كما انه زارني مرتين في قاطع سريتي والتقيت معه مرتين في نابلس والشونه عندما كان يذهب باجازة الى العراق فكنا نتناقش حول القضايا الوطنية في فلسطين والعراق والبلدان العربية الأخرى وتأكد لديه في حينه اخلاصه وتفانيه في سبيل القضايا الوطنية أما عبدالسلام عارف فلم يسبق لي التعرف أو الاجتماع به إلا انني كنت أسمع من معظم الضباط عندما كان يدار أحاديث وطنية في العهد الملكي كانوا يقولون انه وطني ممتاز. حينذاك قلت لهم اخواني معكم مع الثورة ورحبوا بي

جميعاً فقلت للضباط جميعاً اخواني ليتفضل بعضكم أو جميعكم معي لندخل القصر ونأخذ عبدالإله والملك الى مقر قيادة الثورة فتقدمنا جميعاً من الشارع العام الى مدخل الباب النظامي ثم ركضت الى داخل القصر ووجدت نفسي منفرداً ولم يحضر أحد الضباط معي ، فرجعت اليهم وقلت لهم لماذا لم تدخلوا ؟ فأجابني الملازم الثاني الاحتياط محمد جواد عطية من كتيبة مدرعات عبدالرحمن عارف كان قد حضر أيضاً مع المقدم مصطفى العمري في نفس الكتيبة قال لي الملازم الاحتياط سيدي هل أنت واثق من كافة ضباط ومراتب الحرس بأنهم لا يغدرون بنا ؟ وأيدوه بقية الضباط الواقفين ، فقلت لهم انني واثق من ٩٠٪ فقالوا سيدي لا يمكننا الدخول. فقلت لهم ماذا نعمل ؟ فاقترح الملازم الاحتياط وقال سيدي إذا تتمكن اجمع ضباط ومراتب سريتي الحرس واجردهم من السلاح والعتاد خارج القصر ليفسح لنا المجال للدخول الى القصر. صفرت عدة مرات بصفارتي وأخذت أنادي بأعلى صوتي سريتي الحرس أمامي تجمع وناديت الرئيس عبدالرحمن والملازم كاظم جبر من السرية الثانية لحراسة قصر الرحاب اجمعوا السريتين أمامي بسرعة فساعداني الضابطين بجمع جنودهم بسرعة ووقفوا أمامي بصفين على الحديقة خارج جدار حديقة القصر وقلت لهم أرضاً سلاح والعتاد وتحركوا هناك ، أي مسافة حوالي « ٥٠ ـ ١٠٠م » من أسلحتهم فنفذوا الأمر حالاً بدون تردد. حينذاك تقدم ضباط ومراتب لواء العشرين ومن مدرسة الأسلحة الخفيفة وأخذوا احتياجاتهم من العتاد ومن عتاد الحرس وبدأ الرمي الشديد من جميع الجهات على القصر من رشاشات خفيفة ، وغدارات وبنادق ، وحينذاك تم تطويق قصر الرحاب من قبل المهاجمين كما جاء في تقارير بعض الضباط عن أعمالهم البطولية ولكن الرمي على مَنْ ؟ ولماذا ؟ فلا توجد أية مقاومة من القصر ويمكن حل القضية بالكلام والتلفون ، وأصبح الخطر من القوة المهاجمة من رمي بعضهم للبعض

حيث فقدت سيطرة الضباط على المراتب فناديت الضباط : اخواني لا توجد أية مقاومة في القصر وأصبح الخطر علينا جميعاً فالرمي في جميع الجهات ويحتمل أن تحدث الاصابات بيننا ومن انفسنا وقفوا الرمي وانني أخابر عبدالإله تليفونياً ليحضر خلال خمسة دقائق مع الملك لأخذهما الى مقر القيادة أو ينسف القصر بالمفرقعات فتوقف الرمي عدا طلقات قليلة متفرقة ، وهنا حضرت مدرعتين من كتيبة عبدالرحمن عارف وقفت إحداها على الشارع العام مقابل الباب النظامي وتقدمت الثانية ووقفت في مدخل الباب النظامي. أخذت التلفون وبحضور الضباط وطلبت من بدالة قصر الزهور أن يحضر عبدالإله على التلفون فحضر شخص وادعى بأن عبدالإله لا يتمكن من الحضور وانه «الشريف. . .» اعتقد ادعى انه الشريف حسين وقال سيدي أخبرني بما تريد وابلغ عبدالإله فقلت أنا العقيد طه البامرني آمر الحرس انظممت مع جميع الحرس الى الثورة والثورة بقيادة الزعيم عبدالكريم قاسم والعقيد عبدالسلام عارف وضباط الثورة يطلبون حضور الملك وعبدالإله لأخذهما الى مقر قيادة الثورة خلال خمسة دقائق وفي حالة تأخيرهما فالقصر جاهز للنسف وان حياتهما في خطر فقال نعم سيدي سأبلغه. فكان خلال خمسة دقائق. وقد خرج عدد من نساء القصر في صف واحد وخلفهن وفي المنتصف يسير الملك وعبدالإله متوجهين الى الباب النظامي وكنت واقفاً حينذاك في مدخل الباب النظامي وبجانب المدرعة من كتيبة عبدالرحمن عارف ، وذلك بغية السيطرة على السريتين من الحرس لكي لا يعودا الى السلاح ، وفي نفس الوقت أراقب خروج الملك عبدالإله من القصر. وعند وصول الملك وعبدالإله والنساء الى جانب حوض الماء في وسط الحديقة وبمسافة «٣٠ ــ ٥٠» ياردة من المدرعة فتحت المدرعة نار رشاشتها عليهم وسقطوا جميعهم على الأرض ، لاحظت إحدى النساء تتألم من جرحها أما الملك وعبدالإله وبقية النساء فقد فارقوا

الحياة. ناديت الضباط وأخبرتهم اخواني هذا قصر ملكي فيها وثائق خطيرة وأموال وتحف أصبحت ملكاً للدولة وانتهى واجب حراستي فأمنوا حراستها من جنودكم واطلبوا سيارات الاطفاء لاطفاء الحريق الذي وقع في الطابق الفوقاني.. وفي نفس الوقت يرافقني بعض الضباط والمراتب للذهاب الى قصر الزهور لتأمين حراستها أيضاً من جنودكم وثم نعود الى مقر الفوج للتأكد من ان المساعد قد نفذ أوامري بتوزيع كافة الأسلحة والأعتدة الى المشاجب ومخزن العتاد والمراتب جالسين في القاعات، فوافق النقيب عبدالستار سبع والنقيب عبدالله الحديثي لمرافقتي مع بعض ضباط صف مدرسة الأسلحة، ركبنا إحدى سيارات لندروفر ولكن قبل حركتها لاحظت مشاورة بين الضابطين المذكورين ثم نزلا من السيارة فقلت لهما يجب أن نسرع قبل أن يتمكن أحد الضباط من السيطرة على الفوج وملحقاتها ويقومون بحركة مضادة ضدنا، فقالا اننا لا نسير إلا بعد ان تحضر معنا الدبابات. فقلت لهما اخواني لقد قضى كل شيء الى الآن بسلامة وانني اتقدم أمامكم مسافة «٢٠٠» يارد الى كل نقطة حراسة من قصر الزهور وآخذ منهم السلاح والعتاد وأحركهم الى مساعد الفوج الذي أنا واثق من انه قد أخذ كافة الأسلحة والأعتدة من الفوج والمفارز وانها الآن في المشاجب وذلك بموجب مخابرتي التليفونية اليه من قصر الرحاب وجوابه نعم ان كل شيء سيكون حسب المرام.. إلا انهما بقيا مترددين بعض الوقت الى أن شاهدنا تقدم إحدى الدبابات نحونا قادمة من اتجاه المحطة العالمية، فأوقفنا الدبابة وكان بداخلها الرئيس الأول عبدالجواد لاوند فطلب منه عبدالله الحديثي وعبدالستار أن يرافقنا مع الدبابة، فوافق عبدالجواد لاوند وتقدمنا مع الدبابة باتجاه نقطة حراسة الباب النظامي لقصر الزهور فأوقفت الجميع وخرجت من السيارة ماشياً لمسافة «٢٠٠» يارد تقريباً وناديت يتجمع الحرس وأرضاً سلاح والعتاد والى المساعد

« عادةً سر » فتم ذلك فسلّمنا نقطة الحراسة الى أحد مراتب مدرسة الأسلحة مع جندي من الحرس الملكي بدون سلاح وهكذا تم أخذ السلاح والعتاد لكافة نقاط الحراسة في قصر الزهور. ثم تقدمنا الى منطقة ثكنة الفوج فاستقبلنا المساعد وقال سيدي ان كافة الأسلحة والأعتدة داخل المشاجب والمراتب جميعاً في قاعات النوم حسب أوامركم وكل شيء هادىء. ولاحظت ذلك فعلاً. ثم أخبرني المساعد بأنه قد صدر بيان من قيادة الثورة حول تعيين العقيد نوري الراوي آمراً للفوج الأول للحرس ونقلي الى منصب مدير شعبة المبايعات في وزارة الدفاع وشاهدت الراوي جالساً مع بعض الضباط في طارمة مقر الفوج فسلمت عليه وهنئته بمنصبه الجديد وقد تم كل شيء حسبما اعتقد حوالي الساعة العاشرة صباحاً ».

تقرير الهجوم على قصر الرحاب بخط العبوسي

أُقسم بالله العظيم وبرسوله الكريم بأن كل كلمة في هذا التقرير صحيحة ودقيقة وقد توخيت من هذا التقرير ان أذكر دوري والأشخاص الذين صادفتهم خلال أعمالي في الهجوم ويجوز أن يكون هنالك بعض الأشخاص الذين قاموا بأعمال أخرى لم أصادفهم في طريقي لذلك اقترح أن يكتب كل شخص عن دوره لكي تكون القصة كاملة .

كنت آمر لدورة تدريب المشاة الأساسية في مدرسة المشاة وكان موجود دورتي « ١٨ » ضابط و« ٦٨ » ضابط صف وكانوا منتخبين من وحدات الجيش المختلفة . كان وقت التدريب مبكراً حيث تبدأ ساعة التدريب الأولى بالساعة السادسة صباحاً وقد كنت ضابط خفر ليوم ١٩٥٨/٧/١٣ وفي صباح يوم ١٩٥٨/٧/١٤ حوالي الساعة الخامسة والنصف حضر أحد الضباط المعلمين وأخبرني بوجود انقلاب في بغداد . أمرت بجمع الدورة ضباطاً وضباط صف وطلبت منهم أن يستلموا البنادق العائدة لهم رغم ان التدريب في ذلك اليوم كان تدريب على العصا وقبل الساعة السادسة سمعت أصوات رمي مستمر من ناحية قصر الرحاب وأخبرت الرئيس حميد السراج والرئيس محمد علي سعيد وطلبت رأيهم ورأي الضباط التلاميذ الباقين حول مساعدة القوة القائمة بالهجوم على القصر فأخبرا ضباط الدورة بالموضوع لمعرفة رأيهم ومقدار تأييدهم للثورة بحضوري فأيد الضباط كافة عدا ضابط واحد وهو الملازم فالح زكي حنظل وطلبت منهم استلام غدارات استرلنك وأخبرتهم بأنني سأذهب مع الرئيس محمد علي سعيد الى قصر الرحاب لمعرفة احتياج القوة القائمة بالهجوم ، وعند وصولنا شاهدنا جنوداً ممتدين على الرصيف وقسم منهم أمام السياج المحاذي للرصيف وكانوا منبطحين من الباب الوسطي للقصر

حتى الجهة الغربية من بغداد إلا انني لم أعرف كافة مواضع القوة في المحلات الأخرى فسألت الجنود المنبطحين عن احتياجهم لأنني لم أشاهد معهم ضابط. فقالوا « بأننا نحتاج الى عتاد لأن عتادنا على وشك النفاد » هذا حسب قول الجنود فاستصحبت معي أحد نواب الضباط الذين صادفتهم بسيارتي حمل كبيرة. وعند وصولي المدرسة كسرت المستودع ضابط الاعاشة الخاص بالعتاد لعدم وجود المفتاح لدي وطلبت من ضباط صف الدورة ١٠٦ ملم اخراج عتاد ١٠٦ ملم وتحميل مدفع ١٠٦ ملم في إحدى سيارات الجيب بأقصى سرعة ممكنة لضيق الوقت كما طلبت من ضباط صف آخرين إخراج عتاد الغدارات أولاً وتهيئة عشرة مخازن مملوءة فوراً واخراج بقية العتاد للبنادق. تناولت الغدارة المرقمة ٥٣٨٤ من مشجب جناح ضباط الصف كما استلمت ثلاثة مخازن مملوءة وسلمت « ٣ » غدارات لضباط الصف كانوا بقربي وتوجهت الى رحبة المدافع بعد ان ألقيت كلمة قصيرة في ضباط صف الدورة بغية تشجيعهم على القيام بعمل فعّال وطلبت من الرئيس سامي مجيد أن يشرف على العتاد وعلى إركاب ضباط الصف وإرسالهم خلفي وركبت في سيارة اللاندروفر مع المدفع مع ضباط صف عدد « ٢ » من ١٠٦ ملم وثلاثة ضباط صف حاملي غدارات وأربع طلقات ١٠٦ ملم وتقدمنا بأقصى سرعة وعند وصولنا الى الرحاب وضعنا المدفع على الرصيف مقابل الباب الرئيسية يسار الجنود الممتدين ووضعنا الأربعة اطلاقات التي معنا بجانب المدفع. كنت أسمع أصوات الرمي من جهات مختلفة مما اضطر ضباط صفي على الامتداد على الشارع المبلط العام كما تراجع الجنود الى نفس المحل. وقد طلبت من ضباط صفي ان يملأ أحدهم المدفع فلم أسمع إلا صياحهم « سيدي امتد لا تموت » وظلوا في أماكنهم فاضطررت الى أن أخرج إحدى الاطلاقات بنفسي من غلافها وملأت المدفع وتحولت الى الجهة اليسرى بغية الرمي وكانت أمنيتي الوحيدة أن أكمل رمي

الاطلاقة ثم بعدها مرحباً بالموت لكثرة ما كنت أسمعه من دوي الرصاص فصوبت على الطابق العلوي ورميت الاطلاقة فاختفى القصر كله عن أنظاري لكثرة الغبار والدخان. وقد ملأت اطلاقة ثانية فوراً بالاستفادة من ذلك وانتظرت لحظة فشاهدت الرئيس ثابت يونس يخرج من الباب وبيده علا مة بيضاء محاولاً التقدم نحو جنودنا فتناولت الغدارة التي اندثرت في التراب ووجهتها نحوه وطلبت منه أن يقف وإلا كان الموت جزاءه وقلت له انني لا أريد منك أن تستسلم بل أريد استسلام القوة كلها وانني آمرك بالرجوع فوراً لأنني كنت أخشى أن يؤثر على الجنود القريبين مني فرجع فوراً الى الداخل وعدت الى مدفعي ووجهت الى الطابق العلوي أيضاً ورميت الأطلاقة الثانية وملأت الثالثة فوراً فشاهدت بعدها العقيد طه البامرني آمر اللواء يخرج من الباب الوسطية ويصيح اننا مستعيدين للتسليم فقلت له نحن حاضرين لاستلامكم تفضلوا فعاد الى الداخل ليجلب الجنود وقد انتظرت بعض الوقت وظننت انه لم يكن جاداً في قوله فرميت الاطلاقة الثالثة على الطابق الأسفل وملأت الاطلاقة الرابعة وعولت أن لا أرميها لأنها الأخيرة وانتظرت وبعد قليل شاهدت من ناحية اليسار العقيد طه البامرني وخلفه رتل من الجنود يحملون أسلحتهم بوضع أفقي وكانوا يسيرون على الشارع المحاذي لسور الرحاب فأخذت غدارتي واثنين من ضباط صفي وسرت باتجاههم فطلبت من آمر اللواء أن ينزع مسدسه وأخذت منه العتاد وطلبت من الجنود أن يلقوا بسلاحهم وعتادهم على الأرض فوراً ويتجمعوا بالقرب من السور المحاذي للجدار وأخرجت ثمانية جنود منهم وطلبت أن يجمعوا العتاد في قطع القماش الكبيرة التي كانوا يحملونها وبعد ذلك طلبت من ضباط صفي أن يأخذ هؤلاء ويوزعوا العتاد على سرية المشاة القريبة منا والتي أتت الى الرحاب لاحتلاله وطلبت من باقي الجنود أن يتحركوا الى الحديقة المحاذية للشارع العام ووضعت عليهم

بعض الجنود حرساً عليهم وفي هذا الاثناء شاهدت مدرعتين. تتقدمان على الشارع المحاذي للسور باتجاه الباب فطلبت من إحدى المدرعتين أن تدخل من باب السور وتقوم بالرمي ثم تتقدم بغية الاستتار خلفها وعند وصول المدرعة الى الباب الداخلية تأكدنا بأن الرمي قد انقطع من الداخل فتقدمت الى الباب الداخلية فشاهدت الرئيس ثابت يونس وسألته عن الملك وعبدالإله فأقسم لي بأنه لا يعلم شيئاً عنهما وكنت متأكد بأنه كاذب في قَسَمِهِ وفي هذا الأثناء شاهدت الرئيس سامي مجيد ومحمد علي سعيد والرئيس حميد السراج والرئيس عبدالله الحديثي والرئيس مصطفى عبدالله والملازم الأول عبدالكريم رفعت والملازم الأول حبيب شبيب فدخل بعضهم الى داخل القصر وكان لوجودهم أثر كبير في تقوية معنوياتنا وقد عدت الى الباب الرئيسية لأنني كنت أشعر بوجود خدعة تدبر ضدنا وبينما كنت أسير وإذا بأحدهم يصيح « جو. . جو. . جو » فالتفت فجأة الى الخلف فشاهدت عبدالإله والى يساره امرأة عجوز تلبس نظارة والى يسارها الملك وكان يمين عبدالإله والى الخلف امرأة تلبس فستاناً أخضر وكانت بيضاء تميل الى السمرة وشعرها أصفر وكان خلفهم عدد من حاشيتهم وخلفهم بعض الضباط وبينما تقربوا مني سمعت اطلاقات نارية اتجاهي فأجبت عليها بالمثل بصورة غير إرادية وعلى أثر ذلك سقط عبدالإله والملك والامرأة العجوز على الأرض وطلبت من العقيد البامرني أن يتقدم معي للذهاب الى فوج الحرس الملكي في قصر الزهور فأخبرني بأنه توجد ثلاثة سرايا بكامل اعتدتها وأسلحتها وآلياتها فمن المستحسن أن تسمح لي ان اتصل بالمساعد لكي يستلم الأسلحة والأعتدة لكي لا تحدث مذبحة فوافقت على ذلك بعد ان هددته بالقتل إذا أمر عكس ذلك فأقسم بشرفه العسكري بأنه سيعمل لمساعدتنا فاتصل بالمساعد من غرفة حرس الرحاب فأخذ المساعد بتسليم السرايا

والأسلحة والعتاد ثم طلبت منه أن يصعد بسيارة اللاندروفر ثم صادفت المقدم العمري وزودني بمدرعتين وكان الملازم الثاني الاحتياط محمد جواد غصيبة يرافق هذه المدرعات ووعدني بإرسال غيرها خلفي بعد حركتنا وركبت سيارة اللاندروفر في الخلف مع بعض ضباط الصف حاملي الغدارات ووجهت غدارتي صوب العقيد طه وتقدمنا الى قصر الزهور وخلفي إحدى المدرعات وأعتقد بأن المدرعة الثانية ذهبت من الشارع الثاني المؤدي الى الفوج وعند وصولنا الى منتصف الطريق شاهدت إحدى الدبابات قد عقبت المدرعة فطلبت من سائق سيارة اللاندروفر أن يقف حتى تصل الدبابة ، اجتازت الدبابة المدرعة حتى وصلت أمام المدرعة ووقفت على مسافة خمسين يارد من سيارتي فاستغربت من وقوفها ونزلت من السيارة لأرى السبب فشاهدت ضابطاً برتبة رئيس أول في الدبابة فسألته عن عدم تقدمه فهمس في اذني عند صعودي الدبابة بأنه ليس عنده عتاد وانه ينتظر وصول العتاد الآن فقلت له : « تقدم للهيبة » وتقدمت بسيارتي وعقبتني الدبابة والمدرعة وعند وصولنا الى مسافة « ١٠٠ » يارد شاهدت حرس قصر الزهور يصوبون بنادقهم نحونا فاقترح العقيد أن يترجل هو بنفسه اليهم وكنت أسير على مسافة عشر ياردات منه فأخذ يصفر اليهم ويطلب منهم القاء سلاحهم فتقدمت مع ضباط الصف وجردت الحرس من أسلحتهم وعتادهم وأبدلتهم بحرس من ضباط صف مدرسة المشاة ثم دخلت الفوج بعد ان دخلت أمامي الدبابة واستلمت المشاجب ومفاتيحها ووضعت جماعة حرس عليها وبعد قليل حضر العقيد نوري الراوي آمر اللواء الجديد وسلمته المفاتيح والفوج ورجعت الى المدرسة ثم الى الاذاعة وأخبرت العقيد عبدالسلام محمد عارف بما حدث فأجابني « عارفم زين سويت » .

وفي الختام أود أن أضيف بأن ضباط وضباط صف دورة تدريب المشاة

وبعض مراتب مدرسة المشاة كان لهم أثر كبير في إنجاح الهجوم على الرحاب واستسلام لواء الحرس ». [٣٦]

التوقيع

الرئيس

عبدالستار العبوسي

قصر الرحاب صبيحة ١٤ تموز

نهض خدم قصر الرحاب في وقت مبكر من صبيحة يوم الاثنين ١٤ تموز لإعداد حقائب السفر وتهيئة متطلباته إستعداداً لسفر الملك فيصل صبيحة ذلك اليوم الى استانبول ، كما قامت الملكة نفيسة التي قضت الليل كله في حالة أرق شديد تقرأ القرآن الكريم بإيقاظ ابنتها الأميرة عابدية ثم الأميرة هيام زوجة عبدالإله . . وبينما هم منشغلون سمع الجميع صوت اطلاقات نارية تمام الساعة الخامسة والربع فظنوا انها آتية من معسكر الوشاش القريب من القصر حيث يتدرب الضباط والمراتب في أحد مزاكز التدريب ، ولكن الحقيقة انها آتية من قصر نوري السعيد حيث بدأت قوات الثورة بالهجوم عليه مبكراً .[٣٧] ولكن ما لبث ان اشتد الرصاص أزيزه من جديد فخرج الملك من غرفته الى البهو فوجد فيه الملكة والأميرات مع خادمتين واقفات بالقرب من شرفة القصر يتطلعن الى خارج القصر فنادى حارس الباب الداخلي للقصر صائحاً : ماذا حصل . . ؟

ثم انضم الى الحارس ضابط وجنديان فأجابوه :

إن حرس المدخل الرئيسي بحثوا عن السبب فلم يهتدوا اليه عندها خرج في تلك اللحظة عبدالإله وهو ما يزال يلبس البجاما وقال لهم :

ـ اذهبوا وتحروا عن المصدر.

وبعد فترة شاهد الجميع جندياً كامل السلاح ينحدر من الشارع العام

المقابل للقصر باتجاه الباب الرئيسي ويعانق أحد الحراس ، فيما كانت جماعات من الجنود تتوجه بموازاة الشارع ، ثم دخل بعد قليل أحد الجنود الى القصر وخاطب عبدالإله قائلاً :

ـ سيدي ان هذا الجندي جاء يطلب الماء من أحد أقاربه في الحرس الملكي وكذلك ليسلم عليه.

فقال الأمير : اعطه الماء واسأله ماذا يريد ؟

وعاد الجندي مرة أخرى الى الأمير قائلاً :

سألناه ماذا يريد فأجاب انه تلقى أمراً مع بقية الجنود لتطويق القصر.

فارتد عبدالإله وطلب الاتصال برئاسة الأركان ثم برئيس الوزراء فلم يجد جواباً.

ثم أخذ الرصاص ينهال باتجاه القصر فأصابت زجاج إحدى النوافذ.[٣٨]

وفي بهو القصر وقف الملك وعبدالإله وحولهما عائلتهما يتبادلان الرأي وقال عبدالإله : اعتقد انها حركة من الجيش ضدنا.

ثم أخذ عبدالإله يتكلم التركية لما وجد ان الخدم يصغون الى الحديث. . . كما لوحظ ان الملكة نفيسة تمسك بكتف ولدها عبدالإله أما الأميرة عابدية فكانت تطوق الملك فيصل بيديها. . ثم ترك عبدالإله الصالة ودخل الى الغرفة وعاد وبيده ورقة وقلم ناولها للملك. ثم نزلا من الطابق الأعلى الى الطابق الأسفل وكان النقيب ثابت يونس مرافق الملك بانتظارهما فسأله الملك :

ـ ماذا تعرف ؟

أجابه : سيدي شاهدت سيارات لوري على الشارع العام وحولها بعض الجنود يقدر عددهم خمسين جندياً يطلقون النار علينا ، واننا قادرون على سحقهم إذا أمر جلالتكم.

أجابه عبدالإله : لا نريد أن نسحق أحداً .[٣٩]

ثم اتصل عبدالإله بالعقيد طه البامرني آمر الحرس الملكي وطلبه للحضور.

ثم توجه الملك والأمير الى الصالون الكبير في المكان الذي يستقبل الأمير فيه زائريه وكبار السياسيين ثم جلس الملك في صدر الصالون بينما ظل عبدالإله يتمشى في الصالون حاملاً سيكارته بيده ومطرقاً رأسه .

لا شك ان عبدالإله كان يفكر في تلك اللحظة بحوادث كثيرة جابهته طيلة فترة حكمه ، ففي إحدى المرات التي استقبل فيها زائريه بتلك الصالة قال له :

ـ أنا أعرف انه إذا بقيت الأمور على هذه الشاكلة . . فسيدخلون علينا ويقتلوننا هنا .

فقال له الزائر : وماذا تنتظرون . . لكي تعدلوا الأمور ؟

فقال : ان أيدينا مغلولة لقلة الرجال وزحمة الأحداث .

فأجابه الزائر : ولِـمَ لا تستعينون بالشباب من الجيل الجديد ؟

فقال عبدالإله : ان هذا من شأن فيصل فيوم يكبر عليه أن يتدبر شباباً يعملون معه . . أما أنا فالشباب يكرهونني . .

لقد كان هذا الحوار في حوالي سنة ١٩٥٧ ولعله قد تذكّره في تلك اللحظة وهو يرى ان نبوءته قد تحققت أو على وشك أن تتحقق[٤٠] . .

وفي ظل هذا المأزق ووسط اشتداد اطلاق النار في الخارج شوهد العقيد طه البامرني يتقدم الى الباب الداخلي للقصر بسيارة فيهبط في الحديقة قادماً من قصر الزهور فيسأله الجنود : ما الأمر . . ؟ فيقول لهم : أريد ان أشوف الملك وعبدالإله . ودخل عليهما وبعد ان أدى التحية قال :

إن الجيش على ما يبدو قد تحرك للقيام بحركة وان لدينا القوة الكافية

لمقاتلتهم . . ونحن بانتظار الأوامر .

فقال له عبدالإله : هيىء نفسك وقواتك ولكن بدون ان تطلق أية رصاصة إلا بأمر مني .[41]

ثم خرج البامرني والتفت الأمير عبدالإله والملك الى النقيب ثابت يونس مرافق الملك وقال له :

اذهب وبلغ المهاجمين نحن مستعدون للمفاوضة ولكن مع ضابط كبير.

ومن جهة أخرى صعد عبدالإله والملك الى الطابق الأعلى لتطمين الملكة نفيسة والأميرات ثم نزلا بعد دقائق فسمعا الراديو يذيع أسماء الوزارة الجديدة وكان قد ورد اسم عبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف ولما وصل الى اسم « ناجي طالب » توقف الملك فيصل على السلم والتفت ناحية خاله الأمير عبدالإله مندهشاً وقال :

ــ حتى ناجي طالب وياهم .[42]

ثم أجابه عبدالإله : الله كريم فرقة غازي الداغستاني .[43]

فمن المعلوم ان ناجي طالب كان مرافقاً للملك فيصل فترة طويلة ثم نُقل الى إحدى وحدات الجيش . . وكان ناجي قد تقدم لخطبة إحدى الأميرات إلا ان عبدالإله لم يوافق على هذه الخطبة فظل ناجي يحمل حقداً في داخله على الأمير والأسرة المالكة . .

ثم دخل الملك والأمير الى الصالون الكبير مرة أخرى فجلس الأمير في واجهته ، ويقال انه اتصل بعبدالسلام عارف تليفونياً بدار الاذاعة حيث كان يذيع البيانات ويحث الناس على مهاجمة قصر الرحاب ودكه بمَنْ فيه . وما ان اقتربت الساعة من السادسة والنصف كانت الأميرات حتى اجتمعن في البهو فالملكة نفيسة تقرأ القرآن والأميرة عابدية في حالة خوف وفزع . .

وكانت قد اتصلت بها زوجة أحد رؤساء الوزراء السابقين وهي زوجة توفيق السويدي وأعلمتها بأن انقلاباً قد حدث وان المواطنين يتجمعون أمام دارنا ويحيطون بالسفارة البريطانية المقابلة لنا . . فقالت لها الأميرة : نحن لا نريد شيئاً سوى سلامة الولد « وتقصد الملك فيصل » .

وبعد ذلك بقليل رن جرس التليفون من جديد وكانت المتحدثة الأميرة بديعة خالة الملك فيصل وزوجة الشريف حسين . . استفسرت بقلق عما يجري فاستلم الملك فيصل التلفون وطمأنها ثم تكلم مع زوجها الشريف حسين وقال له :

ـ ماكو شي . . سأرسل لك مجموعة حرس .

أجابه الشريف حسين : ماكو لزوم . . لست بحاجة اليهم .

وكان الشريف حسين يراقب بالمنظار من على سطح داره القريبة من القصور الملكية في المنصور ما يجري هناك رغم اشتداد الرصاص وقد منع أولاده من الصعود الى سطح الدار خوفاً من ان تصيبهم اطلاقات الرصاص .[٤٤]

أما في القصر وبينما اطلاق النار على أشده وصل المقدم محمد الشيخ لطيف ضابط استخبارات لواء الحرس وشاهد الموقف على الشارع العام واستطاع تقديره ، ثم توجه الى ثكنة الفوج فشاهد رئيس خفر وضابط الخفر واستفسر منهما عن الموقف فأخبراه ان الموقف كما تقتضي الأوامر بعدم الرد . فتوجه بالحال الى داخل قصر الرحاب مع أحد راكبي الدراجات البخارية .[٤٥]

من جانب آخر دخل الملازم أول ثامر خالد الحمدان المرافق العسكري للأمير عبدالإله بسيارة أوبل الى القصر وسط كثافة شديدة من النيران فالتقى الضباط وأبلغهم ان الهجوم شديداً وان قوات أخرى جاءت من معسكر الوشاش لتساندهم وحاولوا اقناع عبدالإله للقيام بهجوم مضاد لطرد القوة

المهاجمة فلم يوافق على ذلك ثم طلب منه أن يهرب ومعه العائلة بسيارته الخاصة ما دام القصر لم يتم تطويقه من الخلف ويمكن الهرب بواسطة الطريق العام الذي يؤدي الى الحدود الأردنية ــ العراقية.(٤٧) لكنه رفض أيضاً هذا العرض.. أما الملك فقد التفت ليجد مجموعة من ضباط الحرس كانوا قد وصلوا الى القصر فاستفسر منهم عن كيفية وصولهم فقالوا لقد دخلنا بملابس مدنية عن طريق المراتب من الخلف.. وفي الحال صعد الملك الى الطابق العلوي.. فما كاد يصعد درجتين حتى دوى انفجار كبير وكانت القنبلة الأولى التي أطلقها العبوسي. فأصابت برج السلم وتطايرت الشظايا وأسرع الضباط الى الملك فلم يصب بشيء فحاول الصعود مرة أخرى لكنهم منعوه خوفاً عليه من القصف.. واتجه الى غرفة جانبية ظلت بعيدة عن القصف، بينما صعد ضباط آخرون الى الطابق العلوي فوجدوا الملكة والأميرات ومعهما عبدالإله حاولوا اقناعهم بالنزول إلا انهم رفضوا ثم دوى انفجار آخر في الطابق العلوي جعل الأمير والملكة والأميرات ينزلون الى الطابق الأسفل ترافقهما الآنسة فيغمان سويسرية الأصل ترعى شؤون القصر، والخادمة رازقية وبصحبتهما الطفلة غازية عمرها ست سنوات أشرفت الأميرة عابدية على تربيتها، ثم دخل الجميع الى الغرفة التي احتمى فيها الملك.. واشتد الرمي في الخارج فيما قام عبدالإله بتهدئة النساء ولم تفارق شفتيه اللفافة نافذاً دخانها بسرعة، وهنا فتح الباب أحد سائقي السيارات الملكية ويدعى عمران متوسلاً الى الملك أن يهرب خاصة وان الطريق مفتوحاً خلف القصر ويمكن الهرب بسهولة بإحدى السيارات الى حيث الحدود الأردنية، إلا انه رفض.. ثم أجابه عبدالإله بعدم الموافقة وأردف قائلاً: انه أعد ورقة فالتفت الى الملك وقال له: أكتب فيها تنازلك عن العرش.(٤٨) عندئذ تقدم المهاجمون الى الحديقة ودخلوها.. كما تقدم الضباط المنتشرين بالقصر بالقرب

من النافورة المستديرة ، واتخذ البعض من حوض الماء للستر فواجههم النقيب ثابت يونس محاولاً تهدئة الموقف ، إلا ان الأصوات تعالت مطالبين باستسلام الملك وعبدالإله ، فحدثت مشادة كلامية بين أحد الضباط المهاجمين وهو برتبة ملازم ثانٍ وبين النقيب ثابت يونس . . انهال بعدها الرصاص بشدة وتناثرت الطلقات يميناً ويساراً مما اضطر النقيب ثابت الى التراجع الى المطبخ حيث وجد الجميع فيه. وأخبرهم بانه يتعذر التكلم مع أحد. فناقش الأمير الموقف مع الحاضرين واتخذ قرار التسليم والتنازل عن العرش. . وأمر عبدالإله كل من المقدم محمد الشيخ لطيف وثابت يونس أن يبلغا القرار للضباط المهاجمين لكي يكفوا عن اطلاق النار. .

فخرج الضابطان الى الحديقة فشاهدوا أفراداً من الضباط والمراتب قد دخلوا الحديقة واستتروا خلف الأشجار. . . ووجه المقدم محمد الشيخ لطيف كلامه اليهم. . قائلاً . . اننا لا نريد أن نقاوم. . فقط نريد أن نعرف مصير الموجودين داخل القصر. . . فتقدم ضابطان منه أخذهما بعد إلحاح الى الأمير عبدالإله ليسمعا منه قرار التسليم وفعلاً وقفا أمامه وكان شاحب الوجه تشوبه صفرة الموت. فتكلم معهم وأبلغهم بقراره. . . فلم يتكلما بشيء بل استدارا الى الخلف وذهبا الى الضباط المنتشرين يبلغانهما بقرار عبدالإله. أما عبدالإله فقد كان يحاول أن يكون هادئاً. . . وأخذ يفكر في ما ستؤل اليه اللحظات القادمة. . وفعلاً التفت نحو الجميع فقال لهم : اعتقد انهم سيأخذونني لوحدي. . . أما أنتم فلا خوف عليكم. .

ثم خاطب الملك قائلاً : أما أنت فتنازل عن العرش وغادر البلاد.(٥٠)

أما خارج المطبخ فقد ارتفع صوت الرئيس مصطفى عبدالله طالباً الموجودين داخل القصر أن يستسلموا وكان العقيد طه البامرني يهدي من روعه ويكلمه باللغة الكردية. . . وقد ظهرت إحدى المدرعات تسللت الى داخل القصر

انتشر حولها بعض الضباط والجنود . .

وقبل الساعة الثامنة صباحاً . فتحت باب المطبخ وخرج الجميع منها يتقدمهم المقدم محمد الشيخ لطيف والملازم أول ثامر الحمدان ثم ظهر خلفهم الملك فيصل وبدا مرتدياً قميصاً وبنطلوناً رمادي اللون وينتعل حذاءاً فسارع في الحال يرفع يده لاداء التحية العسكرية للحاضرين مع ابتسامة خفيفة تراقصت على شفتيه . . وكانت خلفه جدته الملكة نفيسة ثم عبدالإله الذي كان يتمتم بكلمات غير مسموعة وقد بدا شاحب الوجه مرتدياً ثوباً وبنطلوناً وقد وضع يده اليسرى في جيبه ، أما يده اليمنى فقد كانت تحمل منديلاً أبيضاً . فالتفت خلفه ليرى زوجته وأخته تسيران بالركب تلحقهما الخادمة رازقية والطباخ التركي وخادم آخر وكانت الطفلة غازية تمسك بأذيال الأميرة عابدية التي كانت أشرفت على تربيتها منذ زمن ليس ببعيد . فتقدم رتل الأسرة المالكة فصاح بهم الرئيس مصطفى عبدالله أن يجتازوا ممر الشجيرات الى الباحة الخضراء . . وفعلاً اجتازوا الممر واقتربوا من حوض الماء فتوقفوا حيث أصبحوا بمواجهة ضباط القوة المهاجمة الذين شكلوا نصف حلقة دائرية وهم الرئيس مصطفى عبدالله والرئيس عبدالستار العبوسي والرئيس عبدالله الحديثي والرئيس منذر سليم والرئيس عبدالحميد السراج والرئيس سامي مجيد . . يحيطون بهم مجموعة من الضباط والجنود . . .

وفي الحال سمع الجميع صوت اطلاق نار لم يعرف مصدره . . فسارع جميع الضباط بفتح نيران أسلحتهم باتجاه رتل الأسرة المالكة . . . فقد اعتقدوا ان هنالك خدعة بالأمر . . فسقط أفراد الأسرة بفعل النيران ولم ينج منهم سوى الأميرة هيام زوجة عبدالإله التي أصيبت في فخذها وتهاوت أرضاً تمكنت بعدئذ من الزحف الى ركن أمين وتقدم منها ضابط اعتقد انها صديقة للأسرة المالكة فنقلها الى غرفة الباب النظامي حيث تم انقاذها وإرسالها الى أهلها . .

وكذلك أصيب النقيب ثابت يونس برصاصة اخترقت رئته نقل بسيارة إسعاف إلا انه لفظ أنفاسه الأخيرة فيها. . كما أصيب أثناء الرمي الرئيس مصطفى عبدالله برصاصة في صدره. . كما أصابت طلقة كعب النقيب عبدالحميد السراج. . وتم انقاذ الخادمة رازقية ثم نقلها الى المستشفى.(٥١) أما المقدم محمد الشيخ لطيف أحد ضباط الحرس الملكي فقد قفز بعيداً عن مجال الرمي فألقى بنفسه بين الشجيرات، كما استطاع ضابط الحرس الملازم أول ثامر الحمدان أن يلقي بنفسه على الأرض ويستتر بين الأشجار ثم يزحف أرضاً الى نهر الخر ويندس بين جموع القوة المهاجمة فيختفي. . ثم سيطر الهدوء على الموقف. . تقدمت خلالها سيارات جلبت لنقل الجثث الى الطب العدلي.(٥٢)

وفي حدود الساعة الثامنة والربع صباحاً جرى أحد ضباط الحرس الملكي وهو منفوش الشعر عاري الرأس مفتوح الثياب الى دار الشريف حسين زوج الأميرة بديعة. . وراح يطرق الباب بقوة ولما فتحوا له الباب صرخ بقوة في وجوههم قائلاً: «لقد ماتوا جميعاً يرحمهم الله. . اخرجوا بسرعة ما دمتم تستطيعون ذلك».(٥٣) ولما كان بيت الشريف حسين يقع على مسافة بعيدة عن قصر الرحاب، فقد بادرا الى الهرب مع أولادهما الثلاثة ومربيتهم الانكليزية ولجأوا الى السفارة السعودية ومن هناك تم نقلهم الى السعودية فأمضوا بضعة أيام فيها ثم غادروها الى القاهرة ومن ثم الى لندن حيث استقروا فيها.(٥٤)

أما في البلاط الملكي فقد كانت تحرسه كما ذكرنا سابقاً سرية خيالة وسرية مشاة. . وكان ضابط خفر البلاط في تلك الليلة الملازم غانم عموري وهو من فوج الحرس الملكي حيث نهض مبكراً على صوت الاذاعة وهي تعلن أنباء الثورة اتصل في الحال بفوج الحرس في قصر الرحاب. . وأجابه المتحدث بعدم القيام بأية حركة انتظاراً للأوامر. . وحضر خلالها آمر السرية وبقية ضباط

السرية فاجتمعوا في غرفة الآمر بانتظار الأوامر عبر الهاتف من آمر الفوج الملكي . .

ولم يطل بهما الانتظار كثيراً فقد دخل الى غرفة الضباط عريف خفر البلاط وآمر نقطة حرس الباب النظامي الخارجي المطلة على الشارع الرئيس في الوزيرية وأخبرا ضابط الخفر بأنه قامت سرية مشاة تساندها دبابتان بالالتفاف حول البلاط من جهة شارع الإمام الأعظم وقاموا باطلاق النار علينا . . فاتصل ضابط الخفر بمقر الفوج الملكي وكانت الاجابة عدم فتح النار . . عند ذلك أصدر الضابط أوامره الى آمر حرس الباب النظامي بالانسحاب الى الداخل وعدم القيام بأية حركة . . إلا ان نيران القوة المهاجمة استمرت فاضطر جنود الحرس الى الانتشار والاستتار خلف الأشجار . . وقد ظهرت الجماهير في الشارع وراحت تنادي الى جنود حرس البلاط بعدم المقاومة وألا يطلقوا النيران على جنود الثورة . ثم قطع الجنود المهاجمين النار وأصبح الطرفان الواحد مقابل الآخر ، لا يعرفوا ماذا يفعلون . . وازاء صيحات جماهير الشعب استسلمت قوة البلاط الملكي ودخل جنود الثورة فسيطروا على البلاط الملكي وأمروا الضباط والجنود بعدم الخروج ووضعت عليهم الحراسة .[٥٥]

أما بقية وحدات الحرس الملكي فقد سيطرت عليها قوات الثورة . . . وأحكمت قبضتها عليها وتم اعتقال العناصر المهمة وذات المراكز الحساسة ، كما تم اعتقال العميد الركن محسن محمد علي في داره بمنطقة الحارثية القريبة من قصر الرحاب . . علماً بأنه كان قد صدر أمراً بتعيينه آمراً للحرس الملكي قبل أيام فلم يلتحق به لتكليفه بمهمة أخرى . . وكذلك فقد تم اعتقال العقيد جميل خليل آمر كتيبة الهاشمي الأولى ، عندما غادر داره بالأعظمية صبيحة الثورة الى معسكر الوشاش . . وعجز عن تأمين الاتصال بآمر الحرس الملكي

طه البامرني. . فأصدر أمراً إنذارياً لكتيبته حالما سمع أصوات دوي المدافع وأصوات الرصاص. . أما هو فقد تسلل من معسكر الوشاش عبر المزارع والحقول ليطل من دور أحد الفلاحين الى قصر الرحاب فشاهد دخاناً أسود ينبعث منه بشكل كثيف مع دوي شديد بين آونة وأخرى. . وبينما هو يتابع الموقف ومعه الرئيس عامر نورالدين فإذا بهما يفاجآن بضابطين من ضباط الكتيبة أحدهما النقيب عبدالنبي حامد شاهراً مسدسه بوجه آمر الكتيبة فاعتقله في مقر الكتيبة واستلم القيادة بدلاً عنه. . كذلك فلم يتمكن المقدم حميد سعدون معاون آمر الكتيبة من ترك داره والتوجه الى معسكر الوشاش خوفاً على حياته ففضل البقاء في مسكنه. أما آمر مدفعية لواء الحرس المقدم حسين علي العبيدي فقد تمكن من الوصول الى مقر بطاريته. . فلم يتخذ أية إجراءات لأن الموقف غامض وبقي في مكتبه بانتظار ما ستسفر عنه نتائج المعركة.[٥٦]

أما المحاولة الوحيدة التي جرت لانقاذ النظام الملكي فكانت محاولة اللواء الركن عمر علي قائد الفرقة الأولى في الديوانية. فقد اجتمع القائد صبيحة الثورة بالضباط والجنود وأصدر أمراً إنذارياً لكافة الوحدات التابعة له تمهيداً للزحف الى بغداد كما حث رؤساء القبائل وشيوخ العشائر في المنطقة لاعلان انتفاضتهم ضد الثورة. . إلا ان المحاولة فشلت وجيء بقائد الفرقة الى بغداد وأُحيل الى المحكمة. . وأخيراً لا بد من الاشارة الى ان عبدالإله كان واثقاً بأنه لا فائدة من تصديه للقوات المهاجمة فقد كان مقتنعاً بالاستسلام، وكان يفكر به منذ زمن بعيد. . وقد عبر عن رغبته الى أكثر من مسؤول. . كما عاش لحظات من الأرق والقلق في أيامه الأخيرة خاصة عندما كثرت الأخبار والمعلومات التي كانت توحي بوجود تحرك ضده. . فاعتقد انه سوف يغادر العراق الى غير رجعة كما غادر من قبله ملوك بعض الدول الى خارج أوطانهم وعاشوا في المنفى بقية حياتهم. .

هوامش الفصل الرابع

(١) الملازم فالح زكي حنظل ، مصدر سابق ، ص ١٦ .
(٢) الوصف يعود الى الفترة التي سبقت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ .
(٣) الملازم فالح زكي حنظل ، مصدر سابق ، ص ١٩ .
(٤) الملازم فالح زكي حنظل ، مصدر سابق ، ص ٢٠ .
(٥) أحمد فوزي ، الملك فيصل الثاني ، ص ١٠٠ .
(٦) دار الحياة ، مصدر سابق ، ص ١٤ .
(٧) الملازم فالح زكي حنظل ، مصدر سابق ، ص ٢٤ .
(٨) دار الحياة ، مصدر سابق ، ص ١٥ .
(٩) الملازم فالح زكي حنظل ، مصدر سابق ، ص ٢٦ .
(١٠) الملازم فالح زكي حنظل ، مصدر سابق ، ص ٦ ــ ٨ .
(١١) الملازم فالح زكي حنظل ، مصدر سابق ، ص ١٨ ــ ١٩ .
(١٢) د. لطفي جعفر فرج ، الملك غازي ، مكتبة اليقظة ، ص ٢٦٨ ــ ٢٨٩ .
(١٣) الملازم فالح زكي حنظل ، مصدر سابق ، ص ٢١ ــ ٢٣ .
(١٤) دار الحياة ، مصدر سابق ، ص ٢٠ .
(١٥) الملازم فالح زكي حنظل ، مصدر سابق ، ص ١٩ ــ ٢٠ .
(١٦) الملازم فالح زكي حنظل ، مصدر سابق ، ص ١٧ .
(١٧) مصدر سابق ، ص ٢٣ .
(١٨) الملازم فالح زكي حنظل ، مصدر سابق ، ص ٢٧ ــ ٢٨ .
(١٩) مصدر سابق ، ص ٢٨ .
(٢٠) دار الحياة ، مصدر سابق ، ص ٨ ــ ٩ .
(٢١) العقيد غيرالد غوري ، ثلاثة ملوك في بغداد ، مصدر سابق ، ص ٣١٨ .
(٢٢) العقيد جيرالد غوري ، مصدر سابق ، ص ٣١٧ .
(٢٣) دار الحياة مصدر سابق ، ص ١٤ .
(٢٥) مصدر سابق ، ص ٢٠ .
(٢٦) العقيد عبدالكريم الجدة ، ثورة الزعيم المنقذ ، ص ٦٤ ، مطبعة الأهالي ، سنة ١٩٦٠ ، الطبعة الأولى .
(٢٧) العقيد عبدالكريم الجدة ، مصدر سابق ، ص ٦٧ ــ ٦٨ .
(٢٨) مقابلة شخصية مع اللواء المتقاعد أحمد حقي في داره بتاريخ ١٩٨٩/٥/٣ .

(٢٩) مذكرات عبدالسلام عارف ، ص ٤٧ ، المؤسسة القومية للتأليف والترجمة والنشر ، بغداد ، سنة ١٩٦٧ .

(٣٠) مجلة آفاق عربية ، العدد ٦ شهر حزيران ٣٦ ـ ٣٧ ، سنة ١٩٧٩ .

(٣١) مقابلة شخصية مع اللواء الركن المتقاعد أحمد حقي في داره بتاريخ ١٩٨٩/٥/٣ .

(٣٢) مذكرات عبدالسلام عارف ، مصدر سابق ، ص ٤١ .

(٣٣) مجلة آفاق عربية ، العدد ٧ ، السنة ١٩٨٩ ، الشهر تموز ، ص ٣٦ .

(٣٤) مجلة آفاق عربية ، مصدر سابق ، ص ٤٠ ـ ٤١ .

(٣٥) حديث للسيد منذر سليم في ندوة آفاق عربية ، الذاكرة التاريخية ، مصدر سابق ، ص ٨٥ ـ ٨٨ .

(٣٦) خليل ابراهيم ، ثورة الشواف ، ج١ ، ط٢ ، ص ٤٢ ـ ٤٨ .

(٣٧) دار الحياة ، مصدر سابق ، ص ٦٠ .

(٣٨) الملازم فالح زكي حنظل ، مصدر سابق ، ص ١٠١ .

(٣٩) دار الحياة ، مصدر سابق ، ص ٦٤ .

(٤٠) دار الحياة ، مصدر سابق ، ٦٥ ـ ٦ .

(٤١) الملازم فالح زكي حنظل ، مصدر سابق ، ص ١٠٥ ـ ١٠٦ .

(٤٢) دار الحياة ، مصدر سابق ، ص ٧٤ .

(٤٣) العقيد جيرالد دي غوري ، مصدر سابق ، ص ٣٢٠ .

(٤٤) دار الحياة ، مصدر سابق ، ص ٧٦ .

(٤٥) العقيد جيرالد غوري، مصدر سابق ، ص ٣١٨ ـ ٣١٩ .

(٤٦) الملازم فالح زكي حنظل ، مصدر سابق ، ص ١١٨ .

(٤٧) مصدر سابق ، ص ١١٩ .

(٤٨) مصدر سابق ، ص ١٢٠ .

(٤٩) الملازم فالح زكي حنظل ، مصدر سابق ، ص ١٢٢ .

(٥٠) مصدر سابق ، ص ١٢٦ .

(٥١) الملازم فالح زكي حنظل ، مصدر سابق ، ص ١٢٧ ـ ١٣٠ .

(٥٢) مصدر سابق ، ص ١٣٢ .

(٥٣) العقيد جيرالد دي غوري ، مصدر سابق ، ٣١٩ .

(٥٤) مذكرات سندرس باشا ، طبيب العائلة المالكة ، ترجمة سليم طه التكريتي ، ص ٤٠٦ ط ٢ .

(٥٥) الملازم فالح زكي حنظل ، مصدر سابق ، ص ١١٥ .

(٥٦) مصدر سابق ، ص ١١٤ .

الخاتمة

مرت على أحداث ثورة ١٤ تموز في العراق إحدى وثلاثون عاماً وما يزال الناس يتحدثون عن مجريات أحداثها. . وقد كتب الكثير من المؤرخين والباحثين والدراسين بخصوصها وتوصلوا الى نتائج مهمة لهذه الثورة التي نقلت العراق من العهد الملكي الى العهد الجمهوري وقضت على آخر وجود بريطاني في العراق. وما يزال الدارسون يبحثون في الكتب والوثائق ويلتقون بالشخصيات التي عاصرت أحداث تلك الحقبة المهمة من تاريخ العراق المعاصر متوخين الوصول الى نتائج جديدة تعزز دراساتهم وأبحاثهم وتغنيها بما هو جديد. . إلا انني عندما شرعت في الكتابة بهذا الموضوع كنت أتوخى حقيقتين الأولى هي أسباب اختيار الأسرة الهاشمية لتولي عرش العراق وما هي الدوافع لذلك ، ثم ما هي مسؤويات الملك وصلاحياته الدستورية ، والثانية ما هي أسباب تشكيل حركة الضباط الأحرار وطبيعة أهدافها ونظامها وما هي الأسباب التي دعت الى تصفية الأسرة المالكة بهذه الصورة. . هل كان اتفاق بين أعضاء الحركة أمْ هو تصرف فردي أودى بالأسرة الى تلك النهاية في قصر الرحاب صنبيحة ١٤ تموز ١٩٥٨.

من المعلوم ان العراق فرض على بريطانيا في أعقاب ثورة العشرين وضعاً جديداً جعلها تفكر في مغادرة العراق وتركه لأهله بعد ان أوهن قواها في تلك الثورة الكبرى ، إلا ان الرأي الذي أصبح راجحاً هو منح الاستقلال الشكلي للعراق مع إبقاء المعاهدات معه لكي تكبله بما يخدم مصالح بريطانيا وهذا ما حصل !! ولكن بعد الاعلان عن منح العراق استقلاله فمَنْ سيتولى عرش العراق.؟؟ هنالك دولة عرشها شاغر وهنالك ملك يحتاج الى عرش ! هو الأمير فيصل بن الحسين بعد ان أُبعد عن عرش سوريا. . ولما كان الأمير فيصل هو

اللولب الفعلي لثورة الحسين « الثورة العربية الكبرى » في الجزيرة العربية وذراع أبيه القوي . . بما أسداه للانكليز من خدمة في فترة احتدام الحرب العالمية الأولى لذلك يجب أن يأخذ موقعه الطبيعي . . ولما كان الأمير فيصل هو سليل الأسرة الهاشمية التي يرجع نسبها الى الرسول الكريم محمد « ﷺ » والتي لها أوقع الأثر في نفوس العرب لذلك فقد بادرت الوجوه العراقية المعروفة آنذاك الى اعلان رغبتها بتولي الأمير فيصل على عرش العراق فلم تمانع بريطانيا . . لذلك سافر وفد من رجال العشائر العراقية الى الحجاز والتقوا بالشريف حسين ناقلين رغبة أهل العراق بقدوم فيصل وتنصيبه ملكاً على العراق . . وعلى الرغم من ممانعة الشريف حسين وحذره في بداية الأمر إلا انه رضخ لرغبة العراقيين أخيراً فتولى الأمير فيصل عرش العراق وأصبح ملكاً عليه . . وقد حاول الملك فيصل جاهداً أن ينتزع الاستقلال من يد بريطانيا بدهائه وحنكته السياسية وفعلاً استطاع الى حدٍ ما تحقيق رغبات العراقيين الذين أحبوه كثيراً ولكن الأجل لم يمهله كثيراً فترك خلفه فراغاً كبيراً . . فجاء من بعده الملك غازي ولده الوحيد الذي كان يحمل روحاً عراقية خالصة مشبعة بروح قومية ، وحماساً وطنياً يتدفق فابتهج العراقيون لمقدمه وأخذوا يبنون الآمال عليه . . وأظهر الملك غازي عداءاً وكرهاً واضحاً للانكليز . . وأخذ يقضّ مضاجعهم وأثار في عهده قضية فلسطين محمّلاً الانكليز نتيجة ما ستؤول إليه هذه القضية ، اضافة الى تبنيه قضايا قومية أخرى صفق لها العراقيون كثيراً وتعاطفوا معها وأخذوا يضعون آمالهم ومستقبل بلدهم بيد الملك الشاب إلا ان عملاء بريطانيا لم يستكينوا خاصة وان مصالحهم تضررت ومواقعهم أوشكت على السقوط . . لذلك بادروا الى التخلص منه بافتعالهم حادث السيارة المشؤوم الذي أنهى حياة هذا الملك الشاب . . فتحطمت آمال العراقيين ولطموا الخدود لمقتله ونصبوا له المآتم

وتحولت الى تظاهرات شعبية تندد بمقتله وتهدد البريطانيين وعملائهم بالقصاص العادل وفعلاً قامَ بعض المواطنين باغتيال أحد موظفي القنصلية البريطانية في الموصل كرد على هذه المأساة. وجاء الأمير عبدالإله بن علي ابن عم الملك غازي وخال ولده فيصل فتولى الوصاية على العرش نيابة عن الملك الطفل فيصل الذي لم يصل السن القانونية لتولي العرش فنصب عبدالإله وصياً عليه الى حين بلوغه هذه السن ، ليتولى مهامه الدستورية.. وفي الحقيقة هنا بيت القصيد لقد عمل عملاء بريطانيا في العراق أمثال نوري السعيد على التخلص من الملك غازي لأنه سبب لهم متاعب وأضر بمصالح بريطانيا في العراق والمنطقة لذلك صمموا على التخلص منه وكان لهم ما أرادوا.. بنفس الوقت كان عبدالإله عائداً من الاسكندرية بعد فشله بالدراسة في كلية فكتوريا فكان يحمل معه هذه العقدة فانصرف الى ممارسة سباق الخيل واللهو فانتشله نوري السعيد وأخذ يعده لليوم الموعود.. وكان يوم مقتل الملك غازي هو ذلك اليوم.. فشمّر عبدالإله عن ساعديه وأخذ يخنق الحريات ويضطهد الناس ويطارد الأحرار وشكّل مع نوري السعيد ثنائياً وكم أفواه الناس... وهنا انتفض الجيش العراقي في حركة عسكرية تصدى فيها لبريطانيا وقواتها الجاثمة على أرض العراق وكان ذلك في مايس عام ١٩٤١ تصدَّر فيها العقداء الأربعة أو ما سُموا فيما بعد بـ « القادة الأربعة » وهم صلاح الدين الصباغ وكامل شبيب وفهمي سعيد ومحمود سلمان وعلى رأسهم السياسي العراقي رشيد عالي الكيلاني.. إلا ان الحركة لم يُكتب لها النجاح بسبب ظروف محلية ودولية.. وضعف الامكانيات والقدرات العسكرية للجيش العراقي مقابل قوة القطعات العسكرية البريطانية.. فعاد عبدالإله ونوري السعيد لينكلا بالجيش وضباطه ويطاردانهم ويعلّقانهم على أعواد المشانق.. وما زال مشهد تعليق جثة الشهيد صلاح الدين الصباغ على باب

وزارة الدفاع ماثلاً أمام أغلب ضباط الجيش العراقي الذين عاصروا تلك المرحلة فظل يغلي هذا المشهد في قلوبهم كالمرجل.. لأنه اهانة لكرامة الجيش العراقي.. وأصبح باعثاً ودافعاً لتشكيل نواة للضباط الوطنيين في ظل تنظيم يجمعهم ضد النظام القائم وقتذاك.

لقد كان تصرف عبدالإله خروجاً على السياسة المألوفة للملكين السابقين... ففي الوقت الذي كانا يسعيان فيه لتلبية طموحات الشعب العراقي وتحقيق رغبته في الاستقلال الكامل.. فأحبهما الشعب وتعلّق بهما.. كان عبدالإله بتصرفه هذا قد وضع نفسه في خانة أعداء الشعب وعملاء بريطانيا لذلك أساء للأسرة الهاشمية المالكة.. وكرهه الشعب ومقته مقتاً شديداً وتمنى له الموت في كل لحظة.. وكان الشعب يتمنى أن تنتهي فترة وصايته ليتسلم فيصل الثاني مهامه الدستورية فيسير على خطى والده الملك غازي وجده الملك فيصل الأول.. إلا انه رغم توليه مهامه الدستورية عام ١٩٥٣.. بقي تأثير خاله عليه حتى آخر لحظة من حياته فسلبه إرداته وأصبح ظله الذي لا يفارقه.. وكان قرار عبدالإله هو القرار الفعلي.. وهكذا بدد كل آمال العراقيين في ترك المجال للملك فيصل الثاني لممارسة مهامه الرسمية.. فضاق الشعب ذرعاً به وبنوري السعيد وتوالت الانتفاضات والاضرابات وكلها تستهدف الوصي عبدالإله ونوري السعيد... وهكذا كانت النتيجة صبيحة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ على الأسرة المالكة جميعها وسببها عبدالإله..

والحقيقة الثانية التي لم تكن خافية على أحد تتعلق بحركة الضباط الأحرار. لقد نشأت هذه الحركة في أعقاب خيانات الملوك والرؤساء العرب لقضية فلسطين وتواطئهم مع بريطانيا. أما الجانب الآخر الذي مهد لتلك فهو كما ذكرناه سابقاً سياسة البطش والارهاب التي مارسها عبدالإله ضد الشعب والجيش وتنفيذه لرغبات الانكليز وحماية مصالحهم في العراق.. وكما ذكرنا

فان إقدام عبدالإله على إعدام صفوة ضباط الجيش العراقي عام ١٩٤١ . . وهم العقداء الأربعة وبهذه البشاعة قد أثار في نفوسهم السخط على عبدالإله . . حيث لم يتوان عن ملاحقتهم والمطالبة بهم وهم خارج الحدود مشردين . . لا لشيء إلا ليطفىء جذوة الحقد التي في قلبه رغم ان المستهدف في هذه الحركة هي بريطانيا ومصالحها في العراق ، فعلامَ هذا الحماس ضد أبناء جلدتك يا عبدالإله ؟ فظل الجيش يغلي بانتظار اللحظة المناسبة . . . وكانت ثورة ١٤ تموز هي الفرصة التي لن تتكرر . . فلما اقتحمت القوة المهاجمة قصر الرحاب وبداخله عبدالإله والملك وأسرتهما وأعلن الوصي عبدالإله عن رغبته بالاستسلام للثوار . . خرج ومعه الأسرة المالكة الى ساحة القصر ووقف للمرة الأولى أمام الضباط فشاهدوه وهم لا يصدقونه انهم يرونه بهذا المنظر . . وكانوا مضطربين ومنفعلين وكانوا يعتقدون حتى لو استسلم عبدالإله فلا بد وان هناك قوة سوف تخلصه ويعود من جديد لينكّل بهم ويعلّقهم على أعواد المشانق كما فعل مع أخوانهم ضباط حركة ١٩٤١ . . خاصة وان القوات البريطانية ما زالت تتواجد على أرض العراق وهي ليست ببعيدة عن بغداد . . فها هي الحبانية ومعسكراتهم فيها . . لذلك كانوا في حالة هيجان ، وهكذا اقترب عبدالإله منهم . . وكان هدفهم هو فقط أما الملك والأسرة فكانوا بعيدين عن تفكيرهم . . ولكن في لحظات سقطت الأسرة المالكة بفعل رصاص الضباط الثوار لا لشيء سوى ان اطلاقة رميت لم يُعرف مصدرها في تلك اللحظات العصيبة . . فقام الجميع باطلاق الرصاص من بنادقهم باتجاه الأسرة المالكة ظناً منهم ان أحداً قد جاء لتخليصهم . . وهذا يعني ان شريط الذكريات الذي لم ينسوه والذي يتكرر بين لحظة وأخرى والذي يخص ضباط حركة مايس سوف يصبح حقيقة ولكن هذه المرة سيكونون هم أبطالها لذلك سارعوا لتسديد فوهات بنادقهم على عبدالإله الذي كان مع أفراد

أسرته فسقط هو وأسرته بفعل نيران ضباط الثورة . .

أود أن أناقش مسألة مهمة تخص هذا الجانب . . يدعي الضباط الأحرار الذي بقوا على قيد الحياة ، « أمدهم الله بعمرٍ طويل » من خلال لقاءاتهم وندواتهم وأحاديثهم للباحثين والصحفيين والذين كان لهم دور كبير في تسجيل وتوثيق هذه الحقبة المهمة من تاريخ العراق ان الاتفاق بين الضباط الأحرار هي الإبقاء على حياة الملك وعبدالإله ونوري السعيد أو ما يسمونهم بالرؤوس الثلاثة أو الثلاثة الكبار وهو الاصطلاح الذي اتفقوا على تسميته لهم . في حالة قيام الثورة ونجاحها . . إلا انهم من جانب آخر يناقضون أقوالهم حينما استعرضوا عدد المحاولات التي كانوا ينوون القيام بها ولم يُكتب لها التنفيذ . . فقد كانوا يصرون على أن يكون تنفيذ خطة الثورة بحضور الثلاثة الكبار لكي يسهل القضاء عليهم . . فقد جاء في المحاولة الرابعة التي تم الاتفاق فيها على استغلال مناسبة ٦ كانون الثاني عام ١٩٥٨ واتفقت اللجنة العليا للضباط الأحرار على تنفيذ خطة الثورة واستغلال تواجد الثلاثة الكبار على منصة التحية فتقوم دبابتان بفتح النار عليهم . . ثم يقوم الضباط الأحرار بالسيطرة على الوحدات العسكرية وهي خطة عبدالكريم قاسم إلا انها لم تنفذ خوفاً من حدوث اصابات ووقوع ضحايا بين الحاضرين . . أما المحاولة الأخرى فهي حادثة المنصة التي كانت الفرقة الأولى تجري مناورات عسكرية في منطقة الحبانية في خريف عام ١٩٥٧ وحضرها الملك فيصل وعبدالإله . . حيث قام الضباط المنتمين الى حركة الضباط الأحرار بتوجيه المدفع باتجاه المنصة التي يقف عليها الملك وعبدالإله فانفجرت القنبلة الأولى بالقرب من المنصة فهرب الملك وعبدالإله بعيداً وجاءت القنبلة الثانية وسط المنصة . . وقامت الدنيا وقتها ولم تقعد وشكلّ قائد الفرقة مجلساً تحقيقاً لمتابعة الموضوع ومعرفة الحقيقة ، وكانت النتائج ان عطباً حصل في المدفع وشردت القذيفة الى خارج

هدفها. . إلا ان الحقيقة هي ان الضباط الذين أشرفوا على التحقيق هم من الضباط الأحرار. . فكتبوا النتيجة بهذا الشكل. . الذي أريد قوله ان الضباط الأحرار كانوا متفقين على التخلص من الثلاثة الكبار. . . وهذا دليل آخر على صحة ما ذهبت اليه. . ففي اليوم الثاني للثورة ذهب عبدالسلام الى داره فاستقبلته زوجته قائلة : لماذا قتلتم الملك أما تخافون الله أجابها عبدالسلام : إذا لم تقطع الأفعى من رأسها فسوف لن تموت. .

ولكن يبقى الدافع الأول والأخير للإقدام على تصفية العائلة المالكة هو ما قام به الأمير عبدالإله من أعمال أضرت بمصالح الشعب العراقي ومست كرامته. . وكذلك تنكيله بالضباط ومطاردته لهم. . . وكذا الحال فقد ورد في البيانات التي كان عبدالسلام عارف يذيعها من الاذاعة ويحث الجماهير من خلالها على مهاجمة قصر الرحاب ومساندة الجيش في الهجوم ، فقد كان يقول « فما عليكم إلا أن تآزروه في رصاصه وقنابله وزئيره المنصب على قصر الرحاب وقصر نوري السعيد » وهذا أيضاً يؤكد صحة ما نحن فيه. . . وفي كل الأحوال فان الدافع الأكبر لذلك كان كما قلنا هو السياسة التي تبناها عبدالإله في العراق والتي تحقق رغبات بريطانيا وتضمن مصالحها وسباقه المستميت في سبيل ارضائها. . . وقد كانت تجري هذه السياسة على حساب كرامة ومصلحة الشعب العراقي. . فماذا كان ينتظر من الشعب ؟؟ هل كان يتوقع ان يرموه بالورود والرياحين. . ان الشعوب الحرة لا تستكين مهما طال الزمن. . فهي تستجيب وتتفاعل مع مَنْ يراعي مشاعرها. . ويتبنى أهدافها وطموحاتها المشروعة. . . وكان الملك فيصل الأول والملك غازي مثلاً لما يمكن أن يقتدي بهما عبدالإله. . إلا انه شاء أن يختار الطريق المعاكس الذي أودى به في النهاية الى الهلاك. .

ملحق أ

الشريف حسين ملك الحجاز

١٨٥٢ ـ ١٩٣١ تنازل عن العرش ١٩٢٤

زوجته الأولى عبدية

- علي ١٨٧٩ - ١٩٣٥ زوجته نفيسة بنت الشريف عبدالله
  - عبدية غير متزوجة توفيت ١٩٥٨
  - عالية زوجة الملك غازي توفيت ١٩٥٠
  - عبدالإله ١٩١٣ - ١٩٥٨
  - بديعة زوجة الشريف حسين
    - علي
    - عبدالله
    - محمد
  - جليلة زوجة الشريف حازم توفيت ١٩٥٥
- عبدالله ١٨٨٠ - ١٩٥٢ زوجته مصباح بنت ناصر
  - طلال ١٩٠٥ - ١٩٧٢ زوجته زين
    - حسين
    - حسن
  - نايف
- صالحة زوجة عبدالله المصري
- فيصل الأول زوجته حزيمة بنت الشريف ناصر ١٨٨٥ - ١٩٣٣
  - عزة
  - راجحة زوجة عبدالجبار محمود
  - غازي ١٩١٢ - ١٩٣٩ زوجته عالية بنت علي
    - فيصل الثاني ١٩٣٥ - ١٩٥٨
  - رفيعة غير متزوجة توفيت سنة ١٩٢٩

زوجته الثانية عادلة التركية

- زيد ١٨٩٨ - ١٩٧١ رعد
- سارة زوجة عطا أمين
- فاطمة

« نسب الأسرة الهاشمية »

ملحق « ب »

بيان ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨

« بسم الله الرحمن الرحيم »

أيها الشعب العراقي الكريم :

بعد الإتكال على الله وبمؤازرة المخلصين من أبناء الشعب والقوات الوطنية المسلحة ، أقدمنا على تحرير الوطن العزيز من سيطرة الطغمة الفاسدة التي نصبها الاستعمار لحكم الشعب ، والتلاعب بمقدراته لمصلحتهم ، وفي سبيل المنافع الشخصية .

أيها الأخوان :

إن الجيش هو منكم وإليكم ، لقد قام بما تريدون وأزال الطبقة الباغية التي استهترت بحقوق الشعب ، فما عليكم إلا أن تؤازروه . واعلموا ان الظفر لا يتم إلا بترصينه ، والمحافظة عليه من مؤامرات الاستعمار وأذنابه وعليه فاننا نوجه إليكم نداءنا للقيام بإخبار السلطات عن كلّ مفسد ومسيء وخائن لاستئصاله ، ونطلب منكم أن تكونوا يداً واحدة للقضاء على هؤلاء والتخلص من شرهم .

أيها المواطنون :

اننا بالوقت الذي نكبر فيكم الروح الوطنية الوثّابة ، والأعمال المجيدة ، ندعوكم الى الخلود والسكينة ، والى التمسك بالنظام والاتحاد والتعاون على العمل المثمر في سبيل مصلحة الوطن .

أيها الشعب :

لقد أقسمنا أن نبذل دماءنا وكل عزيز علينا في سبيلكم ، فكونوا

على ثقةٍ واطمئنان بأننا سنواصل العمل من أجلكم ، وان الحكم يجب أن يُعهد الى حكومة تنبثق من الشعب وتعمل بوحي منه ، وهذا لا يتم إلا بتأليف جمهورية شعبية تتمسك بالوحدة العراقية الكاملة ، وترتبط برباط الأخوة مع الدول العربية والإسلامية ، وتعمل بمبادىء الأمم المتحدة ، وتلتزم بالعهود والمواثيق وفق مصلحة الوطن ، وبقرارات مؤتمر باندونغ . وعليه فان هذه الحكومة الوطنية تسمى منذ الآن « بالجمهورية العراقية » وتلبية لرغبة الشعب قد عهدنا رئاستها بصورة وقتية الى مجلس سيادة يتمتع بسلطة رئيس الجمهورية ريثما يتم استفتاء الشعب لانتخاب الرئيس. فالله نسأل أن يوفقنا في أعمالنا لخدمة وطننا العزيز انه سميع مجيب.

بغداد في اليوم السادس والعشرين من شهر ذي الحجة سنة ١٣٧٧ هـ الموافق لليوم الرابع عشر من تموز سنة ١٩٥٨م.

القائد العام للقوات
المسلحة الوطنية[1]

ملحق « جـ »

آخر وزارة عراقية في العهد الملكي

وجه الملك فيصل الثاني كتاباً بإسناد رئاسة الوزارة الى السيد أحمد مختار بابان وفيما يلي نص كتاب الإسناد :

وزيري الأفخم السيد أحمد مختار بابان

بناء على استقالة فخامة السيد نوري السعيد من منصب رئاسة الوزراء ، ونظراً لما نعهده فيكم من دراية واخلاص فقد قر رأينا على إسناد منصب رئاسة الوزراء إليكم على أن تنتخبوا زملاءكم ، وتعرضوا أسماءهم علينا ، والله ولي التوفيق .

صدر عن بلاطنا الملكي ببغداد في اليوم الأول من شهر ذي القعدة سنة ١٣٧٧ الهجرية ، الموافق لليوم التاسع عشر من شهر مايس سنة ١٩٥٨ الميلادية .

فيصل

أما هيئة الوزارة فقد تكونت من الوزراء التالية أسماءهم بعد نقل وزارتي الدفاع والخارجية الى حكومة الاتحاد وارتباطهما بالوزارة الرئيسية لحكومة الاتحاد العربي. فأصبحت كالآتي :

١ ــ أحمد مختار بابان — رئيساً لمجلس الوزراء

٢ ــ سعيد قزاز — وزير للداخلية

٣ ــ نديم الپاچه‌چي — وزيراً للمالية

٤ ـ جميل عبدالوهاب	وزيراً للعدلية
٥ ـ ضياء جعفر	وزيراً للاعمار
٦ ـ عبدالحميد كاظم	وزيراً للمعارف
٧ ـ عبدالأمير علاوي	وزيراً للصحة
٨ ـ رشدي الچلبي	وزيراً للاقتصاد
٩ ـ صالح صائب	وزيراً للمواصلات والأشغال
١٠ـ برهان الدين باش اعيان	وزيراً للأنباء والتوجيه
١١ـ جميل الأورفلي	وزيراً للزراعة
١٢ـ صادق كمونة	وزير للشؤون الاجتماعية
١٣ـ عبدالجبار التكرلي	وزيراً بلا وزارة
١٤ـ محمود بابان	وزيراً بلا وزارة
١٥ـ علي الشرقي	وزيراً بلا وزارة[٢]

وزارة الاتحاد العربي

وجه الملك فيصل الثاني بصفته « رئيس الاتحاد العربي » الـذي يضم العراق والأردن الكتاب التالي :

وزير الأفخم السيد نوري السعيد

استناداً الى الفقرة (١) من المادة الثالثة والأربعين من دستـور الاتحاد العربي ونظراً لما نعهده فيكم من دراية واخلاص فقد قر رأينا على إسناد منصب رئاسة مجلس وزراء الاتحاد اليكم على ان تنتخبوا زملاءكم وتعرضوا أسماءهم علينا والله ولي التوفيق.

صدر عن بلاطنا الملكي ببغداد في اليوم الأول من شهر ذي القعدة سنة ١٣٧٧ هجرية الموافق اليوم التاسع عشر من شهر مايس سنة ١٩٥٨م

فيصل

واختار نوري السعيد أعضاء الوزارة التي تتألف من ستة وزراء ثلاثـة منهم عراقيين والثلاثة الآخرين من القطر الأردني فتألفت وزارة الاتحاد العربي من :

١ ـ نوري السعيد ـ رئيساً لوزارة الاتحاد ـ من العراق
٢ ـ ابراهيم هاشم ـ نائباً لرئيس الوزراء ـ من الأردن.
٣ ـ توفيق السويدي ـ وزيراً للخارجية ـ من العراق.
٤ ـ خلوصي الخيري ـ وزيراً للدولة للشؤون الخارجية ـ من الأردن.
٥ ـ سليمان طوقان ـ وزيراً للدفاع ـ من الأردن.
٦ ـ سامي فتاح ـ وزير دولة لشؤون الدفاع ـ من العراق.
٧ ـ عبدالكريم الأزري ـ وزيراً للمالية ـ[٣] من العراق.

(١) عبدالرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، ج ١٠ ، ط ٦ ، ص ٣١٦ ـ ٣١٧ ، منشورات مكتبة اليقظة العربية .

(٢) عبدالرزاق الحسني، مصدر سابق ، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥ .

(٣) عبدالرزاق الحسني ، مصدر سابق ، ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤ .

تقرير الهجوم على قصر الرحاب بخط بامرني

-٢٠- بخط بامرني

منذ بداية حزيران ٩٥٨ كانت عائلتي قد سافرت الى قريتي (بامرني) في شمال العراق لقضاء فصل الصيف هناك اسوة بالسنين السابقة وكنت انام في ثكنة الفوج خلال تلك الفترة.

نهضت صباح يوم ١٤ تموز ٩٥٨ من النوم مبكراً حوالي الساعة (٠٣,٠٠ — ٠٤,٣٠) صباحاً وذلك لتهيئة حرس الشرف المقرر احضاره لتوديع الملك والوصي عبد الاله لسفرهما الى تركيا، وبينما كنت مشغولاً بحلاقة وجهي، حضر عندي مسرعاً الرئيس الخفر (الرئيس سالم يشيه) واخبرني بان الملازم ثاني زكي حنفي احد ضباط الفوج والذي كان مشتركاً في دورة من دورات الاسلحة مدرسة الاسلحة الخفيفة في معسكر الوشاش قد خابره تلفونيا بانه بينما كان قادماً من بيته الى معسكر الوشاش، اعترضه بعض الضباط من لواء العشرين قبل الجسر الحديد ومنعوه من العبور مدعين ان اليوم عطلة ولا يسمح لاحد بعبور الجسر. كنت على علم بحركة لواء العشرين في ذلك اليوم من جلولاء الى (اج ثري) (H3)، تخيل لي بان الملازم الثاني زكي ضابط حديث ولم يشترك في التمرينات والحركات العسكرية وان الاصول المتبع اثناء تحرك رتل سيطرة على الجسور وغلق الطرق عند عبور رتل من آليات الجيش لمعالجة الحوادث التي تحدث اثر اصطدام السيارات او منع الاشخاص امام آليات الجيش فقط وايقاف عبور آليات الاهلين والسابلة، وان الملازم ثاني شاهد الازدحام على الجسر وربما هذا هو سبب اصطدام ومنعوه من العبور حينذاك. مع ذلك طلبت من نائب الضابط الاستفسار تلفونيا من ضابط خفر الانضباط العسكري في وزارة الدفاع عن حقيقة هذا الخبر

وقبيل وصول رئيس الحرس الى التلفون دق جرس التلفون فكان الرئيس
عبد الرحمن محمد صالح آمر حركة الشرف وآمر احدى سريتي الحركة في قصر الرحاب
وتكلم مع رئيس الحرس من ثكنة سريته في قصر الرحاب وكان
له بانه عندما كانا قادمين مع بقية ضباط الحركة من بغداد منعه
لبعض الضباط من ل. ١. العشرين من عبور الجسر الجمهوري صباح
اليوم بحجة ممنوعية العبور وبرمي كلمة اذا حاولوا العبور
ورغم هذه الاهانة عبرت مع الضباط وسياراتنا ولم يرموا علينا
وطلب من رئيس الحرس نقل هذا الخبر الي ويستفسر مني هل يتهيئون
لحركة الشرف ؟ ام لشيء آخر ؟ ويقصد القتال . فتأكدت
من ان القضية اما ثورة يقوم بها الجيش او انقلاب لصالح دولة استعمارية
امريكية او انكليزية . فقلت لرئيس الحرس ، اخبر الرئيس عبد الرحمن
ليجهز السريتين بكامل العتاد قياسي (آ) وكلف اياه ان يفتح النار
دون اوامري حيث امامنا سيكونوا ضباط وعرفاء يعرفونها/ كما
طلبت من ضابط الحرس الذي حضر هو ايضا عندي ليعلن الانذار
من قبل البوق وفتح المشاجب وتوزيع السلاح والعتاد
على كافة منتسبي الحرس الموجودين في ثكنة الى الرئيسية المؤلفة
من فوج الاول وسرية الفوج الثاني ورعيل مدرعات
ومفرزة شغيلة الترليات . وارتديت ملابسي العسكرية فورا واشرفت
على توزيع السلاح والعتاد وطلبت من رئيس الحرس ان يكون على التلفون
دوماً لمخابرة ضباط الفوج القريبة بيوتهم في الحارثية منذ
ساعة العقيد الركن هاشم سلمان (١) وضابط الاعاشة وغيرهم

وتم حضور حوالي عشرة ضباط من ضباط الفوج خلال ساعة واحدة.

عندما سمعت المعلومات الواردة في مكالمة الرئيس عبد الرحمن قلت في نفسي يا ترى هذا آخر يوم من ايام حياتي؟ فانا اموت خائنا اذا قاومت ثورة الجيش والشعب اذا كانت الثورة بقيادة اشخاص وطنيين، او اموت شهيدا اذا قتلت في سبيل مصلحة الشعب والوطن، ولكن كيف اعرف انها ثورة وطنية او خلافات بين الاستعماريين الامريكان والانكليز للسيطرة على مراكز الحكم في العراق؟ واخذت افكر في الخطة التي سبق لي وان رسمتها في اول ايام التحاقي بالحرس وهي الانضمام للثورة الوطنية او المقاومة اذا كانت حركة انقلاب لمصلحة الاستعماريين.

ثم قمت بتبليغ الفوج وملحقاته والى بعض الضباط فوزعت سرايا الفوج في مواقع متباعدة مع توضيح الاختفاء والستر من النار والنظر وامكان السيطرة لقيادتها عند الحاجة.

اخبرني الرئيس الخفر بان النقيب عبد الرحمن محمد صالح الجبوري تلفونيا بوقوف بعض سيارات الجيش على الشارع العام امام قصر الرحاب ونزول الجنود منها وامتدادهم على الشارع العام والرمي عليها متخذين [illegible] وضع الرمي باتجاه قصر الرحاب، فطلبت من [illegible] بالرئيس عبد الرحمن بعدم فتح النار الا بامر مني شخصيا فذهب واخبرهم وفي تلك اللحظات سمعت صوت رمي اطلاقات بنادق وبعض الرشاشات الخفيفة من اتجاه قصر نوري السعيد، وعرفت ان الرمي كان على قصر نوري السعيد. وبعد ذلك ببضعة دقائق سمعنا صوت رمي متقطع من بعض البنادق والرشاشات الخفيفة ولمدة دقيقة او دقيقتين.

تقريباً من اتجاه قصر الرحاب ثم انقطع الرمي فاتاني رئيس الخفر
واخبرني بان الوصي عبد الاله يطلب حضوري لديه في قصر الرحاب
حالاً . وثم اخبرني بجرح احد جنود قصر الرحاب في رجله
فطلبت اخلائه الى ثكنة الفوج لمعالجته وتم اخلائه فعلاً
وتمت معالجته من قبل المضمدين ثم ارساله الى المستشفى .
وطلبت مساعدي (الرئيس هاشم كمال) ليتولى قيادة الفوج وادارة شؤونه
لحين عودتي من عبد الاله وطلبت منه ان يتجنب الرمي على
قطعات الجيش العراقي اذا ما اقتربت من منطقة الفوج
بل عليه مخابرتي تلفونياً فوراً او ارسال رسالة لي في حالة
قطع التلفون وتم تبليغ ضباط القوة المتقدمة وبطلب منهم
التوقف لحين حضوري لكي نتفهم معهم وقلت له يا هاشم اخواننا
سيكونون ضباط وضراتب كراتبنا ولا يجوز لنا ان نقاتل بعضنا البعض
ويجب ان نسعى الى انتمائهم لمصلحة هذا الشعب ولا يجوز الرمي
مطلقاً الا بامر من عندي وستكون انت المسؤول عن كل تصرف
خلاف ذلك فقال نعم سيدي . واخذت مدرعة من نوع [illegible]
الحرس الملكي وطلبت الى سائقها التوجه الى داخل قصر الرحاب وكان
الرامي بيده الرشاشة فقلت له ابني لا يجوز لك الرمي الا بامري
لان امامنا عراقيين وسارميك بمسدسي فوراً في حالة مخالفتك
فقال امرك سيدي وتوجهنا الى قصر الرحاب لمواجهة
عبد الاله .



الملك فيصل الثاني يطالع في أحد الكتب عندما كلن طالباً



الملك فيصل الثاني يتكلم أمام المايكرفون بمناسبة عيد ميلاده في ٢ مايس ١٩٤٩

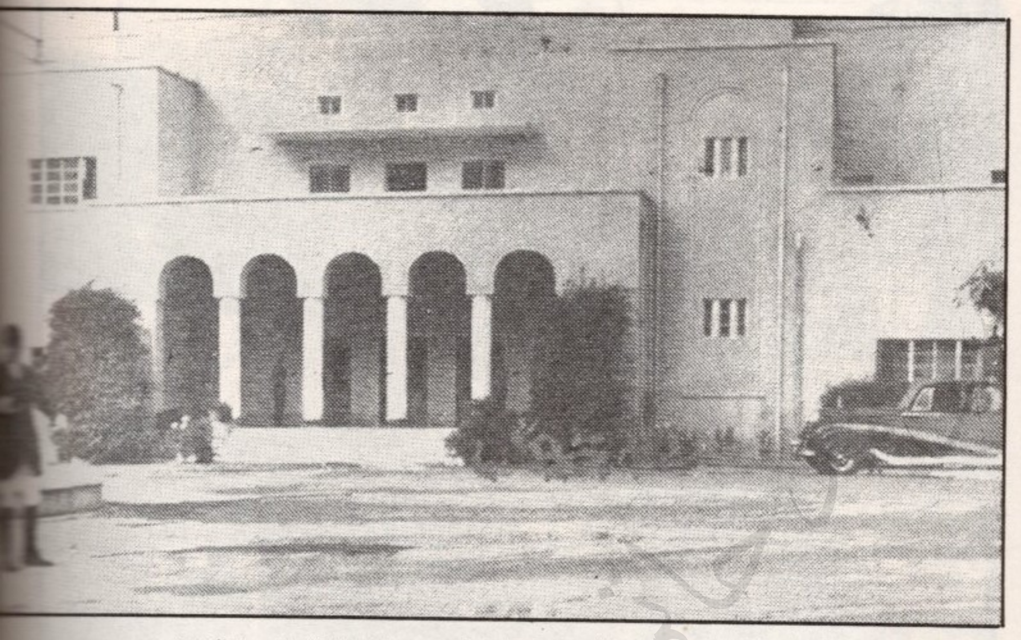


الملكة نفيسة زوجة الملك علي بن الحسين ووالدة عبدالإله.. تتشح بالسواد وبين يديها المسبحة..

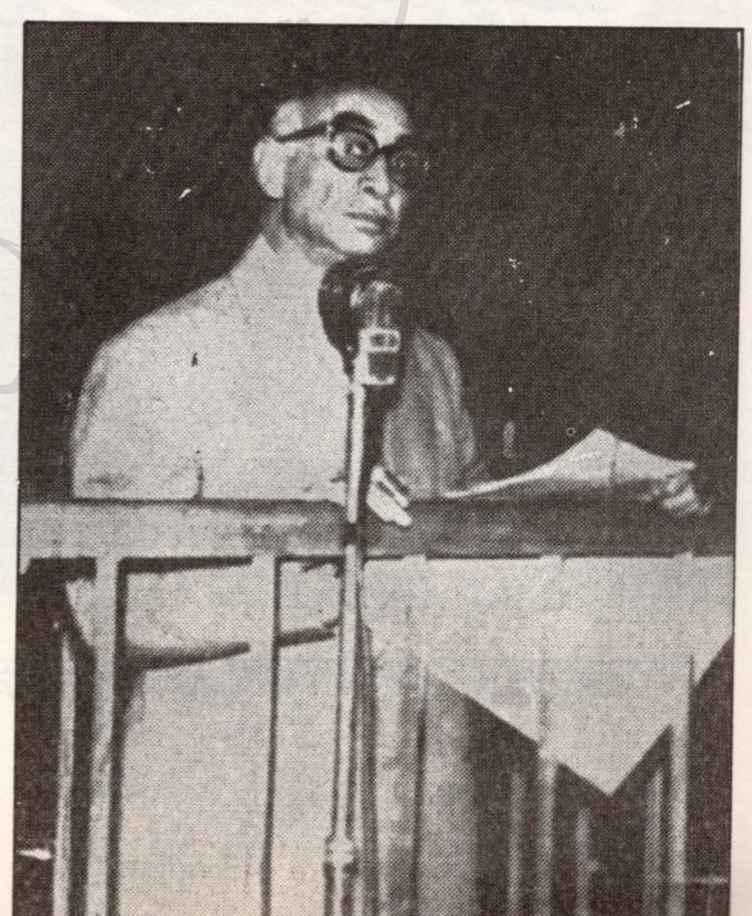
قصر نوري السعيد المطل على نهر دجلة.. يحيط به جنود الثورة



قصر الزهور الذي بناه الملك فيصل الأول عام ١٩٣٣.. القصر الذي يتشائم منه عبدالإله



قصر الرحاب قبل قيام الثورة وتظهر سيارة الملك فيصل واقفة أمام المدخل على اليمين



بهجت العطية
مدير الأمن العام
يقف في قفص الاتهام
بعد قيام الثورة



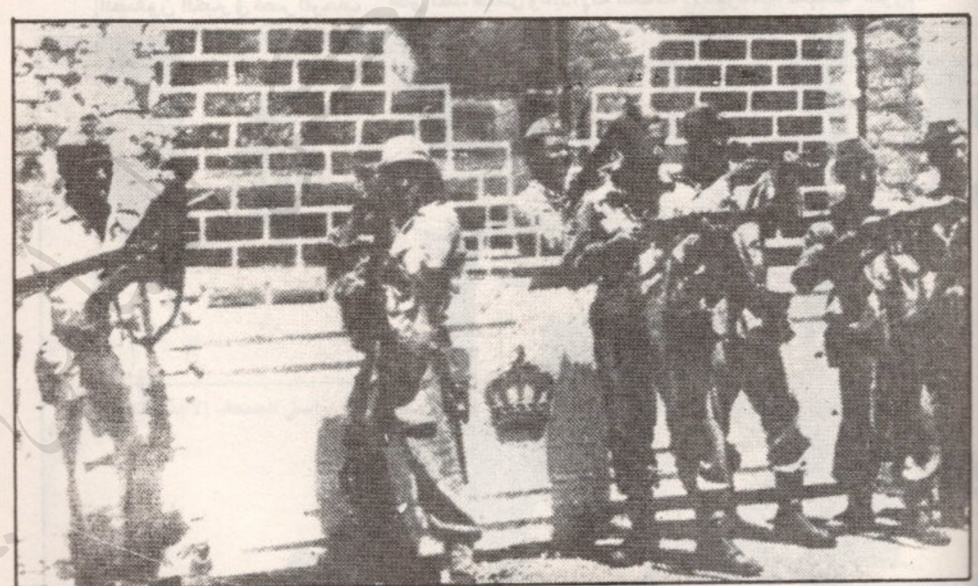
الأميرة التركية فاضلة خطيبة الملك فيصل الثاني.. الأميرة التي لا تبتسم.. كما وصفها رجال الاعلام.



اللواء غازي الداغستاني في قفص الاتهام
يتلو دفاعه امام هيئة المحكمة



احد جنود
الثورة يضرب بقدمه
ابواب السور
الخارجي لقصر الرحاب.



جنود الثورة يتجمعون امام باب السور الخارجي لقصر الرحاب



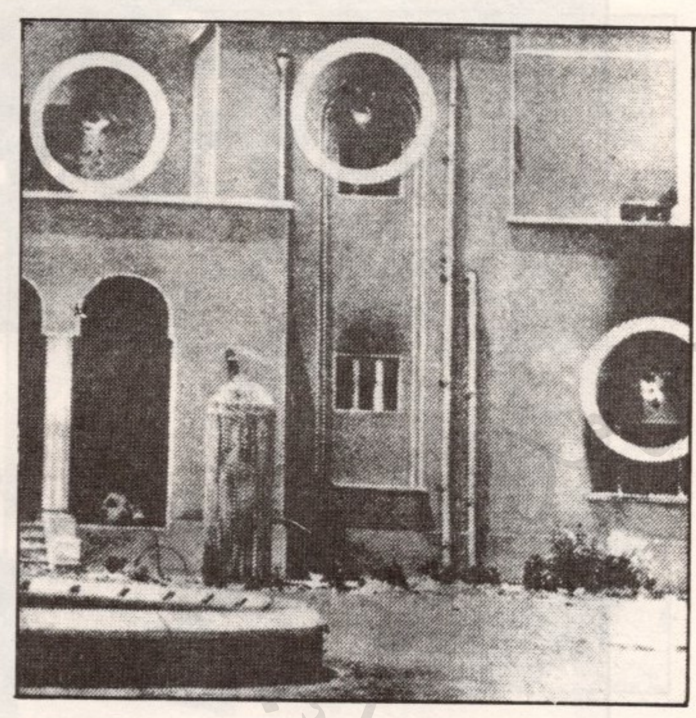
العقيد الركن
ياسين محمد رؤوف
في المعتقل.. كان
آمر الفوج الثاني
في اللواء العشرين..

الصالون الكبير في قصر الرحاب.. قضى الملك فيصل وعبدالإله الساعة الأخيرة فيه صبيحة الثورة..





النقيب منذر سليم آمر السرية الثالثة التي اقتحمت قصر الرحاب يعانق احد مراسلي الصحف الاجنبية عندما زار القصر بعد قيام الثورة.



قصر الرحاب بعد الهجوم وتظهر آثار القنابل الثلاثة التي اطلقها النقيب عبد الستار العبوسي على واجهة القصر وقد وضعت داخل دوائر وامام القصر ظهر قفص الطيور وجزء من النافورة



جنود الثورة ينتشرون امام قصر الرحاب وظهرت الأوراق متناثرة امام باب القصر



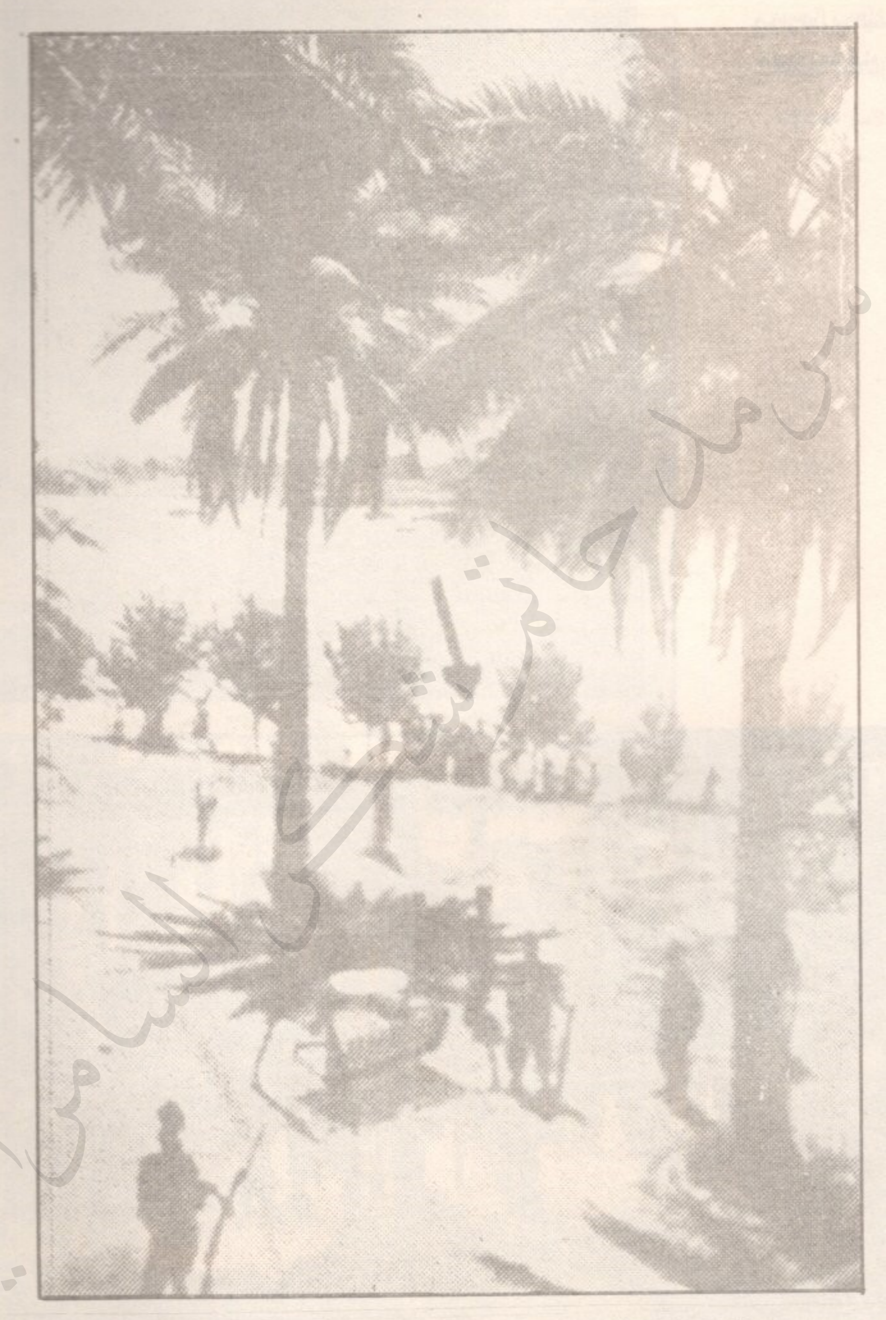
الملك فيصل الثاني كان مولعاً بالتصوير ويظهر في الصورة يقوم بالتصوير في حديقة القصر قبيل قيام الثورة.



واجهة قصر نوري السعيد.. وتظهر آثار رشقات البنادق على أحد الشبابيك.

الجماهير تنتشر في حديقة قصر نوري السعيد في الجانب الخلفي المطل على نهر دجلة.





حديقة قصر نوري السعيد ويظهر فيها السهم الذي يشير الى المكان الذي نزل منه الى النهر وهرب الى الضفة الأخرى.

صالة الاستقبال
في دار نوري السعيد كما
ظهرت بعد قيام الثورة





المكان الذي سقط فيه نوري السعيد في اليوم الثاني للثورة برصاص
الجماهير.. امام جدار احد المدارس الابتدائية في البتاويين.

الملك علي بن الحسين

ملك الحجاز سابقاً

والد الأمير عبدالإله..





الثلاثة الكبار الملك فيصل الثاني وعبدالإله ونوري السعيد معاً في مكانٍ واحد.. كان الشرط الذي وضعه الضباط الأحرار لتنفيذ خطة الثورة..



الأمير زيد بن الحسين والد الأمير رعد وعم الملك غازي.



الزعيم عبدالكريم قاسم على المنصة في استعراض لاحدى الوحدات العسكرية وظهر خلفه كل من العقيد الركن خليل سعيد وبجانبه العقيد الركن ناظم الطبقجلي وظهر الثاني على اليسار وخلف قاسم مباشرة العقيد الركن احمد حقي محمد علي في منطقة المعسكرات.



الأمير عبدالإله في إحدى حفلات صيد ابن آوى
معه الأول على اليمين الزعيم خليل سعيد
والرابع على اليمين ايضاً الزعيم احمد حقي

الفريق نجيب الربيعي قائد الفرقة الثالثة
وبجانبه الأول على اليسار الزعيم احمد حقي
محمد علي آمر اللواء العشرين.





الملك فيصل الثاني والأمير عبدالإله في زيارة لأحدى القواعد الجوية وحوله مجموعة من الضباط قبل قيام ثورة ١٤ تموز بفترة قصيرة وقد ظهر خلفهما على اليمين نوري السعيد وأحمد مختار بابان وقد انزويا بعيداً عنهما..



الأمير عبدالإله وأحمد مختار بابان يحيطان بهما مجموعة من ضباط الجيش في إحدى حفلات العشاء.



الفريق رفيق عارف رئيس اركان جيش الاتحاد العربي يفتش إحدى القطعات العسكرية العراقية.



المقدم نعمان ماهر الكنعاني حاول عبدالإله استدراجه لكشف حركة الضباط الأحرار إلا انه لم يفلح.



الزعيم محيي الدين عبدالحميد أبرز قادة حركة الضباط الأحرار ومن مؤسسيها.

علي جودت الأيوبي رئيس الوزراء العراقي الذي اثار زوبعة في دمشق على اثر زيارته في عام ١٩٥٧ وإدلاءه بتصريحه الذي عبّر فيه عن شعوره الوطني.

توفيق السويدي من الساسة العراقيين المقتدرين في العهد الملكي ومن اكثرهم دهاءاً.







في الوسط يبدو النقيب عبداللطيف الدراجي في نزهة لصيد السمك عام ١٩٤٧ وهو احد الضباط الذين ساهموا بتفجير ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ويقف على يساره النقيب رفعت الحاج سري وعلى يمينه الملازم خليل ابراهيم حسين حاملاً سمكة بيده وحولهم بعض الضباط والجنود.



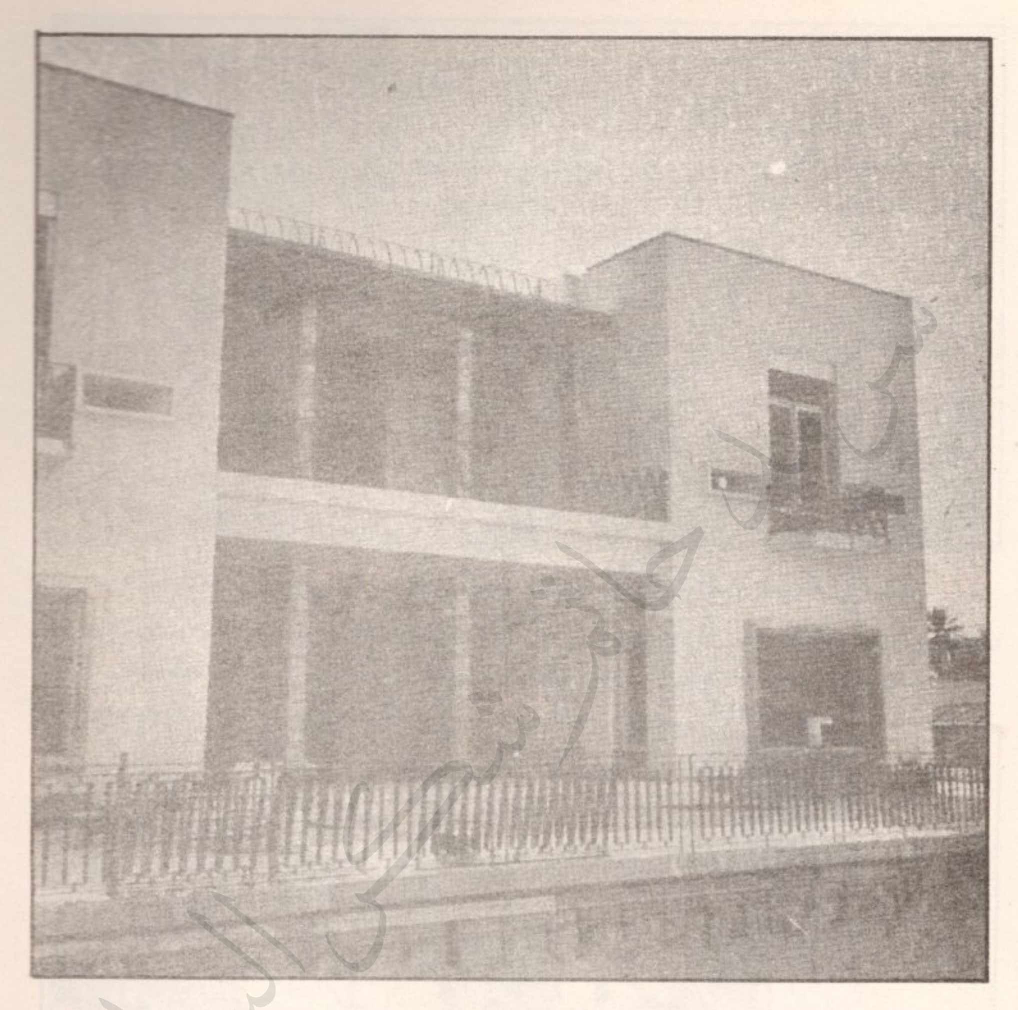
الزعيم عبدالكريم قاسم يتوسط مجموعة من الضباط وهم من اليمين : الزعيم خليل سعيد والزعيم محيي الدين عبدالحميد والعقيد عبدالسلام عارف والزعيم احمد صالح العبدي والزعيم عبدالعزيز العقيلي ثم الزعيم ناظم الطبقچلي.



النقيب عبد الستار سبع العبوسي
يقف بجوار كرسي العرش الملكي عام
١٩٥٨ بعد قيام الثورة



جنود الثورة وجدوا في اوراق الامير
عبد الاله صورة للزعيم النازي هتلر صبيحة
ثورة ١٤ تموز في قصر الرحاب.



واجهة القصر الجديد التي تطل على نهر دجلة
والتي كان من المفروض أن يتزوج به الملك فيصل الثاني



الملك غازي.. احبه العراقيون.. وبكاه الجميع بعد حادث مقتله.



الشيخ بشارة الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية برفقة الملك فيصل الثاني خلال زيارته الى بغداد

الملك فيصل الثاني والى جانبه على اليمين الامير عبدالإله في حفلة تدشين « سفينة نوح » عام ١٩٤٣.. وبدا على يسار الملك فيصل « الفريق » السر هنري باونل القائد العام للقوات الايرانية ــ العراقية آنذاك.



هذا البناء الضخم يحوي مقابر الأسرة المالكة السابقة !...



الامير عبدالإله في زيارة الى الولايات المتحدة الاميركية عندما كان وصياً على العرش



سيارة نوري السعيد.. بداخلها طفلة ابت إلّا ان تجلس بداخلها
وثلاث سيدات عراقيات واقفات بالقرب منها.



خزانة نوري السعيد
في قصره.. وكانت فيها مجموعة من
الوثائق السرية.. يحميها جندي عراقي.



الشريف حسين بن علي

قائد الثورة العربية الكبرى



مؤتمر ملكي على ظهر البارجة الحربية البريطانية
« لوپين » ٢١ شباط عام ١٩٣٠.
يجمع الملك عبدالعزيز آل سعود والملك فيصل الاول



الملك فيصل الثاني والملك حسين ملك المملكة الاردنية الهاشمية في مطار عمان قبيل اعلان الاتحاد العربي.




الأمـير عبدالإله بن عـلي جالسـاً عـلى كـرسي العرش عندما كان وصياً عليه.



الأميرة بديعة زوجة الشريف حسين.. ابنـة الملك علي

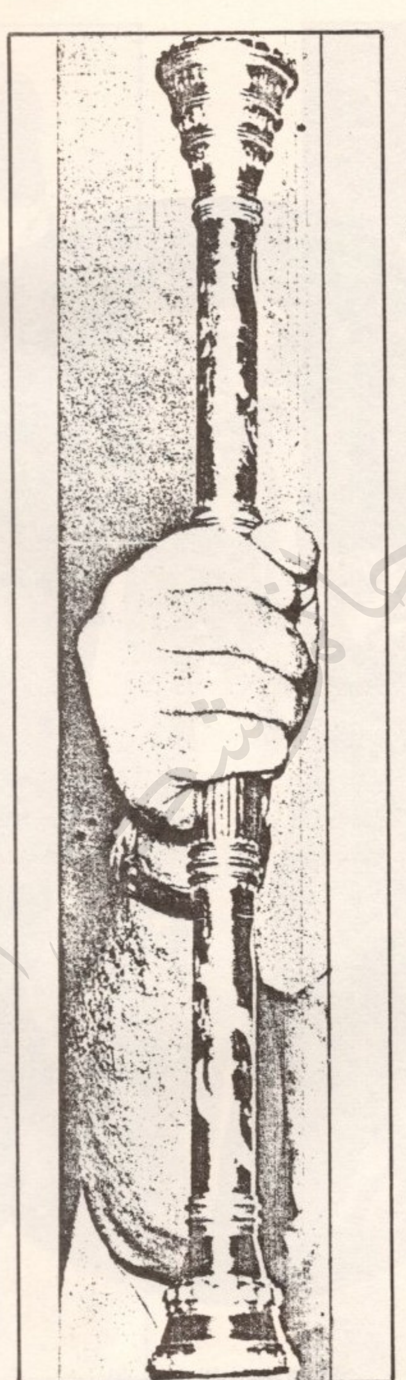
الأميرة عابدية كبرى بنات الملك عـلي وخالة الملك فيصل الثاني
اشرفت على تربيته بعد وفاة والدته.



الأمـير جليلة بنت الملك عـلي تـزوجت مـن الدكتور الشريف حازم. توفيت عام ١٩٥٥.



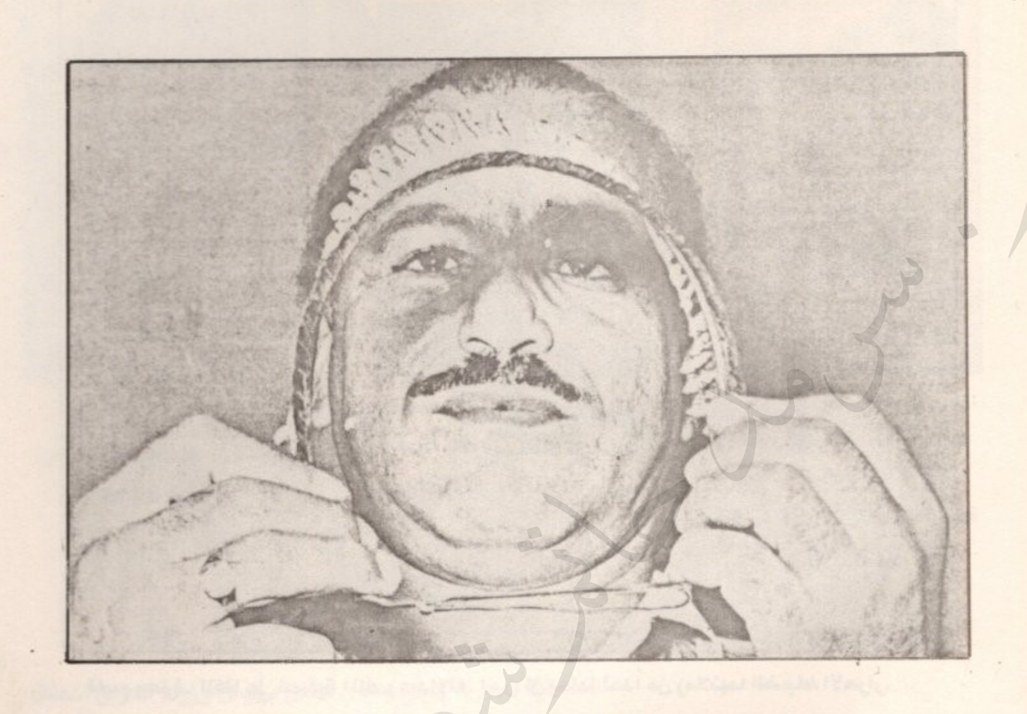
الملك فيصل الاول ملك العراق



عصا المارشالية
الخاصة بالملك فيصل الثاني
هدية من خاله عبدالإله يوم
تولى « سلطته الدستورية »
وهي من الذهب الخالص
منقوش عليها الآية الكريمة :

« وإذا حكمتم بين الناس

أن تحكموا بالعدل »



تاج من الذهب الخالص مرصّع بحبات من الماس كان الملك فيصل الثاني قد اشتراه في انتظار مناسبة زواجه ليضعه على رأس عروسه الأميرة فاضلة.
الصورة توضح رئيس لجنة الجرد وهو يقوم بفحص التاج.

قاسم وعارف اتفقا على تصفية الملك وعبدالإله دون أن يعلما احداً من زملائهما الضباط الأحرار.



الجنود يقتحمون قصر الرحاب صبيحة الثوره



الملازم عبدالله مجيد الذي تخلى
عن دلالة سرية الرئيس منذر
سليم المكلفة بالهجوم على
قصر الرحاب صبيحة الثورة...

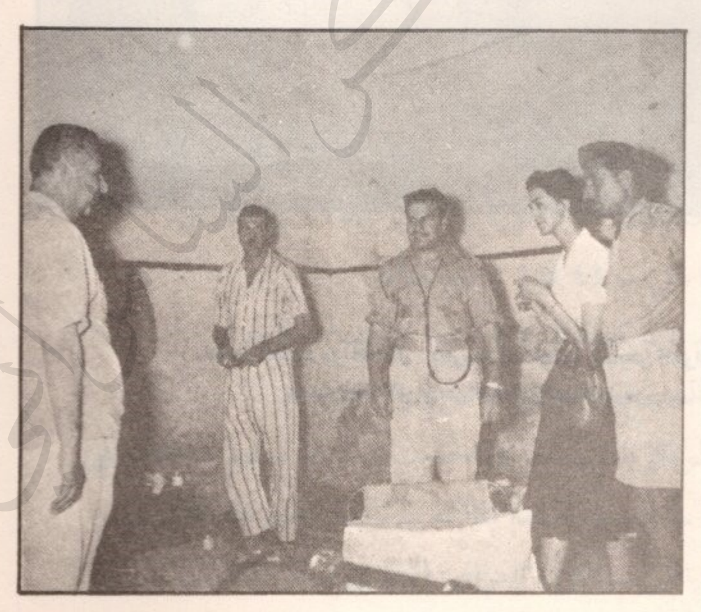


العقيد طه البامرني آمر الحرس
الملكي وكالة... كان متواجداً
صبيحة الثورة في قصر الزهور



رجب عبدالمجيد..
سكرتير حركة الضباط الاحرار..
ولولب الحركة

الصحفية المصرية انجي رشدي تلتقي برئيس وزراء العراق المعتقل
احمد مختار بابان وبصحبتها آمر المعتقل ملازم اول انور الحديثي.





القصر الجديد من الداخل.. يحرسه احد جنود الجيش العراقي.. وبدت خلفه اكوام من الرخام واعمدة المرمر.

المصادر والمراجع

١ ـ المس بيل ـ العراق في رسائل المس بيل ـ ترجمة جعفر الخياط.

٢ ـ د. ابراهيم شريف ـ الشرق الأوسط.

٣ ـ ابراهيم كبه ـ هذا طريق تموز.

٤ ـ أحمد فوزي ـ المثير من أحداث العراق السياسية.

٥ ـ أحمد فوزي ـ الملك فيصل الثاني.

٦ ـ باتريك سيل ـ الدفاع عن سوريا.

٧ ـ جيرالد دي غوري ـ ثلاثة ملوك في بغداد ـ ترجمة سليم طه التكريتي.

٨ ـ جميل الأورفلي ـ ذكريات وزير سابق.

٩ ـ خليل ابراهيم حسين ـ العميد المتقاعد ـ ثورة الشواف، ج ١، ط١.

١٠ـ الملك حسين ـ مهنتي كملك.

١١ـ خليل كنه ـ العراق أمسه وغده.

١٢ـ جورج حنا ـ عندما يتكلم الشعب.

١٣ـ توفيق السويدي ـ مذكراته.

١٤ـ صبحي عبدالحميد ـ أسرار ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق.

١٥ـ صبيح نشأت الحلي ـ ١٤ تموز، يوم خالد.

١٦ـ صبيح علي غالب ـ قصة ثورة ١٤ تموز والضباط الأحرار.

١٧ـ صلاح الدين الصباغ ـ مذكرات من رواد العروبة.

١٨ـ ستيفن همسلي لونكريك ـ العراق الحديث ـ ترجمة سليم طه التكريتي.

١٩ـ سندرسن باشا ـ طبيب العائلة المالكة ـ ترجمة سليم طه التكريتي.

٢٠ـ د. عبدالله الفياض ـ الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠.

٢١ــ عبدالكريم قاسم ــ مبادىء ثورة ١٤ تموز في خطب ابن الشعب البار.
٢٢ــ عبدالكريم الأزري ــ تاريخ في ذكريات العراق.
٢٣ــ علي جودت الأيوبي ــ المذكرات.
٢٤ــ العقيد عبدالكريم الجدة ــ ثورة الزعيم المنقذ.
٢٥ــ عبدالرزاق الحسني ــ تاريخ الوزارات العراقية.
٢٦ــ د. لطفي جعفر فرج ــ الملك غازي.
٢٧ــ ليث عبدالحسن الزبيدي ــ ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ في العراق.
٢٨ــ د. كاظم النعمة ــ الملك فيصل الأول والانكليز والاستقلال.
٢٩ــ كاراكتاكوس ــ ثورة العراق.
٣٠ــ د. رحيم عجينة ــ الحالة الصحية في العراق ــ مجلة المثقف ــ العدد (١).
٣١ــ دار الحياة ــ مجزرة قصر الرحاب.
٣٢ــ دار الشؤون الثقافية ــ الذاكرة التاريخية لثورة ١٤ تموز سنة ١٩٥٨.
٣٣ــ ثورة العراق ــ ١٤ تموز ــ مكتبة حسين النوري.
٣٤ــ د. فاضل حسين ــ تاريخ الحزب الوطني الديمقراطي.
٣٥ــ د. فاضل حسين ــ سقوط النظام الملكي في العراق.
٣٦ــ فاروق الدررة ــ انطلاقة العراق ــ ١٤ تموز ١٩٥٨.
٣٧ــ محمد مهدي كبه ــ مذكراتي من صميم الأحداث ــ ١٩١٨ ــ ١٩٥٨.
٣٨ــ محسن حسين الحبيب ــ حقائق عن ثورة ١٤ تموز في العراق.
٣٩ــ مجيد خدوري ــ العراق الجمهوري.
٤٠ــ محمد مصطفى زيدان ــ القومية العربية بين التحدي والاستجابة.
٤١ــ المحكمة العسكرية العليا الخاصة ــ وزارة الدفاع.
٤٢ــ الملازم فالح زكي حنظل ــ أسرار مقتل العائلة المالكة.

٤٣ـ مذكرات عبدالسلام عارف ـ المؤسسة القومية للتأليف والنشر.
٤٤ـ ناجي شوكت ـ سيرة وذكريات.
٤٥ـ نذير فنصة ـ طهران مصير الغرب.
٤٦ـ ولدمار غلمن ـ سفير الولايات المتحدة الأميركية في العراق ـ عراق نوري السعيد.
٤٧ـ نضال البعث ـ القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي.

المجلات والصحف:

٤٨ـ المجموعة الاحصائية لعام ١٩٥٧.
٤٩ـ مجلة آفاق عربية ـ العدد ٦ ـ سنة ١٩٨٩ ـ حزيران
٥٠ـ مجلة آفاق عربية ـ العدد ٧ ـ ١٩٨٩ ـ تموز.
٥١ـ صحيفة الجمهورية ـ العدد ٨ ـ ٢٥ تموز ـ سنة ١٩٥٨.

المقابلات:

٥٢ـ اللواء الركن المتقاعد أحمد حقي.

التقارير:

٥٣ ـ تقرير مقدم من السيد طه مصطفى البامرني
٥٤ ـ تقرير مقدم من عبدالستار العبوسي.

الفهرست

هذا الكتاب

يتناول هذا الكتاب سيرة الأسرة المالكة في العراق منذ قدومها الى العراق وحتى قيام ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ ، وقد قسّم الكتاب الى أربعة فصول تضمنت كيفية اختيار الملك فيصل الثاني ملكاً على العراق ، ونبذة مختصرة عن تنظيم الضباط الأحرار وتشكيل اللجان وكيف تم التخطيط للثورة مع استعراض لبعض الأحداث التي كادت تعصف بالتنظيم وشرح موجز للأوضاع العامة في بغداد قبيل قيام الثورة ، وجاء الفصل الأخير مكرساً لقصر الرحاب والقصور الملكية الأخرى وما جرى بداخلها ليلة الثورة وصبيحتها بالتفصيل.

المؤلف

الغلاف: رياض عبد الكريم

السعر : اربعة دنانير

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٤٩٧ لسنة ١٩٨٩